

الجامع لروائع البيان

في تفسير آيات القرآن (١٠)

سعيد مبارك

الجامع لروائع البيان في تفسير آيات القرآن تفسير الجزء العاشر

سيد مبارك

بقية سورة الأنفال

من الآية ٤١- إلى الآية ٧٥ وسورة التوبة من الآية ١- إلى الآية ٩٢

{وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أَمْنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّفْيِ الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١)}

إعراب مفردات الآية (١)

(الواو) استثنائية (اعلموا) فعل أمر مبني على حذف النون... والواو فاعل (أن) حرف مشبه بالفعل - ناسخ- واسمه ضمير الشأن محذوف (ما) اسم شرط جازم مبني في محل نصب مفعول به مقدم «(٢)»، (غنمتم) فعل ماض مبني على السكون... و(تم) ضمير فاعل (من شيء) جارّ ومجرور متعلق بحال من مفعول غنمتم «(٣)».

والمصدر المؤول (أنّ ما غنمتم...) في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي اعلموا.
(الفاء) رابطة لجواب الشرط (أنّ) مثل الأول «(٤)»، (للّه) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر أنّ (خمس) اسم أنّ منصوب و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه.
والمصدر المؤول (أنّ لله خمسة...) في محلّ رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره حكمه أي حكمه كون الخمس لله «(٥)».

(الواو) عاطفة في خمسة المواضع الآتية (الرسول، ذي، اليتامى، المساكين، ابن) ألفاظ معطوفة على لفظ الجلالة بإعادة الجارّ في الرسول وذي... وعلامة الجرّ في ذي الياء وفي اليتامى الكسرة المقدرة على الألف، (القربى) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدرة على الألف (السبيل) مضاف إليه مجرور (إن) حرف شرط جازم (كنتم) فعل ماض ناقض- ناسخ- مبني في محلّ جزم فعل الشرط... و(تم) ضمير اسم كان (آمنتم) مثل غنمتم (باللّه) جارّ ومجرور متعلّق ب (آمنتم)، (الواو) عاطفة (ما) اسم موصول مبني في محلّ جرّ معطوف على لفظ الجلالة (أنزلنا) فعل ماض وفاعله (على عبد) جارّ ومجرور متعلّق ب (أنزلنا)، و(نا) ضمير مضاف إليه (يوم) ظرف زمان منصوب متعلّق ب (أنزلنا)، (الفرقان) مضاف إليه مجرور (يوم)

(١)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٠/٢٢٣)

(٢) - يجوز أن يكون (ما) اسم موصول اسم أنّ، وما بعد الفاء خبر، وزيدت الفاء في الخبر لمشابهة ما للشرط.

(٣) - أو هو تمييز ل (ما).

(٤) - يجوز في مثل هذا التركيب كسر همزة (أنّ) أيضا.

(٥) - يجوز أن يكون المصدر المؤول مبتدأ والخبر محذوف أي: أنّ لله خمسة واجب.

ظرف بدل من الأول منصوب (التقى) فعل ماضٍ مبني على الفتح المقدّر على الألف (الجمعان) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الألف (الواو) اعتراضية - أو استثنائية - (الله) مبتدأ مرفوع (على كلّ) جارٌّ ومجرور متعلّق ب (قدير) (شيء) مضاف إليه مجرور (قدير) خبر المبتدأ مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أُمَّتَكُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

-قال السعدي-رحمه الله- في بيائها إجمالاً ما نصه: يقول تعالى: { وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ } أي: أخذتم من مال الكفار قهراً بحق، قليلاً كان أو كثيراً. { فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ } أي: وباقيه لكم أيها الغانمون، لأنه أضاف الغنيمة إليهم، وأخرج منها خمسها. فدل على أن الباقي لهم، يقسم على ما قسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم: للراجل سهم، وللفارس سهمان لفرسه، وسهم له.

وأما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم، سهم لله ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمصلحة، لأن الله جعله له ولرسوله، والله ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد الله. فإذا لم يعين الله له مصرفاً، دل على أن مصرفه للمصالح العامة.

والخمس الثاني: لذي القربى، وهم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب. وأضافه الله إلى القرابة دليلاً على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأنثاهم.

والخمس الثالث لليتامى، وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار، جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم، حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، وقد فقد من يقوم بمصالحهم.

والخمس الرابع للمساكين، أي: المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث.

والخمس الخامس لابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، وبعض المفسرين يقول إن خمس الغنيمة لا يخرج عن هذه الأصناف ولا يلزم أن يكونوا فيه على السواء بل ذلك تبع للمصلحة وهذا هو الأولى وجعل الله أداء الخمس على وجهه شرطاً للإيمان فقال: { إِن كُنْتُمْ أُمَّتَكُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ } وهو يوم { بدر } الذي فرق الله به بين الحق والباطل. وأظهر الحق وأبطل الباطل.

{ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانَ } جمع المسلمين، وجمع الكافرين أي: إن كان إيمانكم بالله، وبالحق الذي أنزله الله على رسوله يوم الفرقان، الذي حصل فيه من الآيات والبراهين، ما دل على أن ما جاء به هو الحق. {

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } لا يغالبه أحد إلا غلبه. اهـ (٦)

-وزاد الشنقيطي بياناً وفائدة في تفسيره للآية قال-رحمه الله- ما مختصره:

(٦)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١/٣٢١)

ظاهر هذه الآية الكريمة أن كل شيء حواه المسلمون من أموال الكفار فإنه يخمس حسبما نص عليه في الآية، سواء أوجفوا عليه الخيل والركاب أو لا، ولكنه تعالى بين في سورة «الحشر» أن ما أفاء الله على رسوله من غير إيجاب المسلمين عليه الخيل والركاب، أنه لا يخمس ومصارفه التي بين أنه يصرف فيها كمصارف خمس الغنيمة المذكورة هنا، وذلك في قوله تعالى: في شيء بني النضير {وما أفاء الله على رسوله منهم فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب}، ثم بين شمول الحكم لكل ما أفاء الله على رسوله من جميع القرى بقوله: {ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول} الآية. وأضاف - رحمه الله -:

اعلم أولاً أن أكثر العلماء: فرقوا بين الفبيء والغنيمة فقالوا: الفبيء: هو ما يسره الله للمسلمين من أموال الكفار من غير انتزاعه منهم بالقهر، كفيء بني النضير الذين نزلوا على حكم النبي صلى الله عليه وسلم، ومكنوه من أنفسهم وأموالهم يفعل فيها ما يشاء لشدة الرعب الذي ألقاه الله في قلوبهم، ورضي لهم صلى الله عليه وسلم أن يرتحلوا بما يحملون على الإبل غير السلاح، وأما الغنيمة: فهي ما انتزعه المسلمون من الكفار بالغلبة والقهر، وهذا التفريق يفهم من قوله: {واعلموا أنما غنمتم} الآية، مع قوله: {فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب}، فإن قوله تعالى: {فما أوجفتم عليه} الآية، ظاهر في أنه يراد به بيان الفرق بين ما أوجفوا عليه وما لم يوجفوا عليه كما تري ثم قال - رحمه الله -:

وأشير لوجه الفرق بين المسألتين بقوله: {فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب} أي فكيف يكون غنيمة لكم، وأنتم لم تتعبوا فيه ولم تنتزعوه بالقوة من مالكيه.

وقال بعض العلماء: إن الغنيمة والفبيء واحد، فجميع ما أخذ من الكفار على أي وجه كان غنيمة وفيء، وهذا قول قتادة رحمه الله وهو المعروف في اللغة، فالعرب تطلق اسم الفبيء على الغنيمة.

ثم قال - رحمه الله -:

وبدل لهذا الوجه قوله تعالى: {وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك} [٣٣ \ ٥٠]؛ لأن ظاهر هذه الآية الكريمة شمول ذلك لجميع المسيبات ولو كن منتزعات قهراً، ولكن الاصطلاح المشهور عند العلماء هو ما قدمنا من الفرق بينهما، وتدلل له آية الحشر المتقدمة، وعلى قول قتادة فآية الحشر مشكلة مع آية الأنفال هذه، ولأجل ذلك الإشكال قال قتادة - رحمه الله تعالى - : إن آية {واعلموا أنما غنمتم} الآية، ناسخة لآية {وما أفاء الله على رسوله} الآية، وهذا القول الذي ذهب إليه رحمه الله باطل بلا شك، ولم يلجئ قتادة رحمه الله إلى هذا القول إلا دعواه اتحاد الفبيء والغنيمة، فلو فرق بينهما كما فعل غيره لعلم أن آية الأنفال في الغنيمة، وآية الحشر في الفبيء، ولا إشكال. ووجه بطلان القول المذكور: أن آية {واعلموا أنما غنمتم من شيء} الآية، نزلت بعد وقعة بدر، قبل قسم غنيمة بدر بدليل حديث علي الثابت في

«صحيح مسلم»، الدال على أن غنائم بدر خمست، وآية التخميس التي شرعها الله بها هي هذه، وأما آية الحشر فهي نازلة في غزوة بني النضير بإطباق العلماء، وغزوة بني النضير بعد غزوة بدر بإجماع المسلمين، ولا منازعة فيه البتة، فظهر من هذا عدم صحة قول قتادة رحمه الله تعالى، وقد ظهر لك أنه على القول بالفرق بين الغنيمة والفية لا إشكال في الآيات، وكذلك على قول من يرى أمر الغنائم والفية راجعا إلى نظر الإمام، فلا منافاة على قوله بين آية «الحشر»، وآية التخميس إذا رآه الإمام، والله أعلم. اهـ (٧)

{ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ } (٤٢)

إعراب مفردات الآية (٨)

(إذ) ظرف للزمن الماضي في محلّ نصب بدل من كلمة يوم «(٩)»، (أنتم) ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ (بالعدوة) جارّ ومجرور متعلّق بخبر محذوف (الدنيا) نعت للعدوة مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (هم بالعدوة القصوى) مثل أنتم بالعدوة الدنيا (الواو) عاطفة (الركب) مبتدأ مرفوع (أسفل) ظرف مكان منصوب متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ (من) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أسفل). (الواو) استئنافية (لو) شرط غير جازم (تواعدتم) مثل غنمتم (اللام) رابطة لجواب لو (اختلفتم) مثل غنمتم (في الميعاد) جارّ ومجرور متعلّق ب (اختلفتم)، (الواو) عاطفة (لكن) حرف للاستدراك (اللام) للتعليل (يقضي) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (أمرا) مفعول به منصوب.

والمصدر المؤوّل (أن يقضي) في محلّ جرّ باللام متعلّق بمحذوف تقديره جمعكم «(١٠)».

(كان) فعل ماض ناقص - ناسخ - واسمه ضمير مستتر تقديره هو (مفعولا) خبر كان منصوب (ليهلك) مثل ليقضي (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع فاعل (هلك) فعل ماض، والفاعل هو (عن بيّنة) جارّ ومجرور متعلّق ب (يهلك)، (الواو) عاطفة (يحيا) مضارع منصوب معطوف على يهلك وعلامة النصب والفتحة المقدّرة على الألف (من حيّ عن بيّنة) مثل من هلك عن بيّنة، والجارّ متعلّق ب (يحيا).

(٧) - أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي - دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيع بيروت-لبنان (٥٤/٢)

(٨) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٢٢٥/١٠)

(٩) - أو هو اسم ظرفيّ مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكروا ... هذا ويجوز تعليقه كظرف بتقدير.

(١٠) - أو تقديره لم تتواعدوا ليقضي الله أمرا.

والمصدر المؤول (أن يهلك) في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (مفعولا) «(١١)». والمصدر المؤول (أن يجيأ) في محلّ جرّ باللام المقدّرة متعلّق بما تعلّق به المصدر المؤول أن يهلك فهو معطوف عليه.
(الواو) استئنافية (إنّ) حرف مشبّه بالفعل (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (اللام) المرحلقة للتوكيد (سميع) خبر إنّ مرفوع (عليم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا }

-قال ابن كثير رحمه الله- ما مختصره: يقول تعالى مخبراً عن يوم الفرقان: { إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا } أي: إذ أنتم نزول بعدوة الوادي الدنيا القريبة إلى المدينة، { وَهُمْ } أي: المشركون نزول { بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى } أي: البعيدة التي من ناحية مكة، { وَالرَّكْبُ } أي: العير الذي فيه أبو سفيان بما معه من التجارة { أَسْفَلَ مِنْكُمْ } أي: مما يلي سيف البحر { وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ } أي: أنتم والمشركون إلى مكان { لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ } قال محمد بن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه في هذه الآية قال: ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم، ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم، ما لقيتموهم، { وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا } أي: ليقضي الله ما أراد بقدرته من إعزاز الإسلام وأهله، وإذلال الشرك وأهله، عن غير ملاء منكم، ففعل ما أراد من ذلك بلطفه. اهـ (١٢)

{ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها: { لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ } أي: ليكون حجة وبينة للمعاناد، فيختار الكفر على بصيرة وجزم ببطلانه، فلا يبقى له عذر عند الله.
{ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ } أي: يزداد المؤمن بصيرة ويقينا، بما أرى الله الطائفتين من أدلة الحق وبراهينه، ما هو تذكرة لأولي الألباب.

{ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ } سميع لجميع الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، عليم بالظواهر والضمائر والسرائر، والغيب والشهادة. اهـ (١٣)

{ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَايِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنْتَازِعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) }

(١١) - يجوز أن يكون بدلا من المصدر المؤول (أن يقضي) بإعادة الجاز فيتعلّق بما تعلّق به الأول.

(١٢) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٦٧/٤)

(١٣) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢١/١)

إعراب مفردات الآية (١٤)

(إذ) اسم ظرفي في محل نصب مفعول به محذوف تقديره اذكر (يريك) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الياء.. و(الكاف) ضمير مفعول به أول و(هم) ضمير مفعول به ثان (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (في منام) جازّ ومجرور متعلق ب (يري)،

و(الكاف) ضمير مضاف إليه (قليلاً) مفعول به ثالث منصوب (الواو) عاطفة (لو) حرف شرط غير جازم (أرى) فعل ماض مبني على الفتح المقدّر على الألف و(الكاف) ضمير مفعول أول و(هم) ضمير مفعول ثان، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو أي الله (كثيراً) مفعول به ثالث منصوب (اللام) رابطة لجواب الشرط (فشلتم) مثل آمنتم «(١٥)»، (الواو) عاطفة (لتنازعتم) مثل لفشلتم (في الأمر) جازّ ومجرور متعلق ب (تنازعتم)، (الواو) عاطفة (لكنّ) حرف مشبّه للفعل - ناسخ-، و(الهاء) ضمير اسم إنّ (عليم) خبر إنّ مرفوع (بذات) جازّ ومجرور متعلق ب (عليم) (الصدر) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ }

-قال السعدي رحمه الله- في تفسيره للآية إجمالاً ما نصه:

كان الله قد أرى رسوله المشركين في الرؤيا عددا قليلا فبشر بذلك أصحابه، فاطمأنت قلوبهم وتثبت أفئدتهم.

ولو أراكمهم الله إياهم كثيراً فأخبرت بذلك أصحابك { لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ } فمنكم من يرى الإقدام على قتالهم، ومنكم من لا يرى ذلك فوق من الاختلاف والتنازع ما يوجب الفشل. { وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ } فلفظ بكم { إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ } أي: بما فيها من ثبات وجزع، وصدق وكذب، فعلم الله من قلوبكم ما صار سببا للطفه وإحسانه بكم وصدق رؤيا رسوله، فأرى الله المؤمنين عدوهم قليلا في أعينهم، ويقللكم - يا معشر المؤمنين - في أعينهم، فكل من الطائفتين ترى الأخرى قليلة، لتقدم كل منهما على الأخرى. اهـ (١٦)

(١٤)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق(١٠/٢٣٠)

(١٥) - في الآية (٤١) من هذه السورة.

(١٦)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١/٣٢٢)

{ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ } (٤٤)

إعراب مفردات الآية (١٧)

(الواو) عاطفة (إذ يريكموهم... قليلاً) مثل إذ يريكم قليلاً «(١٨)»، والواو في الفعل زائدة هي حركة إشباع الميم، والفاعل هو أي الله (إذ) ظرف مبني متعلق ب (يري) - ومعناه ماض لأنه حكاية القوم المتحاربين (التقيتم) فعل ماض مبني على السكون.. و(تم) ضمير فاعل (في أعين) جارّ ومجرور متعلق ب (قليلاً) وهو حال منصوبة من الهاء في (يريكموهم) «(١٩)»، و(كم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (يقلل) مضارع مرفوع و(كم) ضمير مفعول به والفاعل هو (في أعينهم) مثل في أعينكم متعلق ب (يقلل)، (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) مرّ إعرابها «١». والمصدر المؤول (أن يقضي) في محلّ جرّ باللام متعلق ب (يقللكم) أو بفعلي (يريكموهم ويقللكم). (الواو) استئنافية (إلى الله) جارّ ومجرور متعلق ب (ترجع) وهو مضارع مبني للمجهول مرفوع (الأمور) نائب الفاعل مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ }

-قال البغوي-رحمه الله- في تفسيره: { وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً } قال مقاتل: وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أن العدو قليل قبل لقاء العدو، وأخبر أصحابه بما رأى، فلما التقوا بيدر قلل الله المشركين في أعين المؤمنين. قال ابن مسعود رضي الله عنه: لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبي أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، فأسرنا رجلاً فقلنا كم كنتم؟ قال: ألفاً.

{ وَيُقَلِّلُكُمْ } يا معشر المؤمنين { فِي أَعْيُنِهِمْ } قال السدي: قال ناس من المشركين: إن العير قد انصرفت فارجعوا، فقال أبو جهل: الآن إذا برز لكم محمد وأصحابه؟ فلا ترجعوا حتى تستأصلوهم، إنما محمد وأصحابه أكلة جزور، فلا تقتلوهم، واربطوهم بالحبال -يقوله من القدرة التي في نفسه - قال

(١٧)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٢٣٢/١٠)

(١٨) - في الآية (٤٣) السابقة.

(١٩) - لأنّ الرؤية بصرية هنا.

الكلي: استقل بعضهم بعضا ليجترؤا على القتال، فقلل المشركين في أعين المؤمنين لكي لا يجبنوا، وقلل المؤمنين في أعين المشركين لكي لا يهربوا. اهـ (٢٠)

-وأضاف أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في تفسيرها: وقوله: {ليقضي الله أمراً كان مفعولاً}، يقول جل ثناؤه: قللتكم أيها المؤمنون، في أعين المشركين، وأريتكموهم في أعينكم قليلاً حتى يقضي الله بينكم ما قضى من قتال بعضهم بعضاً، وإظهاركم، أيها المؤمنون، على أعدائكم من المشركين والظفر بهم، لتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلى. وذلك أمرٌ كان الله فاعله وبالغاً فيه أمره ثم قال: {وإلى الله ترجع الأمور}، يقول جل ثناؤه: مصير الأمور كلها إليه في الآخرة، فيجازي أهلها على قدر استحقاقهم المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته. اهـ (٢١)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } (٤٥)

إعراب مفردات الآية (٢٢)

(يا) حرف نداء (أيها) منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب... و(ها) للتبني (الذين) اسم موصول مبني في محل نصب بدل من أي (آمنوا) فعل ماض مبني على الضم... والواو فاعل (إذا) ظرف للزمن المستقبل متضمن معنى الشرط مبني في محل نصب متعلق بمضمون الجواب (لقيتم) مثل التقيتم «(٢٣)»، (فئة) مفعول به منصوب (الفاء) رابطة لجواب الشرط (ثبتوا) فعل أمر مبني على حذف النون... والواو فاعل (الواو) عاطفة (اذكروا) مثل اثبتوا (الله) لفظ الجلالة مفعول به منصوب (كثيراً) مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو صفته (لعل) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - و(كم) ضمير اسم لعل (تفlichون) مضارع مرفوع... والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }

(٢٠)-انظر معالم التنزيل للبعوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٣٦٤/٣)

(٢١)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري - تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦١٥٩/ ١٣ / ٥٧٣)

(٢٢)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٢٣٣/١٠)

(٢٣) - في الآية (٤٤) السابقة.

- قال أبو جعفر الطبري في تفسيرها ما مختصره: وهذا تعريفٌ من الله جل ثناؤه أهل الإيمان به، السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به، والأفعال التي يُرجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصر عليهم والظفر بهم. ثم يقول لهم جل ثناؤه: {يا أيها الذين آمنوا}، صدقوا الله ورسوله إذا لقيتم جماعة من أهل الكفر بالله للحرب والقتال، فاثبتوا لقتالهم، ولا تنهزموا عنهم ولا تولوهم الأدبار هارين، إلا متحرفًا لقتال أو متحيزًا إلى فئة منكم {واذكروا الله كثيرًا}، يقول: وادعوا الله بالنصر عليهم والظفر بهم، وأشعروا قلوبكم وألستكم ذكره {لعلكم تفلحون}، يقول: كيما تنجحوا فتظفروا بعدوكم، ويرزقكم الله النصر والظفر عليهم. اهـ (٢٤)

-وزاد الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيرها فائدة فقال: أمر الله تعالى المؤمنين في هذه الآية الكريمة بالثبات عند لقاء العدو، وذكر الله كثيرا مشيرا إلى أن ذلك سبب للفلاح، والأمر بالشيء نهي عن ضده، أو مستلزم للنهي عن ضده، كما علم في الأصول، فتدل الآية الكريمة على النهي عن عدم الثبات أمام الكفار، وقد صرح تعالى بهذا المدلول في قوله: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار} [٨ \ ١٥]، إلى قوله: {وبئس المصير} [٨ \ ١٦]، وفي الأمر بالإكثار من ذكر الله تعالى في أضيقات الأوقات وهو وقت التحام القتال دليل واضح على أن المسلم ينبغي له الإكثار من ذكر الله على كل حال، ولا سيما في وقت الضيق، والمحج الصادق في حبه لا ينسى محبوبه عند نزول الشدائد. اهـ (٢٥)

(٢٤) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦١٦٠)

(١٣ / ٥٧٤)

(٢٥) - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان (١٠١/٢)

{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } (٤٦)

إعراب مفردات الآية (٢٦)

(الواو) عاطفة (أطيعوا الله) مثل اذكروا الله (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة منصوب و(الماء) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (لا) ناهية جازمة (تنازعوا) مضارع مجزوم حذفت منه إحدى التاءين وعلامة الجزم حذف النون.. والواو فاعل (الفاء) فاء السببية (تفشلوا) مضارع منصوب بأن مضمره بعد الفاء وعلامة النصب حذف النون.. والواو فاعل (الواو) عاطفة (وتذهب) مضارع منصوب معطوف على (تفشلوا)، (ريح) فاعل مرفوع و(كم) ضمير مضاف إليه.

والمصدر المؤول (أن تفشلوا) في محل رفع معطوف على مصدر مأخوذ من معنى النهي السابق أي لا يكن منكم تنازع ففشل.

(الواو) عاطفة (اصبروا) مثل اثبتوا (إن) حرف مشبه بالفعل - ناسخ - (الله) لفظ الجلالة اسم إن منصوب (مع) ظرف منصوب متعلق بمحذوف خبر إن (الصابرين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجر الياء.

روائع البيان والتفسير

{ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ } في استعمال ما أمر به، والمشى خلف ذلك في جميع الأحوال.

{ وَلَا تَنَازَعُوا } تنازعا يوجب تشتت القلوب وتفرقتها، { فَتَفْشَلُوا } أي: تجبنوا { وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ } أي: تنحل عزائمكم، وتفرق قوتكم، ويرفع ما وعدتم به من النصر على طاعة الله ورسوله.

{ وَاصْبِرُوا } نفوسكم على طاعة الله { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } بالعون والنصر والتأييد، واخشعوا لربكم واخضعوا له. اهـ (٢٧)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في بيانها فقال ما مختصره: هذا تعليم الله عباده المؤمنين آداب اللقاء، وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء، فقال { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا } ثبت في الصحيحين، عن عبد الله بن أبي أوفى (٢٨)، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه انتظر في بعض أيامه التي لقي فيها العدو حتى إذا مالت الشمس قام فيهم فقال: " يا أيها الناس، لا تتمنوا لقاء

(٢٦)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٢٣٤/١٠)

(٢٧)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(١ / ٣٢٢)

العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف". ثم قام النبي صلى الله عليه وسلم وقال: " اللهم، مُنزل الكتاب، ومُجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" (٢٩)

ثم أضاف - رحمه الله:

فأمر تعالى بالثبات عند قتال الأعداء والصبر على مبارزتهم، فلا يفرو ولا ينكلوا ولا يجبنوا، وأن يذكروا الله في تلك الحال ولا ينسوه بل يستعينوا به ويتكلوا عليه، ويسألوه النصر على أعدائهم، وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك. فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزعروا، ولا يتنازعا فيما بينهم أيضا فيختلفوا فيكون سببا لتخاذلهم وفشلهم.

{ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ } أي: قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال، { وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } وقد كان للصحابة -رضي الله عنهم- في باب الشجاعة والائتمار بأمر الله، وامتنال ما أرشدهم إليه -ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقا وغربا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر والحبوش وأصناف السودان والقبط، وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى عكث كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمريهم، إنه كريم وهاب. اهـ (٣٠)

{ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ } (٤٧)

(٢٨) - عبد الله بن أبي أوفى علقمة بن خالد بن الحارث الأسلمي الفقيه، المعمر، صاحب النبي -صلى الله عليه وسلم - أبو معاوية. وقيل: أبو محمد وقيل: أبو إبراهيم الأسلمي، الكوفي. من أهل بيعة الرضوان، وخاتمة من مات بالكوفة من الصحابة وكان أبوه صحابيا أيضا. وقد فاز عبد الله بالدعوة النبوية حيث أتى النبي -صلى الله عليه وسلم - بركة والده. فقال النبي -صلى الله عليه وسلم -: (اللهم صل على آل أبي أوفى) وقد كف بصره من الكبر توفي عبد الله: سنة ست وثمانين وقيل: بل توفي سنة ثمان وثمانين، وقد قارب مائة سنة -رضي الله عنه -نقلًا عن سير أعلام النبلاء للذهبي مختصراً (٤٢٨/٣)

(٢٩) - أخرجه البخاري (برقم/ ٢٩٦٦) - باب: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار آخر القتال حتى تزول الشمس، ومسلم (برقم/ ١٧٤٢) - باب كراهة تمنى لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء

(٣٠) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٧٠/٤)

إعراب مفردات الآية (٣١)

(الواو) عاطفة (لا) مثل الأولى (تكونوا) مضارع ناقص-ناسخ-مجزوم وعلامة الجزم حذف النون... والواو ضمير اسم تكون (الكاف) حرف جرّ (الذين) موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر تكونوا (خرجوا) مثل آمنوا (من ديار) جارّ ومجرور متعلّق ب (خرجوا)، و(هم) ضمير مضاف إليه (بطرا) حال منصوبة «(٣٢)» (الواو) عاطفة (رئاء) معطوف على (بطرا) منصوب (الناس) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (يصدّون) مثل تفلحون (عن سبيل) جارّ ومجرور متعلّق ب (يصدّون)، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) استثنائية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (الباء) حرف جرّ (ما) حرف مصدريّ (يعملون) مثل تفلحون (محيط) خبر المبتدأ مرفوع. والمصدر المؤوّل (ما يعملون) في محلّ جرّ بالباء متعلّق ب (محيط).

روائع البيان والتفسير

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: قول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره، ناهيا لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم {بطرا} أي: دفعا للحق، {ورئاء الناس} وهو: المفاخرة والتكبر عليهم، كما قال أبو جهل -لما قيل له: إن العير قد نجا فارجعوا- فقال: لا والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر، ونحرق الجزر، ونشرب الخمر، وتعزف علينا القيان، وتتحدث العرب بمكاننا فيها يومنا أبدا، فانعكس ذلك عليه أجمع؛ لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحمام، ورموا في أطواء بدر مهانين أذلاء، صغرة أشقياء في عذاب سرمدي أبدي؛ ولهذا قال: {والله بما يعملون محيط} أي: عالم بما جاءوا به وله، ولهذا جازاهم على ذلك شر الجزاء لهم.. اهـ (٣٣)

{وَإِذْ زَيْنٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفِتْنَانَ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٤٨)}

إعراب مفردات الآية (٣٤)

(٣١)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -

دمشق(٢٣٥/١٠)

(٣٢) - أو مفعول لأجله منصوب.

(٣٣) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٧٢/٤)

(٣٤)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٠)

(٢٣٧/

(الواو) استثنائية (إذ) اسم ظرفي مبني في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره اذكر (زين) فعل ماض (اللام) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (زين)، (الشیطان) فاعل مرفوع (أعمال) مفعول (غالب) اسم لا مبني على الفتح في محلّ نصب (لكم) مثل لهم متعلّق بمحذوف خبر لا (اليوم) ظرف زمان منصوب متعلّق بخبر لا «(٣٥)» (من الناس) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من الضمير في (لكم)، والعامل هو معنى النفي، (الواو) عاطفة (إنّ) حرف توكيد ونصب و(الياء) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (جار) خبر مرفوع (لكم) مثل لهم متعلّق ب (جار). (الفاء) عاطفة (لما) ظرف بمعنى حين فيه معنى الشرط متعلّق ب (نكص)، (تراءت) فعل

ماض.. و(التاء) للتأنيث (الفتتان) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الألف (نكص) مثل زين، والفاعل هو (على عقي) جارّ ومجرور متعلّق ب (نكص) «(٣٦)»، وعلامة الجرّ الياء و(الهاء) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (قال) مثل زين (إني بريء منكم) مثل إني جار لكم (إني) مثل الأول (أرى) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا (ما) اسم الموصول مبني في محلّ نصب مفعول به «(٣٧)»، (لا) حرف نفي (ترون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل (إني أخاف الله) مثل إني أرى ما... (الواو) استثنائية - أو عاطفة. (الله شديد) مثل الله محيط «(٣٨)»، (العقاب) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفُتَّتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ }

- قال الشنقيطي - رحمه الله - في تفسيرها ما مختصره:

قوله تعالى: { وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَاهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ، إلى قوله: إني بريء منكم }.

ذكر تعالى في هذه الآية الكريمة أن الشيطان غر الكفار، وخذعهم، وقال لهم: { لا غالب لكم وأنا جار لكم }.

(٣٥) - لا يجوز أن يكون اليوم متعلّقاً ب (غالب)، ولا يجوز أن يكون (من الناس) حالاً من غالب، لأن اسم لا إذا عمل أعرب

(٣٦) - أو هو في محلّ نصب حال.

(٣٧) - يجوز أن يكون نكرة بمعنى شيء.

(٣٨) - في الآية السابقة (٤٧).

وذكر المفسرون: أنه تمثل لهم في صورة «سراقه بن مالك بن جعشم» (٣٩) سيد بني مدلج بن بكر بن كنانة، وقال لهم ما ذكر الله عنه، وأنه مجيرهم من بني كنانة، وكانت بينهم عداوة، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه [٨ \ ٤٨]، عندما رأى الملائكة وقال لهم: إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون، فكان حاصل أمره أنه غرهم، وخذعهم حتى أوردتهم الهلاك، ثم تبرأ منهم.

وهذه هي عادة الشيطان مع الإنسان كما بينه تعالى في آيات كثيرة، كقوله: {كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك} الآية [٥٩ \ ١٦]. وقوله: {وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم} [١٤ \ ٢٢]، إلى قوله: إني كفرت بما أشركتموني من قبل. اهـ (٤٠)

-وزاد أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في بيانها فقال ما مختصره وبتصرف يسير:

- وحين زين لهم الشيطان خروجهم إليكم، أيها المؤمنون، لحربكم وقتالكم وحسن ذلك لهم وحثهم عليكم، وقال لهم: لا غالب لكم اليوم من بني آدم، فاطمئنوا وأبشروا {وإني جار لكم}، من كنانة أن تأتيكم من ورائكم فمعيذكم، أجيركم وأمنعكم منهم، فلا تخافوهم، واجعلوا حدكم وبأسكم على محمد وأصحابه

{فلما تراءت الفئتان}، يقول: فلما تراحفت جنود الله من المؤمنين وجنود الشيطان من المشركين، ونظر بعضهم إلى بعض {نكص على عقبيه}، يقول: رجع القهقري على قفاه هاربًا. اهـ (٤١)

{ وَقَالَ إِنِّي بريءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أرى مَا لَا تَرُونَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ }

(٣٩) - سراقه بن مالك بن جعشم ابن مالك بن عمرو بن تيم بن مدلج بن مرة بن عبد مناة بن كنانة الكناني المدلجي يكنى أبا سفيان كان ينزل قديدا، يعد في أهل المدينة، ويقال: سكن مكة كان سراقه رجلا أذب كثير شعر الساعدين، وكان سراقه شاعرا، وهو القائل لأبي جهل:

أبا حكم والله لو كنت شاهدا لأمر جوادى إذ تسوخ قوائمه... علمت ولم تشكك بأن محمدا رسول ببهان فمن ذا يقاومه

عليك بكف القوم عنه فإنني أرى أمره يوما ستبدو معاملة بأمر... يود الناس فيه بأسهم بأن جميع الناس طرا يسالمة مات سراقه بن مالك سنة أربع وعشرين، أول خلافة عثمان، رضي الله عنه، وقيل: إنه مات بعد عثمان، والله أعلم. أخرجها الثلاثة.- انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير مختصراً وبتصرف (١٩٥٥)

(٤٠) - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان (١٠٣/٣)

(٤١) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١١/١٣ /١٦١٩٢)

- قال السعدي - رحمه الله - في تفسير هذه الجزئية من الآية: { وَقَالَ } لمن خدعهم وجرهم: { إِيَّايَ بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِيَّايَ أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ } أي: أرى الملائكة الذين لا يدان لأحد بقتالهم.
 { إِيَّايَ أَخَافُ اللَّهَ } أي: أخاف أن يعاجلني بالعقوبة في الدنيا { وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ } ومن المحتمل أن يكون الشيطان، قد سول لهم، ووسوس في صدورهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس، وأنه جار لهم، فلما أوردتهم مواردهم، نكص عنهم، وتبرأ منهم، كما قال تعالى: { كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِيَّايَ بَرِيءٌ مِنْكَ إِيَّايَ أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ } . اهـ (٤٢)

{ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } (٤٩)

إعراب مفردات الآية (٤٣)

(إذ) بدل من السابق في محلّ نصب (يقول) مضارع مرفوع (المنافقون) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الواو (الواو) عاطفة (الذين) موصول في محلّ رفع معطوف على الفاعل (في قلوب) جارّ ومجرور خبر مقدّم و(هم) ضمير مضاف إليه (مرض) مبتدأ مؤخر مرفوع (غرّ) فعل ماض (ها) للتنبيه (أولاء) اسم إشارة مبنيّ في محلّ نصب مفعول به مقدّم، (دين) فاعل مرفوع و(هم) مضاف إليه (الواو) استئنافية (من) اسم شرط جازم مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (يتوكل) مضارع مجزوم فعل الشرط، والفاعل هو (على الله) جارّ ومجرور متعلّق ب (يتوكل)، (الفاء) رابطة لجواب الشرط (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (عزيز) خبر إنّ مرفوع (حكيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } {

- قال السعدي - رحمه الله - في بيانها إجمالاً: { إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ } أي: شك وشبهة، من ضعفاء الإيمان، للمؤمنين حين أقدموا - مع قلائهم - على قتال المشركين مع كثرتهم.
 { غَرَّ هَوَاهُ دِينُهُمْ } أي: أوردتهم الدين الذي هم عليه هذه الموارد التي لا يدان لهم بها، ولا استطاعة لهم بها، يقولونه احتقاراً لهم واستخفافاً لعقولهم، وهم - والله - الأحقاء عقولاً الضعفاء أحلاماً.

(٤٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٢/١)

(٤٣) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -

دمشق (٢٤٠/١٠)

فإن الإيمان يوجب لصاحبه الإقدام على الأمور الهائلة التي لا يقدم عليها الجيوش العظام، فإن المؤمن المتوكل على الله، الذي يعلم أنه ما من حول ولا قوة ولا استطاعة لأحد إلا بالله تعالى، وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على نفع شخص بمثقال ذرة لم ينفعوه، ولو اجتمعوا على أن يضره لم يضره إلا بشيء قد كتبه الله عليه، وعلم أنه على الحق، وأن الله تعالى حكيم رحيم في كل ما قدره وقضاه، فإنه لا يبالي بما أقدم عليه من قوة وكثرة، وكان واثقا بربه، مطمئن القلب لا فرعا ولا جبانا.. ولهذا قال { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ } لا يغالب قوته قوة. { حَكِيمٌ } فيما قضاه وأجراه. اهـ (٤٤)

{ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) }
إعراب مفردات الآية (٤٥)

(الواو) استثنائية (لو) حرف شرط غير جازم (ترى) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدرة على الألف، والفاعل ضمير مستتر أنت، ومفعوله محذوف أي الكفرة أو حالهم (إذ) ظرف للزمن الماضي مبني في محل نصب متعلق ب (ترى) «(٤٦)» (يتوفى) (الذين) مضارع مرفوع مثل ترى... موصول مفعول به مقدم (كفروا) فعل ماض مبني على الضم...

والواو فاعل (الملائكة) فاعل مرفوع «(٤٧)»، (يضربون) مضارع مرفوع... والواو فاعل (وجوه) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (أدبارهم) مثل وجوههم ومعطوف عليه (الواو) عاطفة (ذوقوا) فعل أمر مبني على حذف النون... والواو فاعل (عذاب) مفعول به منصوب (الحريق) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها ما مختصره: يقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفي الملائكة أرواح الكفار، لرأيت أمرا عظيما هائلا فظيحا منكرا؛ إذ يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم: { ذوقوا عذاب الحريق } قال ابن جريج، عن مجاهد: { وأدبارهم } أستاذهم، قال: يوم بدر. اهـ (٤٨)

(٤٤) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١ / ٣٢٢)

(٤٥) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٠ / ٢٤١)

(٤٦) - لأنه في معنى الماضي.

(٤٧) - يجوز أن يكون مبتدأ خبره جملة يضربون، والجملة حال، وفاعل (يتوفى) ضمير يعود على الله.

(٤٨) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٧٦)

-وزاد السعدي- رحمه الله- في بيانها فقال:

{ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ } أي: العذاب الشديد المحرق، ذلك العذاب حصل لكم، غير ظلم ولا جور من ربكم، وإنما هو بما قدمت أيديكم من المعاصي التي أثرت لكم ما أثرت، وهذه سنة الله في الأولين والآخرين، فإن دأب هؤلاء المكذبين أي: سنتهم وما أجرى الله عليهم من الهلاك بذنوبهم. { كَذَّابٍ آلٍ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } من الأمم المكذبة. { كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ } بالعقاب { بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ } لا يعجزه أحد يريد أخذه { مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا } اهـ. (٤٩)

{ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } (٥١)

إعراب مفردات الآية (٥٠)

(ذلك) اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ، والإشارة إلى التعذيب، و(اللام) للبعد و(الكاف) للخطاب (الباء) حرف جرّ (ما) حرف مصدريّ «(٥١)»، (قدّمت) فعل ماضٍ، و(التاء) للتأنيث (أيدي) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الياء و(كم) ضمير مضاف إليه. والمصدر المؤوّل (ما قدّمت...) في محلّ جرّ بالياء متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ ذلك. و(الواو) عاطفة (أنّ) حرف مشبّه بالفعل- ناسخ- (اللّه) لفظ الجلالة اسم أنّ منصوب (ليس) فعل ماضٍ ناقص جامد- ناسخ- واسمه ضمير مستتر تقديره هو أي الله (الباء) حرف جرّ زائد (ظلام) مجرور لفظاً منصوب محلاً خبر ليس (اللام) زائدة للتقوية (العبيد) مجرور لفظاً منصوب محلاً مفعول به للمبالغة ظلام.

والمصدر المؤوّل (أنّ الله...) في محلّ جرّ معطوف على المصدر المؤوّل (ما قدّمت).

روائع البيان والتفسير

{ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ }

-قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: وقوله تعالى: { ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ } أي: هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة في حياتكم الدنيا، جازاكم الله بها هذا الجزاء، { وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ } أي: لا يظلم أحداً من خلقه، بل هو الحكم العدل، الذي لا يجور، تبارك وتعالى وتقدس

(٤٩)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٣/١)

(٥٠)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٢٤٢/١٠)

(٥١) - أو اسم موصول أو نكرة موصوفة، في محلّ جرّ، والعائد محذوف ... والجملة إمّا صلة وإمّا نعت.

وتنزه الغني الحميد؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عند مسلم، رحمه الله، من رواية أبي ذر، رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى يقول: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا. يا عبادي، إنما هي أعمالكم أحصيها لكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه" (٥٢). اهـ (٥٣)

{ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (٥٢)

إعراب مفردات الآية (٥٤)

(كذاب) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر لمبتدأ محذوف تقديره دأب هؤلاء (آل) مضاف إليه مجرور (فرعون) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ معطوف بحرف العطف على آل فرعون (من قبل) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف صلة الموصول و(هم) ضمير مضاف إليه مثل السابق (٥٥)، (بآيات) جارّ ومجرور متعلّق ب (كفروا)، (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الفاء) عاطفة (أخذ) فعل ماض و(هم) ضمير مفعول به (اللّه) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (بذنوب) جارّ ومجرور متعلّق ب (أخذ) والباء للسببية و(هم) مضاف إليه (إنّ الله قويّ شديد) مثل إنّ الله عزيز حكيم (٥٦)، (العقاب) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

{ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ } {

- قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره: يقول تعالى: فعل هؤلاء المشركون المكذبون بما أرسلت به يا محمد، كما فعل الأمم المكذبة قبلهم، ففعلنا بهم ما هو دأبنا، أي: عادتنا وسنتنا في أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسول، الكافرين بآيات الله. { فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ } أي: بسبب

(٥٢) - جزء من حديث أخرجه مسلم (برقم/ ٢٥٧٧) - باب تحريم الظلم

(٥٣) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٧٧/٤)

(٥٤) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) (٢٤٣/١٠)

(٥٥) - في الآية (٥٠) من هذه السورة.

(٥٦) - في الآية (٤٩) من هذه السورة.

ذنوبهم أهلكتهم، فأخذهم أخذ عزيز مقتدر { إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ } أي: لا يغلبه غالب، ولا يفوته هارب. اهـ (٥٧)

-وزاد أبو جعفر الطبري في بيان قوله تعالى { إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ } فقال: { إن الله قوي }، لا يغلبه غالب، ولا يرد قضاءه رادًّا، يُنفذ أمره، ويُمضي قضاءه في خلقه شديد عقابه لمن كفر بآياته ووجد حُججه. اهـ (٥٨)

{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (٥٣)

إعراب مفردات الآية (٥٩)

(ذلك) مثل السابق «(٦٠)»، (الباء) حرف جرّ (أنّ الله) مرّ إعرابها «(٦١)»، (لم) حرف نفي جزم (يك) مضارع ناقص مجزوم وعلامة الجزم السكون الظاهر على النون المحذوفة للتخفيف، واسمه ضمير مستتر تقديره هو أي الله (مغيّرًا) خبر يك منصوب (نعمة) مفعول به لاسم الفاعل (مغيّرًا)، (أنعم) فعل ماضٍ، والفاعل هو و(ها) ضمير مفعول به (على قوم) جارّ ومجرور متعلّق ب (أنعم)، (حتّى) حرف غاية وجرّ (يغيّروا) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتّى، (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (بأنفس) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف صلة ما و(هم) ضمير مضاف إليه.

والمصدر المؤوّل (أن يغيّروا) في محلّ جرّ ب (حتّى) متعلّق ب (مغيّرًا)، (الواو) عاطفة (أنّ الله سميع عليم) مثل إنّ الله عزيز حكيم «(٦٢)».

والمصدر المؤوّل (أنّ الله لم يك...) في محلّ جرّ بالباء متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ ذلك.

والمصدر المؤوّل (أنّ الله سميع...) في محلّ جرّ معطوف على المصدر المؤوّل (أنّ الله لم يك...)

روائع البيان والتفسير

{ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ }

(٥٧) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٧٨/٤)

(٥٨) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٢٠٨ / ١٣ / ١٩)

(٥٩) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٢٤٥/١٠)

(٦٠) - في الآية (٥١) من هذه السورة.

(٦١) - في الآية (٥١) من هذه السورة.

(٦٢) - في الآية (٤٩) من هذه السورة.

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: { ذَلِكَ } العذاب الذي أوقعه الله بالأمم المكذبين وأزال عنهم ما هم فيه من النعم والنعيم، بسبب ذنوبهم وتغييرهم ما بأنفسهم فإن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم من نعم الدين والدنيا، بل يتيقها ويزيدهم منها، إن ازدادوا له شكراً. { حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ } من الطاعة إلى المعصية فيكفروا نعمة الله ويبدلوها كفراً، فيسلبهم إياها ويغيرها عليهم كما غيروا ما بأنفسهم.

ولله الحكمة في ذلك والعدل والإحسان إلى عباده، حيث لم يعاقبهم إلا بظلمهم، وحيث جذب قلوب أوليائه إليه، بما يذيق العباد من النكال إذا خالفوا أمره.

{ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } يسمع جميع ما نطق به الناطقون، سواء من أسر القول ومن جهر به، ويعلم ما تنطوي عليه الضمائر، وتخفيه السرائر، فيجري على عباده من الأقدار ما اقتضاه علمه وجرت به مشيئته. اهـ (٦٣)

{ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ } (٥٤)

إعراب مفردات الآية (٦٤)

(كذاب آل فرعون... بذنوبهم) مرّ إعراب نظيرها «(٦٥)»، (الواو) عاطفة (أغرقتنا) فعل ماض مبني على السكون... و(نا) ضمير فاعل، ومثله (أهلكنا) قبله، (آل) مفعول به منصوب (فرعون) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (الواو) عاطفة (كلّ) مبتدأ مرفوع «(٦٦)»، (كانوا) فعل ماض ناقص - ناسخ-، والواو اسم كان في محلّ رفع (ظالمين) خبر كانوا منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{ كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلُّ كَانُوا ظَالِمِينَ }

-قال البغوي-رحمه الله- ما نصه: { كذاب آل فرعون } كصنع آل فرعون، { والذين من قبلهم } من كفار الأمم، { كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم } أهلكنا بعضهم بالرجفة وبعضهم بالخسف وبعضهم بالمسخ وبعضهم بالريح وبعضهم بالغرق، فكذلك أهلكنا كفار بدر بالسيف، لما كذبوا بآيات ربهم، { وأغرقتنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين } يعني: الأولين والآخرين. اهـ (٦٧)

-وزاد ابن كثير في تفسيرها فقال: وقوله { كذاب آل فرعون } أي: كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته، أهلكهم بسبب ذنوبهم، وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون، وزروع وكنوز ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، وما ظلمهم الله في ذلك، بل كانوا هم الظالمين. اهـ (٦٨)

{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ } (٥٥)

(٦٤)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) (٢٤٦/١٠)

(٦٥) - في الآية (٥٢) من هذه السورة.

(٦٦) - جاز الابتداء بالنكرة لأنها على نيّة الإضافة أي كلّ آل فرعون والذين من قبلهم... ولأنّها تدلّ على عموم

(٦٧)-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٣ / ٣٦٩)

(٦٨) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٧٨)

إعراب مفردات الآية (٦٩)

(إنَّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (شَرَّ) اسم إنَّ منصوب (الدوابَّ) مضاف إليه مجرور (عند) ظرف منصوب متعلّق باسم التفضيل شَرَّ (اللَّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الذين) موصول في محلِّ رفع خبر إنَّ (كفروا) فعل ماض وفاعله (الفاء) تعليلية (هم) ضمير منفصل مبنيّ في محلِّ رفع مبتدأ (لا) حرف نفي (يؤمنون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }

-قال البغوي- رحمه الله في تفسيرها: { إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون } قال الكلبي ومقاتل: يعني يهود بني قريظة، منهم كعب بن الأشرف وأصحابه. اهـ (٧٠)
-وزاد القرطبي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: قوله تعالى: { إن شر الدواب عند الله } أي من يدب على وجه الأرض في علم الله وحكمه. { الذين كفروا فهم لا يؤمنون } نظيره { الصم البكم الذين لا يعقلون } [الأنفال: ٢٢]. اهـ (٧١)

{ الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ } (٥٦)

إعراب مفردات الآية (٧٢)

(الذين) بدل من الأول «(٧٣)»، (عاهدت) فعل ماض وفاعله (من) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلِّ جرّ متعلّق بحال من العائد المحذوف «(٧٤)»، (ثمّ) حرف عطف (ينقضون) مضارع مرفوع... والواو

- (٦٩)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق(٢٤٧/١٠)
- (٧٠)- انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٣ / ٣٦٩)
- (٧١)-الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٨ / ٣٠)
- (٧٢)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق(٢٤٧/١٠)
- (٧٣) - يجوز أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هم، أو مبتدأ خبره جملة إما تنقضهم .. ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط. هذا ويجوز قطعه عن الصفة للذم فيكون في محلِّ نصب.
- (٧٤) - أو بالفعل عاهدت بتضمينه معنى أخذت. أو تكون (من) تبيعية.

فاعل (عهد) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (في كلّ) جارّ ومجرور متعلّق ب (ينقضون)،
(مرّة) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (هم لا يتقون) مثل هم لا يؤمنون.

روائع البيان والتفسير

{ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ }

-فسرها ابن كثير- رحمه الله- بقوله: الذين كلما عاهدوا عهدا نقضوه، وكلما أكدوه بالأيمان نكثوه، {وهم لا يتقون} أي: لا يخافون من الله في شيء ارتكبه من الآثام. اهـ (٧٥)

{ فَأَمَّا تَثَقَفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفْتُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ (٥٧) }

إعراب مفردات الآية (٧٦)

(الفاء) عاطفة «(٧٧)»، (إن) حرف شرط جازم (ما) حرف زائد (تثقفنّ) مضارع مبنيّ على الفتح في محلّ جزم فعل الشرط.. و(النون) للتوكيد، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت

(هم) مفعول به (في الحرب) جارّ ومجرور متعلّق ب (تثقفنّهم)، (الفاء) رابطة لجواب الشرط (شردّ) فعل أمر، والفاعل أنت (الباء) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (شردّ) والباء سببيّة (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (خلف) ظرف مكان منصوب متعلّق بمحذوف صلة من و(هم) ضمير مضاف إليه (لعلّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ- و(هم) ضمير اسم لعلّ في محلّ نصب (يدكرون) مثل يؤمنون.

روائع البيان والتفسير

{ فَأَمَّا تَثَقَفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفْتُمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ }

-قال أبو جعفر الطبري في بيانها ما مختصره: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: فإما تلقينّ في الحرب هؤلاء الذين عاهدتم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة، فتأسرهم، {فشرد بهم من خلفهم}، يقول: فافعل بهم فعلا يكون مشردّا من خلفهم من نظرائهم، ممن بينك وبينه عهد وعقد. و"التشريد"، التطريد والتبديد والتفريق. اهـ (٧٨)

(٧٥) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٧٨/٤)

(٧٦) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٢٤٧/١٠)

(٧٧) - أو هي زائدة في الخبر لأنّ المبتدأ شابه الشرط.

(٧٨) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٢١١) / ٢٢/١٤

-وأضاف السعدي-رحمه الله- في بيانها ما نصه: { فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ } أي: نكل بهم غيرهم، وأوقع بهم من العقوبة ما يصيرون به عبرة لمن بعدهم { لَعَلَّهُمْ } أي من خلفهم { يَذْكُرُونَ } صنيعهم، لئلا يصيبهم ما أصابهم، وهذه من فوائد العقوبات والحدود المرتبة على المعاصي، أنها سبب لازدجار من لم يعمل المعاصي، بل وزجر لمن عملها أن لا يعاودها.
ودل تقييد هذه العقوبة في الحرب أن الكافر - ولو كان كثير الخيانة سريع الغدر - أنه إذا أُعْطِيَ عهدا لا يجوز خيانتة وعقوبته. اهـ (٧٩)

{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ } (٥٨)

إعراب مفردات الآية (٨٠)

(الواو) استئنافية (إمّا تخافنّ) مثل إمّا تتقفنّ «(٨١)» (من قوم) جازّ ومجرور متعلق بحال من خيانة- نعت تقدّم على المنعوت- (خيانة) مفعول به منصوب (فانبد إليهم) مثل فشردّ بهم «(٨٢)»، ومفعول انبذ محذوف أي العهد (على سواء) جازّ ومجرور حال من الفاعل والمفعول معا أي حال كونكم مستوين معهم أو حال كونهم مستوين معكم... في العلم بنقض العهد (إنّ) حرف مشبّه بالفعل (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (لا) نافية (يجبّ) مضارع مرفوع، والفاعل هو (الخائنين) مفعول به منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ }

-قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: يقول تعالى لنبيه، صلوات الله وسلامه عليه { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ } قد عاهدتهم { خِيَانَةً } أي: نقضًا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود، { فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ } أي: عهدهم { عَلَى سَوَاءٍ } أي: أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم، وهم حرب لك، وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء، أي: تستوي أنت وهم في ذلك، قال الراجز. فَاضْرِبْ وَجْهَ الْغُدرِ الْأَعْدَاءِ حَتَّى يَجِيْبُوكَ إِلَى السَّوَاءِ

(٧٩)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (١/ ٣٢٤)

(٨٠)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٠/٢٤٨)

(٨١) - في الآية (٥٦) من هذه السورة.

(٨٢) - في الآية (٥٦) من هذه السورة.

وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله: { فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ } أي: على مهل، { إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْخَائِنِينَ } أي: حتى ولو في حق الكفارين، لا يجبها أيضًا. اهـ (٨٣)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- فائدة جلييلة من الآية قال: ودلت الآية على أنه إذا وجدت الحيانة المحققة
منهم لم يحتج أن ينبذ إليهم عهدهم، لأنه لم يخف منهم، بل علم ذلك، ولعدم الفائدة ولقوله: { عَلَى
سَوَاءٍ } وهنا قد كان معلوما عند الجميع غدرهم.

ودل مفهومها أيضا أنه إذا لم يُخَفَّ منهم خيانتها، بأن لم يوجد منهم ما يدل على ذلك، أنه لا يجوز نبذ
العهد إليهم، بل يجب الوفاء إلى أن تتم مدته. اهـ (٨٤)

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ } (٥٩)

إعراب مفردات الآية (٨٥)

(الواو) استثنائية (لا) ناهية جازمة (تحسبن) مضارع مبني على الفتح في محلّ جزم و(النون) للتوكيد (الذين)
اسم موصول مبني في محلّ رفع فاعل «(٨٦)»، والمفعول الأول محذوف تقديره أنفسهم (كفروا) فعل
ماض وفاعله (سبقوا) مثل كفروا (إنّ) حرف توكيد ونصب و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (لا)
نافية (يعجزون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ }

-قال القرطبي- رحمه الله- في بيانها ما مختصره: قوله تعالى: { ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا } أي من أفلت
من وقعة بدر سبق إلى الحياة. ثم استأنف فقال: "إنهم لا يعجزون" أي في الدنيا حتى يظفرك الله بهم.
وقيل: يعني في الآخرة. وهو قول الحسن. اهـ (٨٧)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في بيانها فقال ما نصه: يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: { ولا تحسبن }
يا محمد { الذين كفروا سبقوا } أي: فاتونا فلا نقدر عليهم، بل هم تحت قهر قدرتنا وفي قبضة مشيئتنا فلا
يعجزوننا، كما قال تعالى: { أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء ما يحكمون } [العنكبوت]:

(٨٣)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٧٩)

(٨٤)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١ / ٣٢٤)

(٨٥)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٢٥٤/١٠)

(٨٦) - أجاز العكبري جعل الفاعل مقدرا أي (من خلفهم) أو (أحد)، فالموصول يصبح مفعولا به أول.

(٨٧)--الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٨/٣٣)

[٤] أي: يظنون، وقال تعالى: { لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض وماوأهم النار وليئس المصير } [النور: ٥٧]، وقال تعالى { لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد } [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]. اهـ (٨٨)

{ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ (٦٠) }
إعراب مفردات الآية (٨٩)

(الواو) استثنائية (أعدوا) فعل أمر مبني على حذف النون... والواو فاعل (اللام) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أعدوا)، (ما) اسم موصول في محلّ نصب مفعول به (استطعتم) فعل ماض وفاعله (من قوّة) جارّ ومجرور متعلّق بحال من العائد المحذوف (الواو) عاطفة (من رباط) جارّ ومجرور متعلّق بما تعلّق به من قوّة (الخيال) مضاف إليه مجرور (ترهبون) مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون.. والواو فاعل (الباء) حرف جرّ و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (ترهبون)، (عدوّ) مفعول به منصوب (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (عدوكم) معطوف على الأول منصوب... و(كم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (آخرين) معطوف على عدوّ الأول منصوب وعلامة النصب الياء (من دون) جارّ ومجرور نعت لآخرين و(هم) مضاف إليه (لا) نافية (تعلمون) مثل ترهبون و(هم) ضمير مفعول به (اللّه) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (يعلم) مضارع مرفوع و(هم) مثل السابق... والمفعول الثاني للفعل محذوف تقديره فازعين أو محاربين، والظاهر أنّ الفعل الأول متعدّد لواحد أي لا تعرفوهم (الواو) عاطفة (ما) اسم شرط جازم مبنيّ في محلّ نصب مفعول به مقدّم (تنفقوا) مضارع مجزوم فعل الشرط وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (من شيء) تمييز منصوب أو حال منصوبة (في سبيل) جارّ ومجرور متعلّق بفعل (تنفقوا) (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (يوفّ) مضارع مجزوم جواب الشرط وعلامة الجزم حذف العلة مبنيّ للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو (إليكم) مثل لهم متعلّق ب (يوفّ)، (الواو) حالية (أنتم) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (لا) نافية (تظلمون) مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع... والواو نائب الفاعل.

روائع البيان والتفسير

{ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ }

(٨٨) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٨٠/٤)

(٨٩) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق

(٢٥٥/١٠)

- قال السعدي في تفسيرها-رحمه الله- ما نصه: أي { وَأَعِدُّوا } لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. { مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ } أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطائرات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلَّمُ الرِّمِّيُّ، والشجاعة والتدبير.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: "ألا إن القوة الرَّمِّيُّ" (٩٠) ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال ولهذا قال تعالى: { وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ } وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

فإذا كان شيء موجود أكثر إرهاباً منها، كالسيارات البرية والهوائية، المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأموراً بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلم الصناعة، وحب ذلك، لأن ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب { وَقوله: } تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ { ممن تعلمون أنهم أعداؤكم. اهـ (٩١)

{ وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَأَتَعَلَّمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ }

-فسرها البغوي-رحمه الله فقال: أي: وترهبون آخرين، { من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم } قال مجاهد ومقاتل وقتادة: هم بنو قريظة. وقال السدي: هم أهل فارس. وقال الحسن وابن زيد: هم المنافقون، لا تعلمونهم، لأنهم معكم يقولون: لا إله إلا الله. وقيل: هم كفار الجن.

{ وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم } يوفى لكم أجره، { وأنتم لا تظلمون } لا تنقص أجوركم. اهـ (٩٢)

-وزاد أبو جعفر الطبري-رحمه الله- بيانا لقوله تعالى: { وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَأَتَعَلَّمُونَهُمْ } فقال ما مختصره:، فإن قول من قال: عني به الجن، أقرب وأشبه بالصواب، لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله: { ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم }، الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم،

(٩٠) - أخرجه مسلم بسنده من حديث عقبة بن عامر-رضي الله عنه- (برقم/ ١٩١٧) - باب فضل الرمي والحث عليه، واذم من علمه ثم نسيه

(٩١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٤/١)

(٩٢) - انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٣٧٣/٣)

ولا شك أن المؤمنين كانوا عاملين بعداوة قريظة وفارس لهم، لعلمهم بأنهم مشركون، وأنهم لهم حرب. ولا معنى لأن يقال: وهم يعلمونهم لهم آدم لا يرونهم. وقيل: إن سهيل الخيل يهرب الجن، وأن الجن لا تقرب دارًا فيها فرس.

ثم أضاف - رحمه الله -:

فإن قال قائل: فإن المؤمنين كانوا لا يعلمون ما عليه المنافقون، فما تنكر أن يكون غني بذلك المنافقون؟ قيل: فإن المنافقين لم يكن تروعهم خيل المسلمين ولا سلاحهم، وإنما كان يرؤوهم أن يظهر المسلمون على سرايرهم التي كانوا يستسرون من الكفر، وإنما أمر المؤمنون بإعداد القوة لإرهاب العدو، فأما من لم يرهبه ذلك، فغير داخل في معنى من أمر بإعداد ذلك له المؤمنون. اهـ (٩٣)

{ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) }

إعراب مفردات الآية (٩٤)

(الواو) عاطفة (إن) حرف شرط جازم (جنحوا) ماض مبني على الضم في محل جزم فعل الشرط... والواو فاعل (للسلم) جازر ومجرور متعلق ب (جنحوا)، (الفاء) رابطة لجواب الشرط (اجنح) فعل أمر، والفاعل أنت (لها) مثل لهم متعلق ب (اجنح)، (الواو) عاطفة (توكل) مثل اجنح (على الله) جازر ومجرور متعلق ب (توكل)، (إن) حرف مشبه بالفعل - ناسخ - و(هاء) ضمير في محل نصب اسم إن (هو) ضمير فصل «(٩٥)»، (السميع) خبر إن مرفوع (العليم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في بيانها ما مختصره وبتصرف يسير: يقول تعالى: إذا خفت من قوم خيانة فانبد إليهم عهدهم على سواء، فإن استمروا على حرك ومنازعتك فقاتلهم، { وَإِنْ جَنَحُوا } أي: مالوا { لِلسَّلْمِ } أي: المسالمة والمصالحة والمهادنة، { فَاجْنَحْ لَهَا } أي: فملى إليها، واقبل منهم ذلك؛ ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين؛ أجابهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر.

(٩٣) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٢٤٣) / ٣٧/١٤ /

(٩٤) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٢٥٥/١٠)

(٩٥) - أو ضمير منفصل مبتدأ خبره السميع، والجملة الاسمية خبر إن.

ثم قال - رحمه الله -:

وقول ابن عباس، ومجاهد، وزيد بن أسلم، وعطاء الخراساني، وعكرمة، والحسن، وقتادة: إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في "براءة": { قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ } الآية [التوبة: ٢٩] فيه نظر أيضاً؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إذا كان العدو كثيفاً، فإنه تجوز مهادنتهم، كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص، والله أعلم. اهـ (٩٦)

-وزاد السعدي - رحمه الله في بيانها وذكر فوائد جلية فقال ما مختصره: قول تعالى: { وَإِنْ جَنَحُوا عَلَىٰ آلِهِمْ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } أي: أجبهم إلى ما طلبوا متوكلاً على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة.

والكفار المحاربون، أي: مالوا { لِلسَّلَامِ } أي: الصلح وترك القتال.

{ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ } أي: أجبهم إلى ما طلبوا متوكلاً على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة.

منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

ومنها: أن في ذلك إجماعاً لقواكم، واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك.

ومنها: أنكم إذا أصلحتهم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر، فإن الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، فكل من له عقل وبصيرة إذا كان معه إنصاف فلا بد أن يؤثره على غيره من الأديان، لحسنه في أوامره ونواهيه، وحسنه في معاملته للخلق والعدل فيهم، وأنه لا جور فيه ولا ظلم بوجه، فحينئذ يكثر الراغبون فيه والمتبعون له، فصار هذا السلم عوناً للمسلمين على الكافرين، ولا يخاف من السلم إلا خصلة واحدة، وهي أن يكون الكفار قصدهم بذلك خدع المسلمين، وانتهاز الفرصة فيهم. اهـ (٩٧)

(٩٦) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/٨٣)

(٩٧) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١/٣٢٥)

{وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَىكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢)}

إعراب مفردات الآية (٩٨)

(الواو) عاطفة (إن يريدوا) أداة شرط وفعل الشرط وعلامة الجزم حذف النون (أن) حرف مصدريّ ونصب (يخدعوا) مضارع منصوب وعلامة النصب حذف النون... والواو فاعل و(الكاف) ضمير مفعول به (الفاء) رابطة لجواب الشرط (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (حسب) اسم أنّ منصوب و(الكاف) ضمير مضاف إليه (اللّه) لفظ الجلالة خبر مرفوع.

والمصدر المؤوّل (أن يخدعوك) في محلّ نصب مفعول به.

(هو) ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ (الذي) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع خبر (أيّد) فعل ماضٍ، والفاعل هو و(الكاف) مثل السابق (بنصر) جارّ ومجرور متعلّق ب (أيّد)، (والهاء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (بالمؤمنين) جارّ ومجرور متعلّق بما تعلّق به الجارّ السابق فهو معطوف عليه، وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي آتَىكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ }

- قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً: يقول تعالى ذكره: وإن يرد، يا محمد، هؤلاء الذين أمرتك بأن تنبذ إليهم على سواء إن خفت منهم خيانة، وبمسألتهم إن جنحوا للسلم، خداعك والمكر بك {فإن حسبك الله}، يقول: فإن الله كافيكهم وكافيك خداعهم إياك، لأنه متكفل بإظهار دينك على الأديان، ومتضمنٌ أن يجعل كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى {هو الذي أنصره}، يقول: الله الذي قواك بنصره إياك على أعدائه {وبالمؤمنين}، يعني بالأنصار. اهـ (٩٩)

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ (٦٣)}

إعراب مفردات الآية (١٠٠)

(٩٨)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٢٥٦/١٠)

(٩٩)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٢٥٢)

(٤٤/١٤/)

(١٠٠)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -

دمشق(٢٥٦/١٠)

(الواو) عاطفة (ألف) مثل أيد (بين) ظرف مكان منصوب متعلق ب (ألف)، (قلوب) مضاف إليه مجرور و(هم) ضمير مضاف إليه (لو) حرف شرط غير جازم (أنفقت) فعل ماض وفاعله (ما) اسم موصول مبني في محلّ نصب مفعول به (في الأرض) جارّ ومجرور متعلق بمحذوف صلة ما (جميعا) حال منصوبة (ما) حرف نفي (ألفت) مثل أنفقت (بين قلوبهم) مثل الأول متعلق ب (ألفت)، (الواو) عاطفة (لكنّ) حرف استدراك ونصب (الله) لفظ الجلالة اسم لكنّ منصوب (ألف) مثل أيد (بين) مثل الأول متعلق ب (ألف)، و(هم) ضمير مضاف إليه (إنّه عزيز حكيم) مثل إنّ الله قويّ شديد «(١٠١)».

روائع البيان والتفسير

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها: { وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ } فاجتمعوا واثتلفوا، وازدادت قوتهم بسبب اجتماعهم، ولم يكن هذا بسعي أحد، ولا بقوة غير قوة الله، فلو أنفقت ما في الأرض جميعا من ذهب وفضة وغيرهما لتأليفهم بعد تلك النفرة والفرقة الشديدة { مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ } لأنه لا يقدر على تقليب القلوب إلا الله تعالى.

{ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } ومن عزته أن ألف بين قلوبهم، وجمعها بعد الفرقة كما قال تعالى: { وَادْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا } اهـ (١٠٢)

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } (٦٤)

إعراب مفردات الآية (١٠٣)

(يا) أداة نداء (أيّ) منادى نكرة مقصودة مبني على الضمّ في محلّ نصب و(ها) حرف تنبيه (النبيّ) بدل من أيّ أو عطف بيان له تبعه في الرفع لفظا (حسبك) مبتدأ مرفوع- و(الكاف) ضمير مضاف إليه (الله) لفظ الجلالة خبر مرفوع (الواو) عاطفة (من) اسم موصول مبني في محلّ رفع معطوف على لفظ الجلالة

(١٠١) - في الآية (٥٢) من هذه السورة.

(١٠٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١/ ٣٢٥)

(١٠٣) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

«(١٠٤)»، (اتَّبَعَ) فعل ماضٍ، والفاعل هو و(الكاف) ضمير مفعول به (من المؤمنين) جازّ ومجرور متعلّق بحال من ضمير الخطاب.

روائع البيان والتفسير

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ } أي: كافيك { وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ } أي: وكافي أتباعك من المؤمنين، وهذا وعد من الله لعباده المؤمنين المتبعين لرسوله، بالكفاية والنصرة على الأعداء.

فإذا أتوا بالسبب الذي هو الإيمان والاتباع، فلا بد أن يكفيهم ما أهمهم من أمور الدين والدنيا، وإنما تتخلف الكفاية بتخلف شرطها. اهـ (١٠٥)

-وأضاف البغوي- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره:

واختلفوا في محل "من" فقال أكثر المفسرين محله خفض، عطفا على الكاف في قوله: { حسبك الله } وحسب من اتبعك، وقال بعضهم: هو رفع عطفا على اسم الله معناه: حسبك الله ومتبعوك من المؤمنين. اهـ (١٠٦)

-ورفع ابن القيم- رحمه الله - هذا الإشكال اللغوي وذكر في بيانها فوائد جليلة فقال ما مختصره:

أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك. فلا يحتاجون معه إلى أحد. وهاهنا تقديران.

أحدهما: أن تكون الواو عاطفة «من» على الكاف المجرورة، ويجوز العطف على الضمير المجرور بدون إعادة الجار على المذهب المختار وشواهد كثيرة وشبه المنع منه واهية.

والثاني أن تكون الواو واو المعية وتكون «من» في محل نصب عطفا على الموضع فإن «حسبك» في معنى كافيك، أي الله يكفيك ويكفي من اتبعك، كما تقول العرب: حسبك وزيدا درهم قال الشاعر:

إذا كانت الهيجاء وانشقت العصا... فحسبك والضحاك سيف مهند

وهذا أصح التقديرين:

وفيها تقدير ثالث: أن تكون «من» في موضع رفع بالابتداء أي: ومن اتبعك من المؤمنين حسبهم الله.

وفيها تقدير رابع- وهو خطأ من جهة المعنى- وهو أن يكون «من» في موضع رفع عطفا على اسم الله، ويكون المعنى: حسبك الله وأتباعك.

(١٠٤) - أو هو خبر لمبتدأ محذوف تقديره حسبك ... والواو لعطف الجمل.

(١٠٥) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٥/١)

(١٠٦) - انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٣ / ٣٧٤)

وهذا- وإن قال به بعض الناس- فهو خطأ محض لا يجوز حمل الآية عليه فإن الحسب والكفاية لله وحده، كالتوكل والتقوي والعبادة. قال الله تعالى: ٨: ٦٢ { وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ، هُوَ الَّذِي أَيْدِكَ نَصْرَهُ وَبِالْمُؤْمِنِينَ }

ففرق بين الحبيب والتأييد. فجعل الحبيب له وحده، وجل التأييد له بنصره وبعيادته.

وأثنى الله سبحانه على أهل التوحيد والتوكل من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال تعالى: ٣: ١٧٣ { الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ: إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ } ولم يقولوا: حسبنا الله ورسوله. فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم بذلك، فكيف يقول لرسوله «الله وأتباعك حسبك» وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب ولم يشركوا بينه وبين رسوله فيه؟ فكيف يشرك الله بينهم وبينه في حسب رسوله؟ هذا من أمحل المحال، وأبطل الباطل.

ونظير هذا قوله تعالى: ٩: ٥٩ { وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ. إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ }.

وتأمل كيف جعل الإيتاء لله ولرسوله. كما قال تعالى: ٥٩: ٧ { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ } وجعل الحسب له وحده، فلم يقل: وقالوا حسبنا الله ورسوله، بل جعله خالص حقه، كما قال تعالى: { إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } ولم يقل: وإلى رسوله، بل جعل الرغبة إليه وحده، كما قال تعالى: ٩٤: ٧، ٨ { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ }.

فالرغبة والتوكل والإنابة والحسب لله وحده، كما أن العبادة والتقوى والسجود لله وحده والنذر والحلف لا يكون إلا له سبحانه وتعالى.

ونظير هذا: قوله تعالى: ٣٩: ٣٦ { أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ } فالحسب هو الكافي. فأخبر سبحانه وتعالى أنه وحده كاف عبده. فكيف يجعل أتباعه مع الله في هذه الكفاية؟ والأدلة الدالة على بطلان هذا التأويل الفاسد أكثر من أن تذكرها هنا. اهـ (١٠٧)

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) }

إعراب مفردات الآية (١٠٨)

(١٠٧)- تفسير القرآن الكريم. لابن القيم- (١ / ٣٠٢)

(١٠٨)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(يَأْيُهَا النَّبِيُّ) مَرَّ إِعْرَابُهَا «(١٠٩)»، (حَرَضَ) فَعَلَ أَمْرًا، وَالْفَاعِلُ أَنْتَ (الْمُؤْمِنِينَ) مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ وَعَلَامَةُ النَّصْبِ الْيَاءُ (إِنْ) حَرْفٌ شَرْطٌ جَازِمٌ (يَكُنْ) مُضَارِعٌ نَاقِصٌ-نَاسِخٌ-«(١١٠)» مَجْزُومٌ فَعَلُ الشَّرْطِ (مَنْ) حَرْفٌ

جَرَّ وَ(كَمْ) ضَمِيرٌ فِي مَحَلِّ جَرٍّ مَتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ خَيْرٌ يَكُنْ «(١١١)»، (عَشْرُونَ) اسْمٌ يَكُنْ مُؤَخَّرٌ مَرْفُوعٌ وَعَلَامَةُ الرَّفْعِ الْوَاوُ فَهُوَ مَلْحَقٌ بِجَمْعِ الْمَذْكَرِ السَّالِمِ (صَابِرُونَ) نَعْتٌ لِ (عَشْرُونَ) مَرْفُوعٌ مِثْلَهُ (يَغْلِبُوا) مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ جَوَابُ الشَّرْطِ وَعَلَامَةُ الْجَزْمِ حَذْفُ النُّونِ.. وَالْوَاوُ فَاعِلٌ (مَائَتِينَ) مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ وَعَلَامَةُ النَّصْبِ الْيَاءُ (الْوَاوُ) عَاطِفَةٌ (إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا) مِثْلُ الْأُولَى (مَنْ) حَرْفٌ جَرَّ (الَّذِينَ) اسْمٌ مُوَصُولٌ مَبْنِيٌّ فِي مَحَلِّ جَرٍّ مَتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ نَعْتٌ لِ (أَلْفًا)، (كَفَرُوا) فَعَلُ مَاضٍ وَفَاعِلُهُ (الْبَاءُ) حَرْفٌ جَرَّ لِلْسَّبَبِيَّةِ (أَنَّ) حَرْفٌ مَشَبَّهٌ بِأَفْعَلٍ- نَاسِخٌ- وَ(هَمْ) ضَمِيرٌ فِي مَحَلِّ نَصْبِ اسْمٍ أَنَّ (قَوْمٌ) خَيْرٌ مَرْفُوعٌ (لَا) نَافِيَةٌ (يَفْقَهُونَ) مُضَارِعٌ مَرْفُوعٌ..

روائع البيان والتفسير

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ }

--قال السعدي-رحمه الله- في بيانها: يقول تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ } أي: حثهم وأنهم إليه بكل ما يقوي عزائمهم وينشط همهم، من الترغيب في الجهاد ومقارعة الأعداء، والترهيب من ضد ذلك، وذكر فضائل الشجاعة والصبر، وما يترتب على ذلك من خير في الدنيا والآخرة، وذكر مضار الجبن، وأنه من الأخلاق الرذيلة المنقصة للدين والمروءة، وأن الشجاعة بالمؤمنين أولى من غيرهم { إِنَّ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ } اهـ (١١٢)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرَضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ } أي: حثهم وذمهم عليه، ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على القتال عند صفهم ومواجهة العدو، كما قال لأصحابه يوم بدر، حين أقبل المشركون في عددهم وعددهم: "قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض".

(١٠٩) - في الآية السابقة (٦٤).

(١١٠) - أو تامّ فاعله عشرون.

(١١١) - أو متعلق ب (يكن) التامّ، ويجوز أن يتعلّق بمحذوف حال من (عشرون) إذا كان الفعل تامًا.

(١١٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١/ ٣٢٥)

فقال عمير بن الحُمام (١١٣): عرضها السموات والأرض؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "نعم" فقال: بخ، بخ، فقال: "ما يملكك على قولك بخ بخ؟" قال رجاء أن أكون من أهلها! قال: "فإنك من أهلها" فتقدم الرجل فكسر جفن سيفه، وأخرج تمرات فجعل يأكل منهن، ثم ألقى بقيتهن من يده، وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها حياة طويلة! ثم تقدم فقاتل حتى قتل، رضي الله عنه (١١٤) وقد روي عن سعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير: أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب، وكمل به الأربعون. وفي هذا نظر؛ لأن هذه الآية مدنية، وإسلام عمر كان بمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة، والله أعلم. اهـ (١١٥)

{ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ }

-قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره وبتصرف: ثم قال تعالى مبشرا للمؤمنين وأمرًا: { إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا } كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة.

ثم قال- رحمه الله-: عن ابن عباس قال: لما نزلت: { إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين } شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم ألا يفر واحد من عشرة، ثم جاء التخفيف، فقال: { الآن خفف الله عنكم } إلى قوله: { يغلبوا مائتين } قال: خفف الله عنهم من العدة، ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. اهـ (١١٦)

-وزاد السعدي- رحمه الله بياناً فقال: { إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ } أيها المؤمنون { عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا } يكون الواحد بنسبة عشرة من الكفار، وذلك بأن الكفار { قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ } أي: لا علم عندهم بما أعد الله للمجاهدين في سبيله، فهم يقاتلون لأجل العلو في الأرض والفساد فيها، وأنتم تفقهون المقصود من القتال، أنه لإعلاء كلمة الله وإظهار دينه،

(١١٣) - عمير بن الحمام بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي شهد بدرًا، قاله موسى بن عقبة، وقتل بدير، وهو أول قتيل من الأنصار في الإسلام في حرب، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بينه، وبين عبيدة بن الحارث المظلي، فقتلا يوم بدر جميعًا. -انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير مختصرًا (٤٠٧٢)

(١١٤) - جزء من حديث أخرجه مسلم (برقم/ ١٩٠١) - باب ثبوت اللجنة للشهيد

(١١٥) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٨٦/٤)

(١١٦) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٨٧/٤)

والذب عن كتاب الله، وحصول الفوز الأكبر عند الله، وهذه كلها دواعٍ للشجاعة والصبر والإقدام على القتال. اهـ (١١٧)

{الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)}

إعراب مفردات الآية (١١٨)

(الآن) ظرف زمان مبني على الفتح في محل نصب متعلق ب (خفف) وهو فعل ماضٍ (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (عن) حرف جرّ و (كم) ضمير في محل جرّ متعلق ب (خفف)، (الواو) عاطفة (علم) مثل خفف، والفاعل هو (أنّ) مثل السابق «(١١٩)» (فيكم) مثل عنكم متعلق بمحذوف خبر أنّ مقدم (ضعفا) اسم أنّ مؤخر منصوب.

والمصدر المؤول (أنّ فيكم ضعفا) في محل نصب سدّ مسدّ مفعولي علم.
(الفاء) استثنائية وإن يكن منكم... يغلبوا ألفين) مثل نظيرتيهما «(١٢٠)»، (بإذن) جارّ ومجرور متعلق ب (يغلبوا)، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) استثنائية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (مع) ظرف منصوب متعلق بخبر المبتدأ (الصابرين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

البخاري (ج/٩ ص ٣٨٢) عن ابن عباس: لما نزلت {إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ} شق ذلك على المسلمين حين فرض ألا يفر واحد من عشرة فجاء التخفيف فقال {الآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ}. اهـ (١٢١)

(١١٧) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٥/١)

(١١٨) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

(٢٦١/١٠)

(١١٩) - في الآية السابقة (٦٥).

(١٢٠) - في الآية السابقة (٦٥).

(١٢١) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - في الصحيح المسند من أسباب

النزول (ص/ ١٠٣) بتصرف: الحديث أخرجه ابن راهوية كما في المطالب العالية ج ٣ ص ٣٣٦ بلفظ فأنزله الله {إِنْ

{الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٦٦)}

-قال السعدي-رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً بعد ما ذكره أنفاً في تفسيره للآية السابقة ما نصه:

ثم إن هذا الحكم خففه الله على العباد فقال: {الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا} فلذلك اقتضت رحمته وحكمته التخفيف، {فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} بعونه وتأييده.

وهذه الآيات صورتها صورة الإخبار عن المؤمنين، بأنهم إذا بلغوا هذا المقدار المعين يغلبون ذلك المقدار المعين في مقابلته من الكفار، وأن الله يمتن عليهم بما جعل فيهم من الشجاعة الإيمانية. ولكن معناها وحقيقتها الأمر وأن الله أمر المؤمنين - في أول الأمر - أن الواحد لا يجوز له أن يفر من العشرة، والعشرة من المائة، والمائة من الألف.

ثم إن الله خفف ذلك، فصار لا يجوز فرار المسلمين من مثليهم من الكفار، فإن زادوا على مثليهم جاز لهم الفرار، ولكن يرد على هذا أمران:

أحدهما: أنها بصورة الخبر، والأصل في الخبر أن يكون على بابه، وأن المقصود بذلك الامتنان والإخبار بالواقع.

والثاني: تقييد ذلك العدد أن يكونوا صابرين بأن يكونوا متدربين على الصبر.

ومفهوم هذا أنهم إذا لم يكونوا صابرين، فإنه يجوز لهم الفرار، ولو أقل من مثليهم إذا غلب على ظنهم الضرر كما تقتضيه الحكمة الإلهية.

ويجاب عن الأول بأن قوله: {الآن خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ} إلى آخرها، دليل على أن هذا أمر لازم وأمر محتتم، ثم إن الله خففه إلى ذلك العدد، فهذا ظاهر في أنه أمر، وإن كان في صيغة الخبر.

وقد يقال: إن في إتيانه بلفظ الخبر، نكتة بديعة لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر، وهي تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سيغلبون الكافرين.

يَكُنْ} الآية، وابن الجارود ص ٣٥٠، وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ج ١ ص ٦٧٦، وابن جرير ج ١٠ ص ٤٠، وأبو داود ج ٢ ص ٣٤٩.

وقال الهيثمي في المجمع ج ٧ ص ٢٨ رواه الطبراني في الأوسط والكبير باختصار ورجال الأوسط رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.

ويجاب عن الثاني: أن المقصود بتقييد ذلك بالصابرين، أنه حث على الصبر، وأنه ينبغي منكم أن تفعلوا الأسباب الموجبة لذلك فإذا فعلوها صارت الأسباب الإيمانية والأسباب المادية مبشرة بحصول ما أخبر الله به من النصر لهذا العدد القليل. اهـ (١٢٢)

{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُنْخَنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَصَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٦٧) }

إعراب مفردات الآية (١٢٣)

(ما) نافية (كان) فعل ماض ناقص - ناسخ - (لنبي) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر كان (أن) حرف مصدريّ ونصب (يكون) مضارع ناقص - أو تامّ. منصوب (اللام) حرف جرّ و(هاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بخبر يكون - أو ب (يكون) -، (أسرى) اسم يكون - أو فاعله - مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف.

والمصدر المؤوّل (أن يكون...) في محلّ رفع اسم كان.

(حتّى) حرف غاية وجرّ (يثخن) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتّى، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (في الأرض) جارّ ومجرور متعلّق ب (يثخن)، (تريدون) مضارع مرفوع، والفاعل الواو (عرض) مفعول به منصوب، (الدنيا) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (يريد) مضارع مرفوع، والفاعل هو (الآخرة) مفعول به منصوب. والمصدر المؤوّل (أن يثخن) في محلّ جرّ ب (حتّى) متعلّق بمحذوف خبر يكون الناقض - أو ب (يكون) التامّ.

(الواو) استئنافية (الله) مثل الأول (عزيز) خبر مرفوع (حكيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

الحاكم (ج ٢ / ص ٣٢٩) عن ابن عمر - رضي الله عنه - قال: استشار رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الأسارى أبا بكر فقال: قومك وعشيرتك فخل سبيلهم، فاستشار عمر فقال: اقتلهم، قال:

(١٢٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١/

٣٢٥)

(١٢٣) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

(٢٦٢/١٠)

ففداهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأنزل الله ، { مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ } إلى قوله { فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا } قال: فلقي النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عمر قال: "كاد أن يصيبنا بلاء في خلافك". (١٢٤)

{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }

-قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في تفسيره: يقول تعالى ذكره: ما كان لنبي أن يحتبس كافيًا قدر عليه وصار في يده من عبدة الأوثان للفداء أو للمنّ. و"الأسر" في كلام العرب: الحبس، يقال منه: "مأسور"، يراد به: محبوس. ومسموع منهم: "أباله الله أسرًا". وإنما قال الله جل ثناؤه ذلك لنبية محمد صلى الله عليه وسلم، يعرّفه أن قتل المشركين الذين أسرههم صلى الله عليه وسلم يوم بدر ثم فادى بهم، كان أولى بالصواب من أخذ الفدية منهم وإطلاقهم. (١٢٥) -وأضاف السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: هذه معاتبة من الله لرسوله وللمؤمنين يوم { بدر } إذ أسروا المشركين وأبقوهم لأجل الفداء. وكان رأي: أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في هذه الحال، قتلهم واستئصالهم.

فقال تعالى: { مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ } أي: ما ينبغي ولا يليق به إذا قاتل الكفار الذين يريدون أن يطفئوا نور الله ويسعوا لإخماد دينه، وأن لا يبقى على وجه الأرض من يعبد الله، أن يتسرع إلى أسرههم وإبقائهم لأجل الفداء الذي يحصل منهم، وهو عرض قليل بالنسبة إلى المصلحة المقتضية لإبادتهم وإبطال شرهم، فما دام لهم شر وصوله، فالأوفق أن لا يؤسروا. فإذا أثنخوا، وبطل شرهم، واطمحل أمرهم، فحينئذ لا بأس بأخذ الأسرى منهم وإبقائهم. يقول تعالى: { تُرِيدُونَ } بأخذكم الفداء وإبقائهم { عَرَضَ الدُّنْيَا } أي: لا لمصلحة تعود إلى دينكم. { وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ } بإعزاز دينه، ونصر أوليائه، وجعل كلمتهم عالية فوق غيرهم، فيأمركم بما يوصل إلى ذلك.

(١٢٤) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي- رحمه الله- في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص/ ١٠٤) ما نصه: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقال الذهبي قلت على شرط مسلم وقد أخرج مسلم ج ١٢ ص ٨٧. وأبو داود ج ٣ ص ٣. والإمام أحمد ج ١ ص ٣١. وابن أبي حاتم ج ٤ ص ١٩. والطبري ج ١٠ ص ٤٤ من حديث عمر بن الخطاب المتقدم في سورة آل عمران، وعند قوله تعالى: { إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ } نحوه. (١٢٥) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٢٨٥/ ١٤/ ٥٨)

{ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } أي: كامل العزة، ولو شاء أن ينتصر من الكفار من دون قتال لفاعل، لكنه حكيم، يتلى بعضكم ببعض. اهـ (١٢٦)

{ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨) }

إعراب مفردات الآية (١٢٧)

(لولا) حرف شرط غير جازم «(١٢٨)»، (كتاب) مبتدأ مرفوع على حذف مضاف أي حكم كتاب، والخبر محذوف وجوبا تقديره موجود (من الله) جارّ ومجرور نعت لكتاب «(١٢٩)»، (سبق) فعل ماض، والفاعل هو (اللام) رابطة لجواب لولا (مسّ) مثل سبق و (كم) ضمير مفعول به (في) حرف جرّ (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ متعلّق ب (مسّكم)، والعائد محذوف أي أخذتموه (أخذتم) فعل ماض مبنيّ على السكون...

و(تم) ضمير فاعل (عذاب) فاعل مسّكم (عظيم) نعت لعذاب مرفوع مثله.

روائع البيان والتفسير

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

(الطيالسي ج ٢ /ص ١٩) عن أبي هريرة قال: لما كان يوم بدر تعجل الناس إلى الغنائم فأصابوها فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: "إن الغنيمة لا تحل لأحد سود الرؤوس غيركم" وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه إذا غنموا غنيمة جمعوها ونزلت نار فأكلتها فأنزل الله هذه الآية: { لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ } إلى آخر الآيتين. اهـ (١٣٠)

(١٢٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١/٣٢٦)

(١٢٧) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

١٠/٢٦٤

(١٢٨) - حرف امتناع لوجود.

(١٢٩) - أو متعلّق ب (سبق) .

(١٣٠) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - في الصحيح المسند من أسباب

النزول (ص/ ١٠٤) ما نصه: الحديث أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح ج ٤ ص ١١٣ وابن الجارود ص ٣٥٨

وقال المعلق عليه ورواه أحمد، والنسائي، وابن حبان ص ٤٠٢ من الموارد، وابن جرير ج ١٠ ص ٤٦، وابن أبي حاتم ج ٤

ص ٢٠، والبيهقي ج ٦ ص ٢٩٠، والطحاوي في مشكل الآثار ج ٤ ص ٢٩٢.

وأخرج الحاكم وقال على شرط الشيخين وأقره الذهبي ج ٢ ص ٣٣٠، وابن راهويه كما في المطالب ج ٤ ص ١٥٠ عن

خيشمة قال: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في نفر فذكروا عليا فشتموه فقال سعد: مهلا عن أصحاب رسول الله

{لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ}

-قال البغوي -رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: قوله تعالى: {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ} قال ابن عباس: كانت الغنائم حراما على الأنبياء والأمم فكانوا إذا أصابوا شيئا من الغنائم جعلوه للقریان، فكانت تنزل نار من السماء فتأكله، فلما كان يوم بدر أسرع المؤمنون في الغنائم وأخذوا الفداء، فأنزل الله عز وجل: "لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ" يعني لولا قضاء من الله سبق في اللوح المحفوظ بأنه يحل لكم الغنائم. وقال الحسن ومجاهد وسعيد بن جبیر: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يعذب أحدا ممن شهد بدرًا مع النبي صلى الله عليه وسلم.

وقال ابن جريج: لولا كتاب من الله سبق أنه لا يضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون، وأنه لا يأخذ قوما فعلوا أشياء بجهالة {لمسكم} لنا لكم وأصابكم، {فيما أخذتم} من الفداء قبل أن تؤمروا به، {عذاب عظيم} اهـ. (١٣١)

-قلت: وقد افاض أبو جعفر الطبري -رحمه الله- في ذكر أقوال السلف في تفسيراتهم لهذه الآية والتي ذكر بعضها الإمام البغوي -رحمه الله- أنفأ ثم قال ما نصه: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، ما قد بيناه قبل. وذلك أن قوله: {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ}، خبر عامٌ غير محصور على معنى دون معنى، وكل هذه المعاني التي ذكرتها عن ذكر، مما قد سبق في كتاب الله أنه لا يؤخذ بشيء منها هذه الأمة، وذلك: ما عملوا من عمل بجهالة، وإحلال الغنيمة، والمغفرة لأهل بدر، وكل ذلك مما كتب لهم. وإذا كان ذلك كذلك، فلا وجه لأن يخص من ذلك معنى دون معنى، وقد عم الله الخبر بكل ذلك، بغير دلالة توجب صحة القول بخصوصه. اهـ. (١٣٢)

صلى الله عليه وعلى آله وسلم فإننا أصبنا ذنبا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأنزل الله عز وجل: {لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} فأرجو أن تكون رحمة من عند الله سبقت لنا. وأخرجه ابن أبي حاتم ج ٤ ص ٢٠ وقد تقدم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه في سبب نزول {وَأَخَذُوا مِنْ مَقَامٍ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى} أن عمر وافق القرآن في شأن أسارى بدر.

(١٣١)-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٣ / ٣٧٧)

(١٣٢)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة

(١٦٣١٨ / ١٤ / ٧١)

{فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)}

إعراب مفردات الآية (١٣٣)

فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)

(الفاء) عاطفة (كلوا) فعل أمر مبني على حذف النون... والواو فاعل (من) حرف جرّ (ما) مثل السابق «(١٣٤)» متعلّق ب(كلوا)، (غنمتم) مثل أخذتم «(١٣٥)»، (حلالا) حال منصوبة «(١٣٦)» من العائد المقدّر (طيّبا) حال ثانية منصوبة أو نعت ل (حلالا) منصوب «(١٣٧)»، (الواو) عاطفة (اتّقوا) مثل كلوا (الله) لفظ الجلالة مفعول به منصوب (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (غفور) خبر مرفوع (رحيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }

- قال السعدي - رحمه الله - في تفسيره للآية ما نصه: {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا} وهذا من لطفه تعالى بهذه الأمة، أن أحل لها الغنائم ولم يحلها لأمة قبلها. {وَاتَّقُوا اللَّهَ} في جميع أموركم ولازموها، شكرا لنعم الله عليكم،. {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ} يغفر لمن تاب إليه جميع الذنوب،. ويغفر لمن لم يشرك به شيئا جميع المعاصي. {رَحِيمٌ} بكم، حيث أباح لكم الغنائم وجعلها حلالا طيبا. اهـ (١٣٨)

(١٣٣)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٠/٢٦٥)

(١٣٤) - في الآية السابقة (٦٨).

(١٣٥) - في الآية السابقة (٦٨).

(١٣٦) - يجوز أن يكون مفعولا مطلقا نائبا عن المصدر لأنه صفته أي أكلا حلالا.

(١٣٧) - انظر الآية (١٦٨) من سورة البقرة ففيها مزيد من أوجه الإعراب.

(١٣٨) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١/٣٢٦)

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٠) }

إعراب مفردات الآية (١٣٩)

(يَأْتِيهَا النَّبِيُّ) مَرَّ إِعْرَابُهَا «(١٤٠)»، (قُلْ) فَعَلٌ أَمْرٌ، وَالْفَاعِلُ أَنْتَ (اللام) حَرْفٌ جَرَّ (مَنْ) اسْمَ مَوْصُولٍ مَبْنِيٍّ فِي مَحَلِّ جَرِّ مُتَعَلِّقٌ بِ (قُلْ)، (فِي أَيْدِي) جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ صِلَةٌ مِنْ، وَعَلَامَةُ الْجَرِّ الْكَسْرَةُ الْمَقْدَرَةُ عَلَى الْبَاءِ وَ (كَمْ) ضَمِيرٌ مُضَافٌ إِلَيْهِ (مَنْ الْأَسْرَى) جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ حَالٌ مِنَ الْمَوْصُولِ «(١٤١)» وَعَلَامَةُ الْجَرِّ الْكَسْرَةُ الْمَقْدَرَةُ عَلَى الْأَلْفِ (إِنْ) حَرْفٌ شَرْطٌ جَازِمٌ (يَعْلَمُ) مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ فَعَلٌ الشَّرْطُ، وَحَرَكٌ بِالْكَسْرِ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ (اللَّهُ) لَفْظُ الْجَلَالَةِ فَاعِلٌ مَرْفُوعٌ (فِي قُلُوبِ) جَارٌّ وَمَجْرُورٌ مُتَعَلِّقٌ بِمَحذُوفٍ مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ وَ (كَمْ) ضَمِيرٌ مُضَافٌ إِلَيْهِ (خَيْرًا) مَفْعُولٌ بِهِ مَنْصُوبٌ (يُؤْتِ) مُضَارِعٌ مَجْزُومٌ جَوَابُ الشَّرْطِ وَعَلَامَةُ الْجَزْمِ حَذْفُ حَرْفِ الْعَلَّةِ وَ (كَمْ) ضَمِيرٌ مَفْعُولٌ بِهِ، وَالْفَاعِلُ هُوَ (خَيْرًا) مَفْعُولٌ بِهِ ثَانٍ مَنْصُوبٌ (مِمَّا) مَرَّ إِعْرَابُهَا «(١٤٢)» مُتَعَلِّقٌ بِاسْمِ التَّفْضِيلِ (خَيْرًا)، (أَخَذَ) فَعَلٌ مَاضٍ مَبْنِيٍّ لِلْمَجْهُولِ وَنَائِبُ الْفَاعِلِ ضَمِيرٌ مُسْتَتِرٌ تَقْدِيرُهُ هُوَ وَهُوَ الْعَائِدُ (مِنْكُمْ) حَرْفٌ جَرَّ وَضَمِيرٌ فِي مَحَلِّ جَرِّ مُتَعَلِّقٌ بِ (أَخَذَ)، (الوَاو) عَاطِفَةٌ (يَغْفِرُ) مِثْلُ يَأْتِ وَمَعْطُوفٌ عَلَيْهِ (لَكُمْ) مِثْلُ مِنْكُمْ مُتَعَلِّقٌ بِ (الوَاو) عَاطِفَةٌ (اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) مَرَّ إِعْرَابُ نَظِيرِهَا «(١٤٣)».

روائع البيان والتفسير

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }

- قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما مختصره: وهذه نزلت في أسارى يوم بدر، وكان في جملتهم العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما طلب منه الفداء، ادّعى أنه مسلم قبل ذلك، فلم يسقطوا عنه الفداء، فأنزل الله تعالى جبراً لحاظه ومن كان على مثل حاله.

(١٣٩)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

(٢٦٦/١٠)

(١٤٠) - في الآية (٦٤) من هذه السورة.

(١٤١) - أو من الضمير المستكن في الصلة المقدرة.

(١٤٢) - في الآية السابقة (٦٩).

(١٤٣) - في الآية (٦٧) من هذه السورة.

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَىٰ إِنَّ يَعْلَمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أَخَذَ مِنْكُمْ }
أي: من المال، بأن ييسر لكم من فضله، خيرا وأكثر مما أخذ منكم.

{ وَيَعْفِرْ لَكُمْ } ذنوبكم، ويدخلكم الجنة وقد أنجز الله وعده للعباس وغيره، فحصل له -بعد ذلك- من المال شيء كثير، حتى إنه مرة لما قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مال كثير، أتاه العباس فأمره أن يأخذ منه بثوبه ما يطيق حمله، فأخذ منه ما كاد أن يعجز عن حمله (١٤٤). اهـ (١٤٥)

{ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (٧١)

إعراب مفردات الآية (١٤٦)

(الواو) عاطفة (إن يريدوا) مرّ إعرابها «(١٤٧)»، (خيانة) مفعول به منصوب و(الكاف) ضمير مضاف إليه (الفاء) رابطة لجواب الشرط (قد) حرف تحقيق (خانوا) فعل ماض وفاعله (اللّه) لفظ الجلالة مفعول به منصوب (من) حرف جرّ (قبل) اسم مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ متعلّق ب (خانوا)، (الفاء) عاطفة (أمكن) فعل ماض والفاعل هو (منهم) مثل منكم «(١٤٨)» متعلّق ب (أمكن)، (والله عليم حكيم) مرّ إعراب نظيرها «(١٤٩)».

(١٤٤) - يشير المصنف لحديث أنس-رضي الله عنه -ومتنه" أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين، فقال: «انثروه في المسجد»، فكان أكثر مال أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاءه العباس، فقال: يا رسول الله، أعطني إني فاديت نفسي وفاديت عقيلًا، قال: «خذ»، فحنا في ثوبه، ثم ذهب يقله فلم يستطع، فقال: أوامر بعضهم يرفعه إلي، قال: «لا» قال: فارفعه أنت علي، قال: «لا»، فنثر منه، ثم ذهب يقله فلم يرفعه، فقال: فمر بعضهم يرفعه علي، قال: «لا»، قال: فارفعه أنت علي، قال: «لا»، فنثر منه، ثم احتمله على كاهله، ثم انطلق فما زال يتبعه بصره حتى خفي علينا، عجا من حرصه، فما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وثم منها درهم" والحديث أخرجه البخاري وغيره واللفظ له (برقم / ٣١٦٥) - اب ما أقطع النبي صلى الله عليه وسلم من البحرين

(١٤٥) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٧/١)

(١٤٦) -انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٢٦٦/١٠)

(١٤٧) - في الآية (٦٢).

(١٤٨) - في الآية (٦٦) من هذه السورة.

(١٤٩) - في الآية (٦٧) من هذه السورة.

روائع البيان والتفسير

{ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }

- قال أبو جعفر الطبري في بيانهما ما نصه: يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن يرد هؤلاء الأسارى الذين في أيديكم { خيانتك }، أي الغدر بك والمكر والخداع، بإظهارهم لك بالقول خلاف ما في نفوسهم { فقد خانوا الله من قبل }، يقول: فقد خالفوا أمر الله من قبل وقعة بدر، وأمكن منهم بيدر المؤمنين { والله عليم }، بما يقولون بألسنتهم ويضمرونه في نفوسهم { حكيم }، في تدبيرهم وتدبير أمور خلقه سواهم. اهـ (١٥٠)

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرْتُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } (٧٢)

إعراب مفردات الآية (١٥١)

(إنّ) حرف مشبّه بالفعل (الذين) اسم موصول في محلّ نصب اسم إنّ (آمنوا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ والواو فاعل (الواو) عاطفة في المواضع الخمسة (هاجروا، جاهدوا، آووا، نصروا) مثل آمنوا (بأموال) جارّ ومجرور متعلّق ب (جاهدوا)، و(هم) ضمير مضاف إليه (أنفسهم) مثل أموالهم ومعطوف عليه (في سبيل) جارّ ومجرور متعلّق ب (جاهدوا)، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الذين) معطوف على الأولى (أولئك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ. و(الكاف) حرف خطاب (بعض) مبتدأ ثان مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (أولياء) خبر المبتدأ بعض مرفوع (بعض) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (الذين) اسم موصول في محلّ رفع مبتدأ (آمنوا) مثل الأولى (الواو) عاطفة (لم) حرف نفي وحزم وقلب (يهاجروا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (ما) حرف نفي (لكم) مثل المتقدّم» متعلّق بمحذوف خبر مقدّم (من ولاية) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من شيء و(هم) ضمير مضاف إليه (من) حرف جرّ زائد (شيء) مجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ مؤخّر (حتّى) حرف غاية وجرّ (يهاجروا) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتّى وعلامة النصب حذف النون.. والواو فاعل (الواو) عاطفة (إن) حرف شرط جازم (استنصروا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ في محلّ جزم فعل الشرط...

(١٥٠) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر : مؤسسة الرسالة

(١٦٣٢٧ / ١٤ / ٧٥)

(١٥١) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق

(٢٦٧ / ١٠)

والواو فاعل و(كم) ضمير مفعول به (في الدين) جازّ ومجرور متعلق بفعل (استنصروكم) (الفاء) رابطة لجواب الشرط (على) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ، والجار والمجرور خبر مقدّم (النصر) مبتدأ مؤخّر مرفوع (إلا) أداة استثناء (على قوم) جازّ ومجرور متعلق بمحذوف هو المنصوب على الاستثناء أي إلا النصر على قوم (بين) ظرف مكان منصوب متعلق بخبر مقدّم و(كم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (بينهم) مثل الأول ومعطوف عليه (ميثاق) مبتدأ مؤخّر مرفوع (الواو) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (الباء) حرف جرّ و(ما) حرف مصدريّ «(١٥٢)» (تعملون) مضارع مرفوع... والواو فاعل (بصير) خبر المبتدأ الله مرفوع.

والمصدر المؤوّل (ما تعملون) في محلّ جرّ بالباء متعلق ب (بصير). والمصدر المؤوّل (أن يهاجروا) في محلّ جرّ ب (حتى) متعلق بمحذوف خبر شيء.

روائع البيان والتفسير

{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا }

-قال البغوي- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: قوله تعالى: {إن الذين آمنوا وهاجروا} أي: هجروا قومهم وديارهم، يعني المهاجرين. {وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا} رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه، أي: أسكنوهم منازلهم، {ونصروا} أي: ونصروهم على أعدائهم وهم الأنصار رضي الله عنهم، {أولئك بعضهم أولياء بعض} دون أقربائهم من الكفار. قيل: في العون والنصرة. وقال ابن عباس: في الميراث وكانوا يتوارثون بالهجرة، فكان المهاجرون والأنصار يتوارثون دون ذوي الأرحام، وكان من آمن ولم يهاجر لا يرث من قريبه المهاجر حتى كان فتح مكة وانقطعت الهجرة، وتوارثوا بالأرحام حيث ما كانوا، وصار ذلك منسوخاً بقوله عز وجل: {وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله} (الأحزاب -٦). اهـ (١٥٣)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- بيانا شافياً في تفسيرها فقال ما مختصره وبتصرف: ذكر تعالى أصناف المؤمنين، وقسمهم إلى مهاجرين، خرجوا من ديارهم وأموالهم، وجاؤوا لنصر الله ورسوله، وإقامة دينه، وبدلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك. وإلى أنصار، وهم: المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك، آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم، وواسوهم في أموالهم، ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم، فهؤلاء بعضهم أولى ببعض أي: كل منهم أحق بالآخر من كل أحد؛ ولهذا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، كل اثنين

(١٥٢) - أو اسم موصول، والعائد محذوف، والجملة بعده صلة.

(١٥٣)-انظر معالم التنزيل للبغوي-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٣ / ٣٧٩)

أَخْوَان، فكانوا يتوارثون بذلك إرثاً مقدماً على القرابة، حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث، ثبت ذلك في صحيح البخاري (١٥٤)، عن ابن عباس ورواه العوفي، وعلي بن أبي طلحة، عنه وقاله مجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وغيرهم. وأضاف - رحمه الله -:

وقد أنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه، فقال: { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } الآية [التوبة: ١٠٠]، وقال: { لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ } الآية. [التوبة: ١١٧]، وقال تعالى: { لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ } الآية [الحشر: ٨، ٩].

وأحسن ما قيل في قوله: { وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا } أي: لا يجسدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم، فإن ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الأنصار، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء، لا يختلفون في ذلك. اهـ (١٥٥)

{ وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمُ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ }

- قال السعدي - رحمه الله - في تفسيرها ما نصه:

{ وَإِنْ اسْتَنْصَرُواكُمُ فِي الدِّينِ } أي: لأجل قتال من قاتلهم لأجل دينهم { فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ } والقتال

معهم، وأما من قاتلوهم لغير ذلك من المقاصد فليس عليكم نصرهم.

وقوله تعالى: { إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ } أي: عهد بترك القتال، فإنهم إذا أراد المؤمنون

المتميزون الذين لم يهاجروا قتلهم، فلا تعينوهم عليهم، لأجل ما بينكم وبينهم من الميثاق.

(١٥٤) - يشير المصنف لحديث ابن عباس رضي الله عنهما ومثته: «كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري

الأنصاري، دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينهم»، فلما نزلت: { وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ }

[النساء: ٣٣] نسخت، ثم قال: { وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ } من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي له

"- أخرجه البخاري (برقم/ ٤٥٨٠) - باب قَوْلِهِ: { وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِيَّ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ، وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانُكُمْ

فَأَتْوَهُمْ نَصِبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا }

(١٥٥) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٩٦/٤)

{ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ } يعلم ما أنتم عليه من الأحوال، فيشرع لكم من الأحكام ما يليق بكم. اهـ.
(١٥٦)

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } (٧٣)

إعراب مفردات الآية (١٥٧)

(الواو) استثنائية (الذين) اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ (كفروا) فعل ماض مبني على الضم... والواو فاعل (بعضهم أولياء بعض) مَرَّ إعرابها «(١٥٨)»، (إن) حرف شرط جازم (لا) نافية (تفعلوا) مضارع مجزوم فعل الشرط وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل و(الهاء) ضمير مفعول به وهو تويي المسلمين وقطع الكفار (تكن) مضارع تام جواب الشرط مجزوم (فتنة) فاعل تكن مرفوع (في الأرض) جارٌّ ومجرور متعلق بمحذوف نعت لفتنة (الواو) عاطفة (فساد) معطوف على فتنة مرفوع مثله (كبير) نعت لفساد مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: لما عقد الولاية بين المؤمنين، أخبر أن الكفار حيث جمعهم الكفر فبعضهم أولياء لبعض فلا يواليهم إلا كافر مثلهم.

وقوله: { إِلَّا تَفْعَلُوهُ } أي: موالاتة المؤمنين ومعاداة الكافرين، بأن واليتموهم كلهم أو عاديتموهم كلهم، أو واليتم الكافرين وعاديتهم المؤمنين.

{ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ } فإنه يحصل بذلك من الشر ما لا ينحصر من اختلاط الحق بالباطل، والمؤمن بالكافر، وعدم كثير من العبادات الكبار، كالجهاد والهجرة، وغير ذلك من مقاصد الشرع والدين التي تفوت إذا لم يتخذ المؤمنون وحدهم أولياء بعضهم لبعض. اهـ (١٥٩)

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا هُمْ مَغْفِرَةٌ

وَرِزْقٌ كَرِيمٌ } (٧٤)

إعراب مفردات الآية (١٦٠)

(١٥٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٧/١)

(١٥٧) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

(٢٧٢/١٠)

(١٥٨) - في الآية السابقة (٧٢).

(١٥٩) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٧/١)

(الواو) عاطفة (الذين آمنوا) مثل الذين كفروا... (وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله) مرّ إعرابها «(١٦١)»، (الواو) عاطفة (الذين آووا) معطوف على مثل المتقدم «(١٦٢)»، (هم) ضمير فصل «(١٦٣)»، (المؤمنون) خبر المبتدأ أولئك مرفوع وعلامة الرفع الواو (حقًا) مفعول مطلق مؤكّد لمضمون الجملة السابقة «(١٦٤)» منصوب (اللام) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم (مغفرة) مبتدأ مؤخّر مرفوع (الواو) عاطفة (رزق) معطوف على مغفرة مرفوع (كريم) نعت لرزق مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ }

-قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في بيانها ما نصه: يقول تعالى ذكره: {والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا}، آووا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرين معه ونصروهم، ونصروا دين الله، أولئك هم أهل الإيمان بالله ورسوله حقًا، لا من آمن ولم يهاجر دار الشرك، وأقام بين أظهر أهل الشرك، ولم يغز مع المسلمين عدوهم {لهم مغفرة}، يقول: لهم ستر من الله على ذنوبهم، بعفوه لهم عنها {ورزق كريم}، يقول: لهم في الجنة مطعم ومشرب هنيئ كريم، لا يتغير في أجوافهم فيصير نجسًا، ولكنه يصير رشحًا كرشح المسك. اهـ (١٦٥)

-وأضاف ابن كثير-رحمه الله- في بيانها ما مختصره وبتصرف: لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا، عطف بذكر ما لهم في الآخرة، فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان، كما تقدم في أول السورة، وأنه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن ذنوب إن كانت، وبالرزق الكريم، وهو الحسن الكثير الطيب الشريف، دائم مستمر أبدا لا ينقطع ولا ينقضي، ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه.

(١٦٠)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) ٢٧٣/١٠

(١٦١) - في الآية السابقة (٧٢).

(١٦٢) - في الآية السابقة (٧٢).

(١٦٣) - أو ضمير منفصل مبتدأ خبره (المؤمنون)، والجملة خبر أولئك.

(١٦٤) - أو مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو صفتة أي المؤمنون إيمانًا حقًا.

(١٦٥) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر : مؤسسة الرسالة (١٦٣٥١/١٤/٨٨)

ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة كما قال: { وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } الآية [التوبة: ١٠٠]، وقال: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحشر: ١٠] وفي الحديث المتفق عليه، بل المتواتر من طرق صحيحة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "المرء مع من أحب" (١٦٦)هـ. (١٦٧)

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } (٧٥)
إعراب مفردات الآية (١٦٨)

و(الواو) عاطفة (الذين آمنوا) مثل الأولى (من) حرف جرّ (بعد) اسم مبني على الضمّ في محلّ جرّ، متعلّق ب (الواو) (آمنا)، (الواو) عاطفة في الموضعين (هاجروا، جاهدوا) مثل كفروا (مع) ظرف منصوب متعلّق ب (هاجروا، جاهدوا)، و(كم) ضمير مضاف إليه (الفاء) زائدة زيدت في الخبر لمشاهدة المبتدأ للشرط (أولئك) مثل الأول (من) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر (الواو) عاطفة (أولو) مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الواو فهو ملحق بجمع المذكر (الأرحام) مضاف إليه مجرور (بعض) مبتدأ ثان مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (أولى) خبر مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف (في) كتاب) جارّ ومجرور متعلّق ب (أولى)، أي أحقّ في حكم الله «(١٦٩)» (إن الله... عليهم) مثل إن الله غفور «(١٧٠)»، (بكلّ) جارّ ومجرور متعلّق ب (عليهم) (شيء) مضاف إليه مجرور.

روائع البيان والتفسير

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

(١٦٦) - أخرجه في الصحيحين مسلم (برقم/ ٢٦٤٠) - باب المرء مع من أحب، والبخاري (برقم/ ٦١٦٨) باب
عَلَامَةِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ

(١٦٧) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٩٩/٤)

(١٦٨) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٢٧٤/١٠)

(١٦٩) - أجاز الجمل في حاشيته أن يكون الجارّ خبراً لمبتدأ محذوف أي: هذا الحكم المذكور موجود في كتاب الله.

(١٧٠) - في الآية (٦٩) من هذه السورة.

الطيالسي (ج ٢/ ص ١٩) عن ابن عباس قال آخى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بين أصحابه وورث بعضهم من بعض حتى نزلت { وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ } فتركوا ذلك وتوارثوا بالنسب. اهـ (١٧١)

{ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ }

-قال السعدي -رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: الآيات السابقات في ذكر عقد الموالاة بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار.

وهذه الآيات في بيان مدحهم وثوابهم، فقال: { وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ } أي: المؤمنون من المهاجرين والأنصار { هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا } لأنهم صدقوا بإيمانهم بما قاموا به من الهجرة والنصرة والموالاة بعضهم لبعض، وجهادهم لأعدائهم من الكفار والمنافقين. { هُمْ مَعْفَرَةٌ } من الله تمحي بما سيئاتهم، وتضمحل بها زلاتهم، { و } لهم { رِزْقٌ كَرِيمٌ } أي: خير كثير من الرب الكريم في جنات النعيم.

وربما حصل لهم من الثواب المعجل ما تقر به أعينهم، وتطمئن به قلوبهم، وكذلك من جاء بعد هؤلاء المهاجرين والأنصار، ممن اتبعهم بإحسان فأمن وهاجر وجاهد في سبيل الله. { فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ } لهم ما لكم وعليهم ما عليكم.

فهذه الموالاة الإيمانية - وقد كانت في أول الإسلام - لها وقع كبير وشأن عظيم، حتى إن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار أخوة خاصة، غير الأخوة الإيمانية العامة، وحتى كانوا يتوارثون بها، فأنزل الله { وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ } فلا يرثه إلا أقرابه من العصابات وأصحاب الفروض، فإن لم يكونوا، فأقرب قراباته من ذوي الأرحام، كما دل عليه عموم هذه الآية الكريمة، وقوله: { فِي كِتَابِ اللَّهِ } أي: في حكمه وشرعه.

(١٧١) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص / ١٠٦) ما نصه: الحديث رواه الطبراني وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٨ ورجاله رجال الصحيح، ورواه ابن أبي حاتم ج ٤ ص ٢٥، ورواه الحاكم من حديث الزبير بن العوام وقال صحيح الإسناد، وأقره الذهبي، وأخرجه ابن أبي حاتم من حديث الزبير بن العوام ج ٤ ص ٢٤، وأخرجه ابن جرير ج ١٠ ص ٥٨ من حديث ابن الزبير وفيه عيسى بن الحارث لم أجد ترجمته في تهذيب التهذيب ولا تعجيل المنفعة ولا الميزان واللسان لكن في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ج ٦ ص ٢٧٤ عيسى بن الحارث روى عن... روى عنه أبو شيبة جد ابن أبي شيبة، أنا عبد الرحمن قال: سألت عنه أبا زرعة فقال لا بأس به. فلا أدري أهو أم لا. وهو عند ابن جرير فنزلت { وَأَوْلُوا الْأَرْحَامَ } وعند الحاكم فينا نزلت هذه الآية.

{ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ } ومنه ما يعلمه من أحوالكم التي يجري من شرائعه الدينية عليكم ما يناسبها.. اهـ (١٧٢)

-وزاد ابن كثير - رحمه الله- في تفسيره ما نصه: وأما قوله تعالى: { وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ } أي: في حكم الله، وليس المراد بقوله: { وَأُولُوا الْأَرْحَامِ } خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة، الذين لا فرض لهم ولا هم عصبه، بل يُدُلُّون بوارث، كالخالة، والخال، والعمة، وأولاد البنات، وأولاد الأخوات، ونحوهم، كما قد يزعمه بعضهم ويحتج بالآية، ويعتقد ذلك صريحاً في المسألة، بل الحق أن الآية عامة تشمل جميع القرابات. كما نص ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، والحسن، وقتادة وغير واحد: على أنها نسخة للإرث بالحلف والإخاء اللذين كانوا يتوارثون بهما أو لا وعلى هذا فتشمل ذوي الأرحام بالاسم الخاص. ومن لم يورثهم يحتج بأدلة من أقواها حديث: "إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث" (١٧٣)، قالوا: فلو كان ذا حق لكان له فرض في كتاب الله مسمى، فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثاً، والله أعلم. اهـ (١٧٤)

فوائد واحكام سورة الأنفال

في هذه السورة العديد من الفوائد والأحكام المتعلقة بالقتال والغنائم، وقواعد التشريع، والولاية العامة والخاصة، والعهود، وصلة الأرحام، وغير ذلك كثير، ونبين هنا فوائدها ومقاصدها وأحكامها تحت عناوين رئيسية على النحو التالي :

ما جاء في القتال والنصر

{ وَإِذْ يَعِدُّكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) }

-من فوائد هذه الآية أن الله وعد رسوله والمجاهدين معه بالنصر وهذا من دلائل النبوة واعجاز القرآن كما ذكر البيهقي- رحمه الله- في كتابه "الاعتقاد" قال ما مختصره: وأما من ذهب إلى أن إعجازه لما فيه من الأخبار الصادقة عن الأمور الكائنة فوجهه بين وشواهد كثيرة كقوله سبحانه {الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَعْلَبُونَ} [الروم: ١] فكان الأمر كما نطق به القرآن فظهرت فارس على

(١٧٢)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٧/١)

(١٧٣) - صحح الألباني إسناده في صحيح الجامع الصغير وزيادته (برقم/ ١٧٨٨).

(١٧٤)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٩٩/٤)

الروم فاغتم به المسلمون وسر به المشركون فوعد الله المسلمين بظهور الروم على فارس في بضع سنين فظهروا عليها لتسع سنين وقيل: لسبع، وفرح المؤمنون بنصر الله أهل الكتاب. وقال عز وجل في قصة بدر {وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ} [الأنفال: ٧] فكان الأمر كما وعد من الظفر بإحدى الطائفتين دون الأخرى، وهو أنه ظفر بالمشركين الذين خرجوا من مكة ببدر، وانفلت أبو سفيان بن حرب بالعبير. اهـ (١٧٥)

-ومن أحكام هذه الآية جواز الجمع بين نية الجهاد ونية سلب مال الأعداء بعد قتلهم ولكن لا يجوز أن تكون النية من أجل المال وحده وذكر ذلك صاحب سبل السلام (١٧٦) فقال ما مختصره وبتصرف: «جاء رجل فقال يا رسول الله، أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟ قال لا شيء له فأعادها ثلاثا، كل ذلك يقول لا شيء له ثم قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه» (١٧٧)

(قلت) فيكون هذا دليلا على أنه إذا استوى الباعثان الأجر والذكر مثلا بطل الأجر ولعل بطلانه هنا لخصوصية طلب الذكر لأنه انقلب عمله للرياء والرياء مبطل لما يشاركه بخلاف طلب المغنم فإنه لا ينافي الجهاد بل إذا قصد بأخذ المغنم إغاضة المشركين والانتفاع به على الطاعة كان له أجر فإنه تعالى يقول: {ولا ينالون من عدو نيلا إلا كتب لهم به عمل صالح} [التوبة: ١٢٠] والمراد النيل المأذون فيه شرعا وفي قوله - صلى الله عليه وسلم - «من قتل قتيلًا فله سلبه» قبل القتال دليل على أنه لا ينافي قصد المغنم القتال بل ما قاله إلا ليجهتهد السامع في قتال المشركين

ثم ذكر - رحمه الله - الدليل على ما ذهب إليه فقال: وفي البخاري من حديث أبي هريرة قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسولي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة» ولا يخفى أن الأخبار هذه دليل على جواز تشريك النية إذ الإخبار به يقتضي ذلك غالبا؛ ثم إنه يقصد المشركين مجرد نهب أموالهم كما «خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١٧٥) - انظر الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للبيهقي (ص/٢٦٥) - الناشر: دار الآفاق الجديدة - بيروت

(١٧٦) - وهو محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسيني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كآلافه بالأمامير (١٠٩٩ - ١١٨٢ هـ = ١٦٨٨ - ١٧٦٨ م): مجتهد، من بيت الإمامة في اليمن. يلقب (المؤيد بالله) ابن المتوكل على الله. أصيب بمحن كثيرة من الجهلاء والعوام. له نحو مئة مؤلف، ذكر صديق حسن خان أن أكثرها عنده (في الهند). ولد بمدينة كحلان، ونشأ وتوفي بصنعاء. - نقلاً عن الأعلام للزركلي مختصراً (٣٨/٦)

- أخرجه سنن النسائي برقم (٣١٧٤٠)، وانظر صَحِيح التَّرْغِيبِ وَالتَّوْهِيبِ (برقم/١٣٣١)

عليه وسلم - بمن معه في غزاة بدر لأخذ عير المشركين»، ولا ينافي ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا بل ذلك من إعلاء كلمة الله تعالى؛ وأقرهم الله تعالى على ذلك بل قال تعالى: {وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم} [الأنفال: ٧] ولم يذمهم بذلك مع أن في هذا الإخبار إخباراً لهم بمحبتهم للمال دون القتال فإعلاء كلمة الله يدخل فيه إخافة المشركين وأخذ أموالهم وقطع أشجارهم ونحوه؛ وأما حديث أبي هريرة عند أبي داود «أن رجلاً قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يتنغي عرضاً من الدنيا فقال: لا أجر له فأعاد عليه ثلاثاً كل ذلك يقول لا أجر له» فكأنه فهم - صلى الله عليه وسلم - أن الحامل هو العرض من الدنيا فأجاب بما أجاب وإلا فإنه قد كان تشريك الجهاد بطلب الغنيمة أمراً معروفاً في الصحابة فإنه أخرج الحاكم والبيهقي بإسناد صحيح أن عبد الله بن جحش يوم أحد قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً أقاتله ويقاتلني، ثم ارزقني عليه الصبر حتى أقتله وأخذ سلبه. فهذا يدل على أن طلب العرض من الدنيا مع الجهاد كان أمراً معلوماً جوازاً للصحابة فيدعون الله بنيله. اهـ (١٧٨)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ (١٥) وَمَنْ يُؤْمِدْ دُبْرَهُ إِلَّا

مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّرًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [١٥-١٦]

- من فوائد وأحكام هاتين الآيتين ونحوهما والتي تحث علي الجهاد وجوب مقاتلة الأعداء وحرمة الفرار وقد بين العلامة ابن عثيمين متى يكون الجهاد مستحباً ومتى يكون فرض عين أو فرض كفاية في تفسيره لسورة البقرة وفوائدها فقال- رحمه الله -: وجوب مقاتلة الكفار حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين لله؛ وقاتل الكفار في الأصل فرض كفاية؛ وقد يكون مستحباً؛ وقد يكون فرض عين - وذلك في أربعة مواضع -:
الموضع الأول: إذا حضر صف القتال فإنه يكون فرض عين؛ ولا يجوز أن ينصرف؛ لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار} * ومن يؤمئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير} [الأنفال: ١٥، ١٦].
الموضع الثاني: إذا حصر بلده العدو فإنه يتعين القتال من أجل فك الحصار عن البلد؛ ولأنه يشبه من حضر صف القتال.
الموضع الثالث: إذا احتيج إليه؛ إذا كان هذا الرجل يحتاج الناس إليه إما لرأيه، أو لقوته، أو لأي عمل يكون؛ فإنه يتعين عليه.

(١٧٨) - انظر سبل السلام للصنعاني (٢/٤٦٤) - الناشر: دار الحديث

الموضع الرابع: إذا استنفر الإمام الناس وجب عليهم أن يخرجوا، ولا يتخلف أحد؛ لقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله أثاقلتم إلى الأرض أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة...} [التوبة: ٣٨] إلى قوله تعالى: {إلا تنفروا يعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل قوماً غيركم...} [التوبة: ٣٩] الآية.

وما سوى هذه المواضع فهو فرض كفاية؛ واعلم أن الفرض سواء قلنا فرض عين، أو فرض كفاية لا يكون فرضاً إلا إذا كان هناك قدرة؛ أما مع عدم القدرة فلا فرض؛ لعموم الأدلة الدالة على أن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها، ولقوله تعالى: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله} [التوبة: ٩١]؛ فإذا كنا لا نستطيع أن نقاتل هؤلاء لم يجب علينا؛ وإلا لأثمتنا جميع الناس مع عدم القدرة؛ ولكنه مع ذلك يجب أن يكون عندنا العزم على أننا إذا قدرنا فسنقاتل؛ ولهذا قيدها الله عز وجل بقوله تعالى: {إذا نصحوا لله ورسوله} [التوبة: ٩١]؛ ليس على هؤلاء الثلاثة حرج بشرط أن ينصحوا لله ورسوله؛ فأما مع عدم النصح لله ورسوله، فعليهم الحرج - حتى وإن وجدت الأعذار في حقهم.. اهـ (١٧٩)

- وقال ابن عربي - رحمه الله - في بيان ما جاء من أحكام في هاتين الآيتين ما مختصره وبتصرف يسير: قوله تعالى: {زحفاً} [الأنفال: ١٥]: يعني متدانيين، والتزاحف هو التداني والتقارب، يقول: إذا تدانيتم وتعاينتم فلا تفروا عنهم، ولا تعطوهم أذباركم، حرم الله ذلك على المؤمنين حين فرض عليهم الجهاد، وقتل الكفار؛ لعنادهم لدين الله، وإبايتهم عن قول لا إله إلا الله.

ثم أضاف - رحمه الله -: اختلف الناس: هل الفرار يوم الزحف مخصوص بيوم بدر أم عام في الزحوف كلها إلى يوم القيامة؟ فروي عن أبي سعيد الخدري أن ذلك يوم بدر لم يكن لهم فئة إلا رسول الله؛ وبه قال نافع، والحسن، وقتادة، ويزيد بن أبي حبيب، والضحاك.

ثم قال - رحمه الله -: ويروى عن ابن عباس وسائر العلماء أن الآية باقية إلى يوم القيامة، وإنما شذ من شذ بخصوص ذلك يوم بدر بقوله: {ومن يولهم يومئذ دبره} [الأنفال: ١٦] فظن قوم أن ذلك إشارة إلى يوم بدر، وليس به؛ وإنما ذلك إشارة إلى يوم الزحف والدليل عليه أن الآية نزلت بعد القتال وانقضاء الحرب، وذهاب اليوم بما فيه، وقد ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - حسبما قدمناه في الحديث الصحيح

(١٧٩) - انظر تفسير الفاتحة والبقرة للعلامة ابن عثيمين (٣٧٩/٢) - الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

أن الكبائر كذا. وعند الفرار يوم الزحف (١٨٠). وهذا نص في المسألة يرفع الخلاف، ويبين الحكم، وقد نبهنا على النكتة التي وقع الإشكال فيها لمن وقع باختصاصه بيوم بدر. اهـ (١٨١)

{وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (٦٠)}

في هذه الآية فوائد ومقاصد عظيمة فقد حض الله تعالى المؤمنين علي الاستعداد بكل قوة للأعداء لإرهابه - وللعلامة ابن عثيمين - رحمه الله - في هذا الصدد بياناً شافياً وفوائد عديدة قال ما مختصره:

فاليهود والنصارى والمشركين من البوذيين وغيرهم، والشيعيين، كل هؤلاء أعداء للمسلمين؛ يجب على المسلمين أن يقاتلوهم حتى تكون كلمة الله هي العليا، ولكن مع الأسف، فالمسلمون اليوم في ضعف شديد، وفي هوان وذل، يقاتل بعضهم بعضاً أكثر مما يقاتلون أعداءهم، هم فيما بينهم يتقاتلون أكثر مما يتقاتلون مع أعدائهم، ولهذا سلط الأعداء علينا، وصرنا كالكرة بأيديهم؛ يتقاذفونها حيث يشاءون.

فلهذا يجب على المسلمين أن ينتبهوا لهذا الأمر، وأن يعدوا العدة؛ لأن الله تعالى قال: (وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ) (أنفال: ٦٠) وقال عز وجل: (فَاتَّبِعُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ) (التوبة: ٢٩).

(يُعْطُوا الْجِزْيَةَ) أي: يبذلون الجزية لنا (عَنْ يَدٍ) فيها قولان للعلماء: (عَنْ يَدٍ) يعني عن قوة منا علينا، أو (عَنْ يَدٍ) يعني عن واحدة من أيديهم، بحيث يمدها هو بنفسه. اليهودي أو النصراني. ولهذا قال العلماء: لو أرسل بها خادمه لم نأخذها حتى يأتي بنفسه ويسلمها للمسؤول من المسلمين. وتصوروا؛ كيف يريد الله منا؟ وكيف يكون الإسلام في هذه العزة؟ تضرب عليهم الجزية، ويأتون بها هم بأنفسهم، ولو كان أكبر واحد منهم يأتي بها حتى يسلمها إلى المسؤول في الدولة الإسلامية عن يد وهو صاغر أيضاً، لا يأتي بأبجته ويجنود ويقوم وبحشم، لا. بل يأتي وهو صاغر.

(١٨٠) - يشير المصنف للحديث الذي أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - ومثته " عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات» قيل: يا رسول الله، وما هن؟ قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال اليتيم وأكل الربا، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات» - أخرجه مسلم واللفظ له باب بيان الكبائر وأكبرها - برقم (١٤٥) - والبخاري - باب رَمِي الْمُحْصَنَاتِ - برقم (٦٨٥٧) "

(١٨١) - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٣٨٧/٢)

ثم إذا قال قائل: كيف تكون تعاليم الإسلام هكذا؟ أليست هذه عصبية؟ قلنا: عصبية لمن؟ هل المسلمون يريدون عصبية لهم يستطيلون بها على الناس؟.. أبدأ فالمسلمون أحسن الناس أخلاقاً، لكنهم يريدون أن تكون كلمة الخالق الذي خلقهم وخلق هؤلاء هي العليا، ولا يمكن أن تكون هي العليا حتى يكون المسلمون هم الأعلى، ولكن متى يكون المسلمون هم الأعلى؟ يكونون كذلك إذا تمسكوا بدين الله حقاً ظاهراً وباطناً، وعرفوا أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

ثم أضاف - رحمه الله -: أما أن يذلوا عن دين الله، ثم يذلوا أمام أعداء الله، ثم يصيروا أذناناً لأعداء الله، فأين العزة إذن؟.. لا يمكن أن تكون بهذا عزة أبدأ. اهـ (١٨٢)

-وزاد الشنقيطي - رحمه الله - في بيان فائدة الأخذ بأسباب القوة فقال ما مختصره: لما اشتد الأمر على المسلمين في غزوة الأحزاب، وبلغ الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن اليهود نقضوا عهدهم أرسل إليهم - صلى الله عليه وسلم - من يستطلع خبرهم، وأوصاهم إن هم رأوا غدراً ألا يصرحوا بذلك، وأن يلحنوا له لحناً حفاظاً على طمأنينة المسلمين، وإبعاداً للإرجاف في صفوفهم.

كما بين تعالى أثر الدعاية الحسنة في قوله تعالى: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم} [٨ \ ٦٠]، وقد كان بالفعل لخروج جيش أسامة بعد انتقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الرفيق الأعلى، وعند تربص الأعراب كان له الأثر الكبير في إحباط نوايا المتربصين بالمسلمين، وقالوا: ما أنفذوا هذا البعث إلا وعندهم الجيوش الكافية، والقوة اللازمة. وما أجراه الله في غزوة بدر من هذا القبيل أكبر دليل عملي، إذ يقلل كل فريق في أعين الآخرين، كما قال تعالى: {إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكم كثيراً لفشتم ولتنازعتم في الأمر ولكن الله سلم إنه عليهم بذات الصدور وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمراً كان مفعولاً وإلى الله ترجع الأمور} [٨ \ ٤٣ - ٤٤]، وهذا كله مما ينبغي الاستفادة منه اليوم على العدو في قضية الإسلام والمسلمين. اهـ (١٨٣)

-قلت: ومن أحكامها بيان أن القوة في الآية هي الرمي كما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث عن أبي علي ثمامة بن شفي (١٨٤)، أنه سمع عقبه بن عامر (١٨٥)، يقول: سمعت رسول الله

(١٨٢) - انظر شرح رياض الصالحين لمحمد بن العثيمين - (٥٨/٢) - الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض - الطبعة سنة: ١٤٢٦ هـ

(١٨٣) - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢١/٨)

(١٨٤) - هو ثمامة بن شفي الهمداني أبو علي الاصبحي من جلة المصريين وهو الذي يقال له أبو علي الهمداني - انظر مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لمحمد بن حبان (٩٣٠)

صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر، يقول: " {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة} [الأنفال: ٦٠]، "ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي" (١٨٦) " وهذا تصريح واضح صريح. -وقال الامام النووي-رحمه الله- في شرح الحديث ما مختصره: هذا تصريح بتفسيرها ورد لما يحكيه المفسرون من الأقوال سوى هذا وفيه وفي الأحاديث بعده فضيلة الرمي والمناضلة والاعتناء بذلك بنية الجهاد في سبيل الله تعالى وكذلك المشاجعة وسائر أنواع استعمال السلاح وكذا المسابقة بالخيول وغيرها كما سبق في بابه والمراد بهذا كله التمرن على القتال والتدرب والتحذق فيه ورياضة الأعضاء بذلك. اهـ (١٨٧)

-قلت: وقد ساق ابن عربي-رحمه الله- في أحكامه جملة من الاحاديث التي تؤيد هذا القول فقال ما مختصره: عن عقبة بن عامر؛ قال: «قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر: {وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل} [الأنفال: ٦٠]؛ فقال: ألا إن القوة الرمي، ألا إن القوة الرمي» (١٨٨) ثلاثا.

وروى البخاري عن سلمة بن الأكوع، قال: «مر النبي - صلى الله عليه وسلم - على نفر من أسلم ينتضلون بالسهم، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ارموا بني إسماعيل، فإن أباكم كان راميا، وأنا مع بني فلان. قال: فأمسك أحد الفريقين بأيديهم، فقال رسول الله: ما لكم لا ترمون؟ قالوا: وكيف نرمي، وأنت معهم، فقال رسول الله: ارموا وأنا معكم كلكم». (١٨٩)

(١٨٥) - عقبة بن عامر بن عمرو بن عدي بن عمرو بن رفاعة بن مودعة بن عدي بن غنم بن ربيعة بن رشدان بن قيس بن جهينة، ويكنى أبا حماد، سكن مصر، وقيل: أبو أسد، وقيل: أبو عمرو، وقيل: أبو عبس، ولي الجيش لمعاوية بعد موت عتبة بن أبي سفيان، توفي بمصر آخر خلافة معاوية سنة ثمان وخمسين، كان يخضب بالسواد، كان شاعرا روى عنه من الصحابة: أبو أمامة الباهلي، وعبد الله بن عباس، وأبو أيوب الأنصاري، ونعيم بن همار الغطفاني، وحدث عنه: أبو الخير، وعلي بن رباح، وأبو قبيل المعافري، ومشرح بن هاعان، وأبو عشانة، وعبد الرحمن بن شماسة، وأسلم التجيبي، ودخين الحجري، وإياس بن عامر، وسعيد بن المسيب-انظر معرفة الصحابة لأبو نعيم أحمد الأصبهاني(٤/٢١٥١).

(١٨٦) - سبق تخريجه في هامش رقم/٩٠

(١٨٧) - انظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج-(١٣/٦٤)- الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت- الطبعة: الثانية، ١٣٩٢

(١٨٨) - أخرجه مسلم (برقم/١٩١٧) - باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه

(١٨٩) -أخرجه البخاري (برقم/ ٢٨٩٩) -باب التحريض على الرمي

ثم قال - رحمه الله-: وروى البخاري عن «علي قال: ما رأيت رسول الله يفدي رجلا بعد سعد، سمعته يقول: ارم فداك أبي وأمي» (١٩٠).

ثم أضاف - رحمه الله- في حكم قوله تعالي { ومن رباط الخيل } فقال: وأما رباط الخيل: فهو فضل عظيم ومنزلة شريفة.

وروى الأئمة عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «الخيل ثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر. فأما الذي هي عليه وزر فرجل ربطها رياء وفخرا ونواء لأهل الإسلام، فهي عليه وزر، وأما الذي هي عليه ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا، ولم ينس حق الله في ظهورها فهي عليه ستر، وأما الذي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شيء إلا كتب الله له عدد ما أكلت حسنات، وكتب له أرواثها وأبوالها حسنات، ولا يقطع طولها فتستن شرفا أو شرفين إلا كتب الله له ذلك حسنات، ولا مر بها صاحبها على نهر فشربت منه ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات» (١٩١). اهـ (١٩٢)

(١٩٠) - أخرجه البخاري (برقم/ ٢٩٠٥) - باب اللهو بالحراب ونحوها

(١٩١) - أخرجه مسلم بلفظ مقارب (برقم/ ٩٨٧) - باب إثم مانع الزكاة

(١٩٢) - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٤٢٣/٢)

{ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٦١) }

قلت: والجنوح الميل ومنه يقال جنحت السفينة إذا مالت والسلم من المسألة، ومما يستخلص من حكم الآية وغيرها التي تشترك معها في الحكم والمقصد أنه لا تجوز المصالحة مع الأعداء من الكفار، وترك القتال وترك الجزية، وإنما تجوز المصالحة عند الحاجة أو الضرورة مع العجز عن قتالهم وهذا ما ذهب عليه كثير من أهل العلم في بيان أحكام هذه الآية من ذلك:

- قال الجصاص - رحمه الله - في أحكامه ما مختصره وبتصرف:

ومعنى الآية أنهم إن مالوا إلى المسألة وهي طلب السلامة من الحرب فسالمهم واقبل ذلك منهم وإنما قال { فاجنح لها } لأنه كناية عن المسألة وقد اختلف في بقاء هذا الحكم عن قتادة أنها منسوخة بقوله تعالى { فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم } وروى عن الحسن مثله وروى عن ابن عباس وإن جنحوا للسلم فاجنح لها قال نسختها { قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر } - إلى قوله - { وهم صاغرون } وقال آخرون لا نسخ فيها لأنها في موادة أهل الكتاب. اهـ (١٩٣)

- قلت: وقد ذهب ابن عربي - رحمه الله - في أحكامه إلى القول بعدم النسخ وهو الصحيح - أن شاء الله - فقال: أما قول من قال: إنها منسوخة بقوله: { فاقتلوا المشركين } [التوبة: ٥] فدعوى، فإن شروط النسخ معدومة فيها، كما بيناه في موضعه.

وأما من قال: إن دعوك إلى الصلح فأجبههم فإن ذلك يختلف الجواب فيه؛ وقد قال الله: { فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون } [محمد: ٣٥].

فإذا كان المسلمون على عزة، وفي قوة ومنعة، ومقانب عديدة، وعدة شديدة: فلا صلح حتى تطعن الخيل بالقنا، وتضرب بالبيض الرقاق الجماجم، وإن كان للمسلمين مصلحة في الصلح لانتفاع يجلب به، أو ضرر يندفع بسببه فلا بأس أن يتدئ المسلمون به إذا احتاجوا إليه، وأن يجيبوا إذا دعوا إليه وقد صالح النبي - صلى الله عليه وسلم - أهل خيبر على شروط نقضوها، فنقض صلحهم، وقد وادع الضمري، وقد صالح أكيدر دومة، وأهل بجران، وقد هادن قريشا لعشرة أعوام حتى نقضوا عهده، وما زالت الخلفاء والصحابة على هذه السبيل التي شرعناها سالكة، وبالوجوه التي شرحناها عاملة. اهـ (١٩٤)

- وذهب الشنقيطي - رحمه الله - إلى ما قاله ابن عربي في تفسيره لقوله تعالى { فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم (٣٥) } " سورة محمد" فقال ما مختصره:

(١٩٣) - انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤ / ٢٥٤)

(١٩٤) - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٢ / ٤٢٧)

واعلم أن آية القتال هذه لا تعارض بينها وبين آية الأنفال حتى يقال إن إحداها ناسخة للأخرى، بل هما محكمتان، وكل واحدة منهما منزلة على حال غير الحال التي نزلت عليه الأخرى.

فالنهي في آية القتال هذه في قوله تعالى: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ} إنما هو عن الابتداء بطلب السلم. والأمر بالجنوح إلى السلم في آية الأنفال محله فيما إذا ابتدأ الكفار بطلب السلم والجنوح لها، كما هو صريح قوله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ} الآية [٨ \ ٦١].

وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة {وَاللَّهُ مَعَكُمْ} قد قدمنا الآيات الموضحة له في آخر سورة النحل في الكلام على قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [١٦ \ ١٢٨]، وهذا الذي ذكرنا في معنى هذه الآية أولى وأصوب مما فسرها به ابن كثير رحمه الله.

وهو أن المعنى: لا تدعوا إلى الصلح والمهادنة وأنتم الأعلون أي في حال قوتكم وقدرتكم على الجهاد، أي: وإما إن كنتم في ضعف وعدم قوة فلا مانع من أن تدعوا إلى السلم أي الصلح والمهادنة، ومنه قول العباس بن مرداس السلمي (١٩٥):

السلم تأخذ منها ما رضيت به... والحرب تكفيك من أنفاسها جرع. اهـ (١٩٦)

-قلت: وزاد في فوائدها وأحكامها الأمام الشوكاني في شرحه للسيل الجرار فقال-رحمه الله- ما مختصره:
أقول: وجه هذا أن الله سبحانه قال في كتابه: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا} [الأنفال: ٦١]، فدل ذلك على جواز المصالحة إذا طلبها الكفار وجنحوا إليها وقيل لا يجوز ذلك لقوله سبحانه: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ} ولا يخفك أنه لا معارضة بين الآيتين فإن الآية الأولى دلت على أن الكفار إذا جنحوا للسلم جنحنا لها والآية الأخرى دلت على عدم جواز الدعاء من المسلمين إلى السلم فالجمع بينهما بأنه يجوز عقد الصلح إذا طلب ذلك الكفار ولا يجوز طلبه من المسلمين إذا كانوا واثقين بالنصر وقد أوضحنا الكلام على الآيتين في تفسيرنا فليرجع إليه وقيل لا يجوز المصالحة أصلا وأن ما ورد في

(١٩٥) - العباس بن مرداس بن أبي عامر السلمي، من مضر، أبو الهيثم: شاعر فارس، من سادات قومه. أمه الخنساء لشاعرة. أدرك الجاهلية والإسلام، وأسلم قبيل فتح مكة. وكان من المؤلفات قلوبهم. ويدعى فارس العبيد - بالتصغير - وهو فرسه. وكان بدويا قحاً، لم يسكن مكة ولا المدينة، وإذا حضر الغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يلبث بعده أن يعود إلى منازل قومه. وكان ينزل في بادية البصرة، وبيته في عقيقها (وفي معجم البلدان: عقيق البصرة، واد مما يلي سفوان) ويكثر من زيارة البصرة. وقيل: قدم دمشق، وابتنى بها داراً. وكان ممن ذم الخمر وحرمها في الجاهلية ومات في خلافة عمر. -انظر الاعلام للزركلي مختصراً (٢٦٧/٣)

(١٩٦) - أعضاء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت لبنان (٣٩٠/٧)

جوازها منسوخ بقوله: {فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} [التوبة: ٥]، ونحوها ولا وجه لدعوى النسخ وأيضا الجمع ممكن بأنهم يقتلون ويقاتلون ما لم يجنحوا إلى السلم.

وأما كون المدة معلومة فوجهه أنه لو كان الصلح مطلقا أو مريدا لكان ذلك مبطلا للجهاد الذي هو من أعظم فرائض الإسلام فلا بد من أن يكون مدة معلومة على ما يرى الإمام من الصلاح فإذا كان الكفار مستظهرين وأمرهم مستعلنا جاز له أن يعقده على مدة طويلة ولو فوق عشر سنين وليس في ذلك مخالفة لعقده صلى الله عليه و آله وسلم للصلح الوقع مع قريش عشر سنين فإنه ليس في هذا ما يدل على أنه لا يجوز أن تكون المدة أكثر من عشر سنين إذا اقتضت ذلك المصلحة. اهـ (١٩٧)

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (٦٥) الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ } (٦٦)

في هاتين الآيتين أحكام جليلة فقد أمر الله تعالى نبيه بالتحريض على القتال، والتحريض هو الحث على الشيء وقد خفف الله تعالى علي المسلمين لضعفهم في علمه السابق بهم وإليك ما قاله علمائنا من أهل السنة والجماعة:

-قال الكيا هراسي-رحمه الله- في أحكامه ما مختصره: قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ }، الآية... وقوله تعالى: { وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا }

وعلم الله تعالى سابق أزلي، فمعناه أن الله تعالى بيّن أن الواحد في ابتداء الإسلام يفني بعشرة لأمر: منها: النصره منه تعالى.

ومنها: الصبر والقوة.

ومنها: قوة النية والبصيرة.

ثم بعد زمان نسخ ذلك لنقصان القوة في الدين، وضعف النية في محاربة المشركين.

فهذا معنى قوله: { وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا }. فقوله تعالى { الْآنَ }، دخل في ضعف الناس لا في علم الله تعالى. اهـ (١٩٨)

-وزاد ابن عربي في بيان أحكامها ما مختصره:

(١٩٧) - السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار للشوكاني(ص/٩٧٠)- الناشر: دار ابن حزم- الطبعة الأولى

(١٩٨) -انظر أحكام القرآن للکيا الهراسي(٣/١٦٤) - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

{إن يكن منكم عشرون صابرون} [الأنفال: ٦٥] قال قوم: كان هذا يوم بدر ثم نسخ، وهذا خطأ من قائله؛ لأن المسلمين كانوا يوم بدر ثلاثمائة ونيفاً، والكفار كانوا تسعمائة ونيفاً؛ فكان للواحد ثلاثة. وأما هذه المقابلة، وهي الواحد بالعشرة فلم ينقل أن المسلمين صافوا المشركين عليها قط لكن الباري فرض ذلك عليهم أولاً، وعلمه بأنكم تفقهون ما تقاتلون عليه، وهو الثواب. وهم لا يعلمون ما يقاتلون عليه. ثم نسخ ذلك قال ابن عباس: كان هذا ثم نسخ بعد ذلك بمدة طويلة وإن كانت إلى جنبها.

ثم قال- رحمه الله: قوله: {الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً} [الأنفال: ٦٦]: أما التخفيف فهو حط الثقل.

وأما قوله: {وعلم أن فيكم ضعفاً} [الأنفال: ٦٦] فمعنى تعلق العلم بالآن، وإن كان الباري لم يزل عالماً ليس لعلمه أول، ولكن وجهه: أن الباري يعلم الشيء قبل أن يكون، وهو عالم الغيب، وهو به عالم، إذا كان بذلك العلم الأول فإنه عالم الشهادة، وبعد الشيء، فيكون به عالماً بذلك العلم بعد عدمه، ويتعلق علمه الواحد الذي لا أول له بالمعلومات على اختلافها وتغير أحوالها، وعلمه لا يختلف ولا يتغير.

وقد ضربنا لذلك مثلاً يستروح إليه الناظر؛ وهو أن الواحد منا يعلم اليوم أن الشمس تطلع غداً، ثم يراها طالعة، ثم يراها غاربة، ولكل واحدة من هذه الأحوال علم مجدد لما يتعلق بهذه الأحوال الثلاثة، ولو قدرنا بقاء العلم الأول لكان واحداً يتعلق بها، وعلم الباري واجب الأولية، واجب البقاء، يستحيل عليه التغيير؛ فانتظمت المسألة، وتمكنت بها والحمد لله المعرفة.

وأضاف- رحمه الله-: فلما خفف عنا أوجب على الرجل الثبات لرجلين، وهكذا ما تزايدت النسبة الواحدة باثنين، فإنه يتقدم إليهما، ويتقدمان إليه، وكل واحد منهما يحذره على نفسه، فيهجم على الواحد فيطعنه، فإذا قتله بقي واحد بواحد، وإن اقتتلا فقد حصل دم واحد بواحد، وبقي الزائد لغواً، وهذا إنما يكون مع الصبر، والله مع الصابرين.

وقال بعد كلام: وقد قال قوم: لا يقتحم الواحد على العشرة ولا القليل على الكثير؛ لأن في ذلك إلقاء اليد إلى التهلكة.

وقد بينا بطلان ذلك في سورة البقرة.

قال مالك: قال الله: {الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين} [الأنفال: ٦٦] فكان كل رجل باثنين. اهـ (١٩٩)

(١٩٩) -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي- (٤٢٩/٢) - الناشر: دار الكتب

العلمية، بيروت - لبنان- الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

{ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثَخِّنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ (٦٧) }

قلت: أحكام الاسري في الإسلام من الأحكام الهامة التي بينها القرآن لأهميتها لأن الجهاد فريضة ربانية باقية ما بقيت السموات والأرض وهذه الآية وغيرها تبين بجلاء حكم الأسري في الشريعة الربانية الخاتمة، والذي ينبغي التنبيه عليه هنا أن من هدي النبي -صلى الله عليه وسلم- في الأسرى أنه كان يحث على إكرامهم والإحسان إليهم ومعاملتهم بالحسني، كما قال تعالى { وَ يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا } - (الإنسان: ٨)

وثبت من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فكوا العاني وأجيبوا الداعي، وعودوا المريض ". (٢٠٠)

وأسرى الحرب كما هو معلوم عند أهل العلم تنقسم إلى قسمين:

الأول: الاسري من النساء والصبيان والشيوخ غير القادرين على القتال.

الثاني: اسري الحرب من الرجال البالغون المقاتلون وفيهم اختلاف بين العلماء بين: المن أو الفداء أو القتل و الرأي الراجح ما عليه جمهور العلماء وهو أن للحاكم أن يختار الاصلح لرعيته ومصصلحة الأمة.

والمقصود بالمن: هو إطلاق سراحهم دون مقابل، والفداء قد يكون بالمال، وقد يكون مقابل مسلم في أيديهم أو ما يعرف اليوم بتبادل الاسري.

كما أنه يجوز للأمام قتل الأسير إذا كانت المصلحة تقتضي قتله.

ويبين ذلك قول الله تعالى: { فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَنتَحْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَانَ فِإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا } - (محمد)

وهذه الآية ترتبط بالآية التي نبين أحكامها هنا فهي وثيقة الصلة بها ومتممه لأحكامها وها هي أقوال أهل العلم في أحكامها والله المستعان:

-قال النووي- رحمه الله- ما مختصره: وان أسر امرأة حرة أو صبيا حرا رق بالأسر، لان النبي صلى الله عليه وسلم قسم سبي بني المصطلق واصطفى صفية من سبي خيبر وقسم سبي هوازن ثم استنزلته هوازن فنزل واستنزل الناس فنزلوا، وان أسر حر بالغ من أهل القتال فلإمام أن يختار ما يرى من القتل والاسترقاق والمن والفداء. اهـ (٢٠١)

(٢٠٠) - أخرجه البخاري (برقم/ ٥١٧٤) - باب حق إجابة الوليمة والدعوة، ومن أولم سبعة أيام ونحوه

(٢٠١) - انظر المجموع شرح المهذب للنووي (٣٠٤/١٩) - الناشر: دار الفكر

- وقال ابن القيم - رحمه الله - في زاد المعاد: ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الأسرى أنه قتل بعضهم، ومن على بعضهم، وفادى عضهم بمال، وبعضهم بأسرى من المسلمين، واسترق بعضهم، ولكن المعروف أنه لم يسترق رجلا بالغا.

فقتل يوم بدر من الأسرى عقبة بن أبي معيط (٢٠٢)، والنضر بن الحارث (٢٠٣). وقتل من يهود جماعة كثيرين من الأسرى، وفادى أسرى بدر بالمال بأربعة آلاف إلى أربعمئة، وفادى بعضهم على تعليم جماعة من المسلمين الكتابة.

وأضاف - رحمه الله -: وقال في أسارى بدر: "لو كان المطعم بن عدي حيا، ثم كلمني في هؤلاء النتنى لأطلقتهم له" (٢٠٤).

وفدى رجلين من المسلمين برجل من المشركين.

وفدى رجلا من المسلمين بامرأة من السبي، استوهبها من سلمة بن الأكوع.

ومن على ثمامة بن أثال (٢٠٥)، وأطلق يوم فتح مكة جماعة من قريش، فكان يقال لهم الطلقاء، وهذه أحكام لم ينسخ منها شيء، بل يخير الإمام فيها بحسب المصلحة. اهـ. (٢٠٦)

(٢٠٢) - عقبة بن أبي معيط من كبار مشركي قريش كان يضع الجزور بطريق الرسول محمد بن عبد الله، وحاول مرة خنقه بيده. وقال الذهبي في السير وابن هشام في السيرة: ثم قتل النضر بن الحارث العبدري بالصفراء، وقتل بعرق الطيبة عقبة بن أبي معيط، فقال عقبة حين أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال: النار. فقتله عاصم بن ثابت بن أبي الأفلح، وقيل: علي. - انظر سير أعلام النبلاء للذهبي بتصرف (٣٤٤/١)

(٢٠٣) - النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف، من بني عبد الدار، من قريش: صاحب لواء المشركين ببدر. كان من شجعان قريش ووجهها، ومن شياطينها (كما يقول ابن إسحاق).

له اطلاع على كتب الفرس وغيرهم، قرأ تاريخهم في "الحيرة". وقيل: هو أول من غنى على العود بألحان الفرس. وهو ابن خالة النبي صلى الله عليه وسلم ولما ظهر الإسلام استمر على عقيدة الجاهلية وأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيرا. وكان إذا جلس النبي مجلسا للتذكير بالله والتحذير من مثل ما أصاب الأمم الخالية من نقمة الله، جلس النضر بعده فحدث قريشا بأخبار ملوك فارس ورستم وإسفنديار، ويقول: أنا أحسن منه حديثا! إنما يأتيكم محمد بأساطير الأولين وشهد وقعة "بدر" مع مشركي قريش، فأسره المسلمون، وقتلوه بالأثيل (قرب المدينة) بعد انصرافهم من الوقعة. - انظر الأعلام للزركلي مختصرا بتصرف (٣٣/٨)

(٢٠٤) - أخرجه البخاري (برقم / ٣١٣٩) - باب ما من النبي صلى الله عليه وسلم على الأسارى من غير أن يخمس

(٢٠٥) - ثمامة بن أثال بن النعمان اليمامي، من بني حنيفة، أبو أمامة: صحابي، كان سيد أهل اليمامة.

-وذهب إلي ذلك الجصاص - رحمه الله- في أحكامه ورفع الإشكال بين الاختلافات فقال ما مختصره:
أنزل الله تعالى بعد هذا في الأسارى {فإما منا بعد وإما فداء} فجعل الله النبي والمؤمنين في الأسارى
بالخيار إن شاءوا قتلوهم وإن شاءوا استعبدوهم وإن شاءوا فادوهم شك أبو عبيد في وإن شاءوا
استعبدوهم

ثم قال- رحمه الله- عن سفيان قال سمعت السدي يقول في قوله {فإما منا بعد وإما فداء} قال هي
منسوخة نسخها قوله {فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم} قال أبو بكر أما قوله {فإذا لقيتم الذين كفروا
فضرب الرقاب} وقوله {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض} وقوله {فإما تتقنهم في
الحرب فشردهم من خلفهم} فإنه جائز أن يكون حكما ثابتا غير منسوخ وذلك لأن الله تعالى أمر نبيه
صلى الله عليه وسلم بالإثخان بالقتل وحظر عليه الأسر إلا بعد إذلال المشركين وقمعهم وكان ذلك في
وقت قلة عدد المسلمين وكثرة عدد عدوهم من المشركين فمتى أئخن المشركون وأذلوا بالقتل والتشريد جاز
الاستبقاء فالواجب أن يكون هذا حكما ثابتا إذا وجد مثل الحال التي كان عليها المسلمون في أول
الإسلام أما قوله {فإما منا بعد وإما فداء} ظاهره يقتضى أخذ شيعين إما من وإما فداء وذلك ينفي جواز
القتل وقد اختلف السلف في ذلك. اهـ (٢٠٧)

ما جاء في الغنائم وأحكامها

شرع الله تعالى الجهاد في سبيله لغايات ومقاصد عظيمة، أهمها نشر هذا الدين كما لا يخفي، فإن قامت
معركة وانتصر فيها المسلمون فما يأخذه المجاهدون في هذه الحروب من أموال وأسلحة وآلات ونحوها هي
مال حلال لهم كما قال تعالى {فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٦٩)} -
الأنفال

والمقصود بالغنيمة هي هذه الأموال النقدية والعينية ونحوها مما ينتفع به التي يأخذها المجاهدون في سبيل
الله في حربهم مع الكفار.

ولهذه الغنيمة أحكام ذكرها الله تعالى في قوله:

له شعر. ولما ارتد أهل اليمامة في فتنة (مسيلمه) ثبت هو على إسلامه، ولحق بالعلاء بن الحضرمي، في جمع ممن ثبت
معه، فقاتل المرتدين من أهل البحرين. وقتل بعيد ذلك-انظر الاعلام للزركلي (١٠٠/٢)

(٢٠٦) -انظر ذات الميعاد في هدي خير العباد لابن القيم (٥٩/٥) - نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة

المنار الإسلامية، الكويت- الطبعة: السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م

(٢٠٧) -انظر أحكام القرآن للجصاص - (٥ / ٢٦٩)

{ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ أُمَّتَكُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ الْجُمُعَانَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٤١) } - الأنفال

- قال ابن عربي في بيان فوائد ومقاصد الآية ما مختصره: قوله: {واعلموا أنما غنمتم} [الأنفال: ٤١] قد بينا القول في الغنيمة والفيء.

فأما الأحكاميون، فقالوا: إن الغنيمة من الأموال المنقولة، والفيء: الأرضون؛ قاله مجاهد. وقيل: إن الغنيمة ما أخذ عنوة. والفيء ما أخذ على صلح؛ قاله الشافعي. وقيل: إن الفيء والغنيمة بمعنى واحد.

وأما قول مجاهد فصار إليه؛ لأن الله ذكر الفيء في القرى، وذكر الغنيمة مطلقا، ففصل الفرق هكذا. وأما قول الشافعي فبناه على العرف، وأن الغنيمة تنطلق في العرف على الأموال القهرية، وينطلق الفيء عرفا على ما أخذ من غير قهر.

وليس الأمر كذلك، بل الفيء عبارة عن كل ما صار للمسلمين من الأموال بقهر وبغير قهر. وحقيقته أن الله خلق الخلق ليعبده، وجعل الأموال لهم ليستعينوا بها على ما يرضيه، وربما صارت في أيدي أهل الباطل، فإذا صارت في أيدي أهل الحق فقد صرفها عن طريق الإرادة إلى طريق الأمر والعبادة. ثم أضاف - رحمه الله -: إذا عرفتم أن الغنيمة هي ما أخذ من أموال الكفار؛ فإن الله قد حكم فيها بحكمه، وأنفذ فيها سابق علمه، فجعل خمسها للخمسة الأسماء، وأبقى سائرهما لمن غنمها؛ ونحن نسميها، ثم نعطف على الواجب فيها فنقول: أما سهم الله ففيه قولان: أحدهما: أنه وسهم الرسول واحد، وقوله: {الله} [الأنفال: ٤١] استفتاح كلام، فله الدنيا والآخرة والخلق أجمع.

ثم ذكر - رحمه الله - الدليل علي قوله فقال: روي عن أبي العالية الرياحي (٢٠٨) قال: «كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يؤتى بالغنيمة فيقسمها على خمسة، يكون أربع أخماسها لمن شهدها، ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيأخذ منه الذي قبض كفه فيجعله للكعبة، وهو سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة أسهم».

(٢٠٨) - أبي العالية الرياحي بكسر الراء بعدها تحتانية مثناة خفيفة، مولاهم. اسمه رفيع، بفاء ثم مهملة مصغرا، ابن مهران أدرك الجاهلية، ويقال: إنه قدم في خلافة أبي بكر، ودخل عليه، فذكر البخاري في تاريخه، من طريق مسلم بن قتيبة، عن أبي خلدة، قال: سألت أبا العالية: هل رأيت النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: أسلمت في عامين من بعد موته. - انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني مختصراً (١٠٣٢٨)

ثم أضاف: وأما سهم الرسول فقيل: هو استفتاح كلام، مثل قوله: لله، ليس لله منه شيء ولا للرسول، ويقسم الخمس على أربعة أسهم: سهم لبني هاشم، ولبني المطلب سهم، ولليتامى سهم، والمسكين سهم ولاين السبيل سهم؛ قاله ابن عباس.

وقيل: هو للرسول، ففي كيفية كونه له أربعة أقوال: فقيل: لقرابته إرثاً، وقيل: للخليفة بعده، وقيل: هو يلحق بالأسهم الأربع، وقيل: هو مصروف في الكراع والسلاح، وقيل: إنه مصروف في مصالح المسلمين العامة؛ قاله الشافعي.

وأما سهم ذوي القربى فقيل: هم قريش، وقيل: بنو هاشم [وقيل بنو هاشم] وبنو المطلب؛ وهو قول الشافعي.

وقيل: ذهب ذلك بموت النبي - صلى الله عليه وسلم - ويكون لقرابة الإمام بعده.

وقيل: هو للإمام يضعه حيث يشاء.

وأما سهم اليتامى فإن اليتيم من فيه ثلاثة أوصاف: موت الأب، وعدم البلوغ، ووجود الإسلام أصلاً فيه أو تبعاً لأحد أبويه، وحاجته إلى الرد.

وأما المسكين فهو المحتاج.

وأما ابن السبيل فهو الذي يأخذه الطريق محتاجاً، وإن كان غنياً في بلده. اهـ (٢٠٩)

-قلت: والاختلاف بين أهل العلم فيما ذكره ابن عربي انفاً عن سهم الله وسهم رسوله -صلي الله عليه وسلم- وقد رجح الكثير من أهل العلم أنه يصرف في مصالح المسلمين.

- وقد سئل العلامة ابن عثيمين - رحمه الله -: في زماننا الحالي كيف ينفق خمس الله تعالى ورسوله - صلى الله عليه وسلم -؟

فأجاب بقوله: هذا يكون في المصالح العامة -مصالح المسلمين العامة- كبناء المساجد، وإصلاح الطرق، وتسبيل المياه، وغير ذلك، وكذلك أيضاً أرزاق المؤذنين وأرزاق الأئمة والمعلمين وطلبة العلم، المهم أنها في المصالح العامة. اهـ (٢١٠)

-وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: وقوله: (وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ)، إضافة الأنفال والخمس إليه كإضافة العامة الثابتة لكل مخلوق، كقوله: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ}. بل هذه الإضافة بحكم أمره ودينه الذي بعث به رسوله، ولهذا قرن هذا

(٢٠٩) - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٤٠٠/٢)

(٢١٠) - انظر مجموع فتاوي ورسائل محمد بن صالح العثيمين - (٣٨٠/٢٥) - جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم

السليمان - الناشر: دار الوطن - دار الثريا - الطبعة: الأخيرة - ١٤١٣ هـ

بالرسول، فإنَّ أمرَه الذي أمرَ به ما يُجِبُّه وَيَرْضاه هو ما جاء به الرسول، وهذه الأموال الشرعية التي يحكم بها بأمر الله ورسوله ليست كالأموال التي ملكها لعباده.

ولهم أن يفعلوا فيها ما أحبوا إذا لم يكن محرماً، ولهذا قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "إني والله لا أعطي أحداً ولا أمنع أحداً، وإنما أنا قاسمٌ أصنع حيثُ أمرتُ" (٢١١). اهـ (٢١٢)

ما جاء في الحث علي طاعة الله تعالي

ورسوله-صلي الله عليه وسلم-

طاعة الله ورسوله فرض علي كل مسلم ولا يخفى أن طاعتهما لا يتحقق وجودها إلا بمعرفة أمر الله ورسوله ونهي الله ورسوله.

وفي سورة الأنفال آيات تحث على طاعتهما وفيها من الفوائد والأحكام الكثير نذكر منها:

قوله تعالى: {يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله

ورسوله إن كنتم مؤمنين} [الأنفال: ١]

-ذكر البغوي -رحمه الله- في شرح السنة بيان المقصود بالأنفال وحكمها فقال: والأنفال: الغنائم: الواحد نفل، وكل شيء كان زيادة على الأصل فهو نفل، وإنما قيل للغنيمة: نفل، لأنه مما زاد الله لهذه الأمة في الحلال، وكان محرماً على من قبلهم، وبه سميت نوافل الصلوات، لأنها زيادة على الفرض، وقال الله سبحانه وتعالى: {فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً} [الأنفال: ٦٩]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أحلت لي المغنم ولم تحل لأحد قبلي» (٢١٣). اهـ (٢١٤)

(٢١١) - أخرجه البخاري برقم (٣١١٧) وغيره عن أبي هريرة رضي الله عن بلفظ «ما أعطيكُم ولا أمنعكم، إنما أنا

قاسم أصنع حيث أمرت»- بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ} [الأنفال: ٤١]

(٢١٢) - جامع المسائل لابن تيمية (٢٦٤/٤) - تحقيق: محمد عزيز شمس - إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد-

الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع- الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ

(٢١٣) - جزء من حديث أخرجه البخاري من حديث (جابر بن عبد الله- رضي الله عنه- (برقم/ ٣٣٥)- كِتَابُ

التَّيْمِيمِ- وتَمَامُ مَتْنِهِ " أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة

شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأبما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي المغنم ولم تحل لأحد

قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة "

- واذف الكفا المراسي - رحمه الله- في بيان أحكامها فقال ما مختصره وبتصرف:
قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ) نزل بعد حيازة غنائم بدر، وما كانت الغنائم قبل ذلك تحل.
وهذا ليس بصحيح، لإمكان أن الله تعالى أهلها يوم بدر للمسلمين، ولكن لما اختلفوا انتزع منهم وجعل ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم.
ثم أضاف - رحمه الله-:
فإذا ثبت ذلك، فاعلم أن قوله: يسألونك عن الأنفال، ظاهر في أنهم سأله عن مال معلوم، وأن الجواب في ذلك، أن ذلك لله والرسول، ومعلوم أن كل شيء فهو لله تعالى ملكا حقا، فلم يختلف العلماء أن المراد به استضياع كلام. فتحصل من الجواب أن الأنفال للرسول. وظاهر هذا القول يقتضي أمرين:
إما أن يكون ملكا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، أو وضعه حيث يريد، وإن لم يملكه حقيقة. فعلى هذا الوجه اختلف العلماء، فقال بعضهم:
إن للرسول عليه الصلاة والسلام أن ينفل ذلك على المجاهدين على ما يراه صلاحا. وقال بعضهم: بل ذلك ملك الرسول أو كالمملك له، حتى يصرفه إلى من شاء.
وظاهر قوله: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ}، كالدلالة على أنه متى أراد وضع ذلك فيهم، تنازعوا واختلفوا، فأنزل الله تعالى ذلك، بعثا لهم على الرضا بما يفعله من القسمة بينهم، وذلك دليل على أنه ليس بملك له ولا لهم وإلا كانوا في ذلك كغيرهم، وكان لا يكون لقوله تعالى: {فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} معنى، فإن أراد المرید بالمملك أن له أن يتصرف فيه على ما يراه ويختاره فنع، وإن أراد به الاستبداد والانتفاع به، فما ذكرناه كالمانع منه، وقيل لذلك نفل، لأن الغنائم لما لم تكن مباحة من قبل، كانت كأنها عطية زائدة من الله تعالى، فسميت أنفالا لذلك. اهـ (٢١٥)

(٢١٤) - انظر شرح السنة للبخاري (٩٣/١١) - تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش - الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت - الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(٢١٥) - انظر أحكام القرآن للكميا المراسي (١٥١/٣) - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

وقوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ } (٢٤)

قلت: وهذه الآية الكريمة تحت المؤمنون باتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- لما فيه حياتهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة.

ولاريب أن الاستجابة لله وللرسول هي لمن يدرك قيمة الحياة، وأن من لم يستجب لله وللرسول فهو ميت مع الأموات ومعلوم أنه لا يحصل هذا الخير إلا لمن اعتصم بكتاب الله عز وجل، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً وعقيدة كما قال علمائنا.

-وللشنقيطي- رحمه الله- فائدة جلييلة في رفع الإشكال لمن يقول أن طاعة الرسول هنا مشروطة بما فيه حياة وليس علي إطلاقه: قال الشيخ - رحمه الله - في دفع الإيهام في سورة «الأنفال» عند قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ } [٨ \ ٢٤]، ما مختصره: وهذه الآية تدل بظاهرها على أن الاستجابة للرسول التي هي طاعته لا تجب إلا إذا دعانا لما يحيينا، ونظيرها قوله تعالى: ولا يعصينك في معروف.

وقد جاء في آيات أخر ما يدل على وجوب اتباعه مطلقاً من غير قيد، كقوله: { وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا } [٥٩ \ ٧].

وقوله: { قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } ثم قال- رحمه الله:

والظاهر: أن وجه الجمع والله تعالى أعلم: أن آيات الإطلاق مبينة أنه - صلى الله عليه وسلم - لا يدعوننا إلا لما يحيينا من خير الدنيا والآخرة، فالشرط المذكور في قوله: إذا دعاكم، متوفر في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - لما كان عصمته، كما دل عليه قوله تعالى: { وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ } [٥٣ \ ٣ - ٤].

والحاصل: أن آية: { إذا دعاكم لما يحييكم }، مبينة أنه لا طاعة إلا لمن يدعو إلى ما يرضي الله، وأن الآيات الأخر بينت أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يدعو أبداً إلا إلى ذلك، صلوات الله وسلامه عليه، انتهى.

-وبه العلامة الشنقيطي- رحمه الله- لأهمية الطاعة لله ورسوله في هذه الآية وغيرها فقال:

الواقع أن العمل بهذه الآية الكريمة هو من لوازم نطق المسلم بالشهادتين؛ لأن قوله: أشهد أن لا إله إلا الله، اعتراف لله تعالى بالألوهية وبمستلزماتها، ومنها إرسال الرسل إلى خلقه، وإنزال كتبه وقوله: أشهد أن محمداً رسول الله، اعتراف برسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - من الله لخلقه، وهذا يستلزم الأخذ بكل ما جاء به هذا الرسول الكريم من الله سبحانه وتعالى، ولا يجوز أن يعبد الله إلا بما جاء به رسول الله، ولا يحق له أن يعصي الله بما نهاه عنه رسول الله، فهي بحق مستلزم للنطق بالشهادتين.

ويؤيد هذا قوله تعالى: { فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } [٤ \ ٥٩] فربط مرد الخلاف إلى الله والرسول بالإيمان بالله واليوم الآخر. اهـ (٢١٦)

-وقد ذكر الالباني - رحمه في بيان الالتزام بطاعة الله ورسوله-صلي الله عليه وسلم- في هذه الآية بمثال من الواقع فقال ما مختصره: وكذلك إذا سقطت اللقمة من أحدهم، فإنه يترفع عن أن يتناولها ويميط الأذى عنها ويأكلها، وقد يوجد فيهم من المتعلمين والمتفلسفين من لا يجوز ذلك بزعم أنها تلوثت بالجراثيم والميكروبات! ضربا منه في صدر الحديث إذ يقول صلى الله عليه وسلم: " فليمط ما رابه منها وليطعمها ولا يدعها للشيطان ". ثم أنهم لا يلغون أصابعهم بل إن الكثيرين منهم يعتبرون ذلك قلة ذوق وإخلال بأداب الطعام، ولذلك اتخذوا في مواعدهم مناديل من الورق الخفيف النشاف المعروف بـ (كليكس)، فلا يكاد أحدهم يجد شيئا من الزهومة في أصابعه، بل وعلى شفثيه إلا بادر إلى مسح ذلك بالمنديل، خلافا لنص الحديث. وأما لعق الصفحة، أي لعق ما عليها من الطعام بالأصابع، فإنهم يستهجنونه غاية الاستهجان، وينسبون فاعله إلى البخل أو الشراهة في الطعام، ولا عجب في ذلك من الذين لم يسمعوا بهذا الحديث فهم به جاهلون، وإنما العجب من الذين يسايرونهم ويداهنونهم، وهم به عالمون.

ثم تجدهم جميعا قد أجمعوا على الشكوى من ارتفاع البركة من رواتبهم وأرزاقهم، مهما كان موسعا فيها عليهم، ولا يدرون أن السبب في ذلك إنما هو إعراضهم عن اتباع سنة نبيهم، وتقليدهم لأعداء دينهم، في أساليب حياتهم ومعاشهم.

فالسنة السنة أيها المسلمون! { يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون } اهـ (٢١٧)

(٢١٦) - انظر أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٤٠/٨) - ل محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي نشر دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان - سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م

(٢١٧) - انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني و تعليقه علي حديث (رقم/ ١٤٠٤) " إذا طعم أحدكم فسقطت لقمته من يده. الحديث" نشر مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض-الطبعة الأولى

وقوله تعالى { وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (٤٦) }

وهذه الآية فيها فوائد جلييلة فهي تحث علي طاعة الله ورسوله وترك الاختلاف والتناحر.

-قال ابن عثيمين- رحمه الله-: وكان الصحابة- رضي الله عنهم- يختلفون في مثل هذه المسائل، ولكنهم على قلب واحد، على محبة وائتلاف، بل إني أقول بصراحة: إن الرجل إذا خالفك بمقتضى الدليل عنده فإنه موافق لك في الحقيقة؛ لأن كلاً منكما طالب للحقيقة، وبالتالي فالهدف واحد وهو الوصول إلى الحق عن دليل، فهو إذن لم يخالفك ما دمت تقر أنه إنما خالفك بمقتضى الدليل عنده، فأين الخلاف؟ وبجده الطريقة تبقى الأمة واحدة وإن اختلفت في بعض المسائل لقيام الدليل عندها، أما من عاند وكابر بعد ظهور الحق فلا شك أنه يجب أن يعامل بما يستحقه بعد العناد والمخالفة، ولكل مقام مقال. اهـ (٢١٨)

-وقال الجصاص- رحمه الله- في أحكامه عن هذه الآية ما مختصره:

أمر الله تعالى في هذه الآية بطاعته وطاعة رسوله ونهى بها عن الاختلاف والتنازع وأخبر أن الاختلاف والتنازع يؤدي إلى الفشل وهو ضعف القلب من فزع يلحقه وأمر في آية أخرى بطاعة أولاة الأمر لنفي الاختلاف والتنازع المؤديين إلى الفشل في قوله أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول وقال في آية أخرى { وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ } فأحبر تعالى أنه أراهم في منامهم قليلا لئلا يتنازعوا إذا رأوهم كثيرا فيفشلوا.. ثم قال- رحمه الله:-

فتضمنت هذه الآية كلها النهي عن الاختلاف والتنازع وأخبر أن ذلك يؤدي إلى الفشل وإلى ذهاب الدولة بقوله وتذهب ريحكم وقيل إن المعنى ريح النصر التي يبعثها الله مع من ينصره على من يخذله وروي ذلك عن قتادة وقال أبو عبيدة تذهب دولتكم من قولهم ذهب ريحه أي ذهب دولته. اهـ (٢١٩)

(٢١٨)- انظر مجموع فتاوي ورسائل محمد بن صالح العثيمين- (٧٩/٢٦) - جمع وترتيب : فهد بن ناصر بن إبراهيم

السليمان-الناشر : دار الوطن - دار الثريا- الطبعة : الأخيرة - ١٤١٣ هـ

(٢١٩) -انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤ / ٢٥١)

قوله تعالى { وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ (٥٨) }
هذه الآية فيها أحكاماً مهمة منها:

- ما ذكره ابن عثيمين - رحمه الله - قال ما مختصره: والمعاهدون من الكفار لهم ثلاث حالات؛ الحال الأولى: أن يستقيموا لنا؛ الحالة الثانية: أن يخونوا؛ الحال الثالثة: أن نخاف منهم الخيانة؛ فإن استقاموا لنا وجب علينا أن نستقيم لهم؛ ولا يمكن أن نخون أبداً؛ لقوله تعالى {فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقي} [التوبة: ٧]؛ وإن خانوا انقض عهدهم، ووجب قتالهم؛ لقوله تعالى: {وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم} [التوبة: ١٢]؛ وإن خفنا منهم الخيانة وجب أن ننبذ إليهم عهدهم على سواء؛ لقوله تعالى: {وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء} [الأنفال: ٥٨]: نخبرهم أن لا عهد بيننا ليكونوا على بصيرة؛ ومن العهد أيضاً ما يقع بين الإنسان وبين غيره من الالتزامات غير العقود، مثل الوعد؛ فإن الوعد من العهد؛ ولهذا اختلف أهل العلم هل يجب الوفاء بالوعد، أو لا يجب؛ والصحيح الذي اختاره شيخ الإسلام ابن تيمية أنه يجب الوفاء بالوعد؛ لأنه داخل في العهد، ولأن إخلاف الوعد من علامات النفاق؛ وإذا كان كذلك فلا يجوز للمؤمن أن يتحلى بأخلاق المنافقين. اهـ (٢٢٠)

- وزاد الجصاص - رحمه الله - في بيانها في أحكامه فقال ما مختصره: يعني والله أعلم إذا خفت غدرهم وخذعتهم وإيقاعهم بالمسلمين وفعلوا ذلك خفياً ولم يظهروا نقض العهد فانبذ إليهم على سواء يعني ألق إليهم فسخ ما بينك وبينهم من العهد والهدنة حتى يستوي الجميع في معرفة ذلك وهو معنى قوله {على سواء} لئلا يتوهموا أنك نقضت العهد بنصب الحرب وقيل على سواء على عدل.
ثم أضاف - رحمه الله -:

وقد غز النبي صلى الله عليه وآله وسلم أهل مكة بعد الهدنة من غير أن ينبذ إليهم لأنهم قد كانوا نقضوا العهد بمعاونتهم بنى كناية على قتل خزاعة وكانت حلفاء للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولذلك جاء أبو سفيان إلى المدينة يسئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجديد العهد بينه وبين قريش فلم يحبه النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى ذلك
فمن أجل ذلك لم يحتج إلى النبذ إليهم إذ كانوا قد أظهروا نقض العهد بنصب الحرب لحلفاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم وروي نحو معنى الآية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم. اهـ (٢٢١)

(٢٢٠) - انظر تفسير الفاتحة والبقرة لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (٢/٢٩٢) - نشر دار ابن الجوزي، المملكة العربية

السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ

(٢٢١) - انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤/٢٥٢)

- وذكر الشافعي في كتابه "الأم" بيان معني الخيانة وحكمها فقال- رحمه الله- ما مختصره: فإذا جاءت دلالة على أن لم يوف أهل هدنة بجميع ما هادتهم عليه فله أن ينبذ إليهم، ومن قلت له أن ينبذ إليه فعليه أن يلحقه بمأمنه ثم له أن يجاربه كما يجارب من لا هدنة له.

ثم أضاف: فإن قال الإمام: أخاف خيانة قوم، ولا دلالة له على خيانتهم من خبر، ولا عيان فليس له - والله تعالى أعلم - نقض مدتهم إذا كانت صحيحة؛ لأن معقولاً أن الخوف من خيانتهم الذي يجوز به النبذ إليهم لا يكون إلا بدلالة على الخوف، ألا ترى أنه لو لم يكن بما يخطر على القلوب قبل العقد لهم ومعه وبعده من أن يخطر عليها أن يخونوا.

ثم قال: وإذا وادع الإمام قوما مدة، أو أخذ الجزية من قوم فكان الذي عقد الموادة والجزية عليهم رجلاً، أو رجلاً منهم لم تلزمهم حتى نعلم أن من بقي منهم قد أقر بذلك ورضيه، وإذا كان ذلك فليس لأحد من المسلمين أن يتناول لهم مالا ودماً، فإن فعل حكم عليه بما استهلك ما كانوا مستقيمين، وإذا نقض الذين عقدوا الصلح عليهم، أو نقضت منهم جماعة بين أظهرهم فلم يخالفوا الناقض بقول، أو فعل ظاهر قبل أن يأتوا الإمام، أو يعتزلوا بلادهم ويرسلوا إلى الإمام إنا على صلحنا، أو يكون الذين نقضوا خرجوا إلى قتال المسلمين، أو أهل ذمة للمسلمين فيعينون المقاتلين، أو يعينون على من قاتلهم منهم فللإمام أن يغزوهم، فإذا فعل فلم يخرج منهم إلى الإمام خارج مما فعله جماعتهم فللإمام قتل مقاتلتهم وسي ذراريهم وغنيمة أموالهم كانوا في وسط دار الإسلام، أو في بلاد العدو. اهـ (٢٢٢)

قال الله تعالى { إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٧٢) } قلت: من أحكام هذه الآية كما هو ظاهر وجوب موالاتة المؤمنين بعضهم لبعض، وأنهم أولياء الله، وأن الله وليهم ومولاهم. فالله يتولى عباده المؤمنين، فيحبهم ويحبونه، ويرضى عنهم ويرضون عنه، وبالتالي فتكون لهم العزة والنصر ونذكر هنا بعضاً من أحكامها من أقوال أهل العلم والله المستعان.

- قال الكيا الهراسي - رحمه الله- في أحكام هذه الآية ما مختصره:
يدل قوله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ) ذلك الوجوب بالفتح لقوله صلى الله عليه وسلم: " لا هجرة بعد الفتح" (٢٢٣).

(٢٢٢) - انظر كتاب "الأم" (١٩٦/٤) للإمام الشافعي-نشر دار المعرفة - بيروت- سنة النشر: ١٤١٠هـ/١٩٩٠م

(٢٢٣) - جزء من حديث أخرجه البخاري (برقم/٢٧٨٣)- باب فضل الجهاد والسير -وتمام متنه " لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية، وإذا استنفرتم فانفروا "

وإنما كانت واجبة للخوف من الكفار، والخوف من الافتتان، ولتقوية الرسول عليه الصلاة والسلام، وكل ذلك زال بالفتح.

ويحتمل أن يكون المراد بالولاية الوراثة، لأنهم كانوا من قبل يتوارثون بالإسلام والهجرة، ونسخ ذلك بقوله تعالى: {وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ} ويحتمل أن تكون الموالاتة في الدين. وقوله تعالى: {مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ}، يدل على أن من ترك الهجرة، فقد خرج عن أن يكون وليا لسائر المؤمنين، إلا أنه لو خرج عن الدين لما قال الله تعالى: {وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ}. اهـ (٢٢٤)

-وزاد ابن عربي في بيان حكم قوله تعالى:

{وأولئك بعضهم أولياء بعض} [الأنفال: ٧٢] فقال ما نصه: يعني في النصرة أو في الميراث على الاختلاف المتقدم، فلا يبالي به أن يكون المراد أحدهما أو كلاهما؛ لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد بين حكم الميراث بقوله: «ألقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فهو لأولى عصبه ذكر» (٢٢٥).
وأما قوله: {والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا} [الأنفال: ٧٢]: فإن ذلك عام في النصرة والميراث؛ فإن من كان مقيما بمكة على إيمانه لم يكن ذلك معتدا له به، ولا مثابا عليه حتى يهاجر.

ثم نسخ الله ذلك بفتح مكة والميراث بالقرابة، سواء كان الوارث في دار الحرب أو في دار السلام؛ لسقوط اعتبار الهجرة بالسنة، إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين؛ فإن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن بالأبى يبقى منا عين تطرف حتى نخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك.

قال مالك وجميع العلماء: فإننا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو، وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والعدة والعدد، والقوة والجلد. اهـ (٢٢٦)

ما جاء في كرامة الله للمؤمنين

{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) }

(٢٢٤) - انظر أحكام القرآن للكميا الهراسي - (٣ / ١٦٧) - الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت - الطبعة: الثانية،

١٤٠٥ هـ

(٢٢٥) - أخرجه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (برقم/ ٦٧٣٢) - باب ميراث الولد من أبيه وأمه

(٢٢٦) - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٢ / ٤٤٠)

في هاتين الآيتين حكم وفوائد وقد ذكر ابن عثيمين-رحمه الله-بعضها فقال في تفسيره لقوله تعالى: { إذ تستغيثون ربكم }:

الاستغاثة طلب الغوث وهو الإنقاذ من الشدة والهلاك، وهو أقسام:

الأول: الاستغاثة بالله عز وجل وهذا من أفضل الأعمال وأكملها وهو دأب الرسل وأتباعهم، ودليله ما ذكره الشيخ -رحمه الله- {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَلَيْ مُدَّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ} وكان ذلك في غزوة بدر حين نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى المشركين في ألف رجل وأصحابه ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً فدخل العريش يناشد ربه عز وجل رافعاً يديه مستقبل القبلة يقول: " اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تملك هذه العصاة الإسلام لا تعبد في الأرض" (٢٢٧) وما زال يستغيث بربه رافعاً يديه حتى سقط رداؤه عن منكبيه

فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رداءه فألقاه على منكبيه ثم ألتمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك وعدك فأنزل الله هذه الآية.

الثاني: الاستغاثة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة فهذا شرك؛ لأنه لا يفعله إلا من يعتقد أن لهؤلاء تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية قال الله تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْهَ مَعِ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [سورة النمل، الآية: ٦٢]

الثالث: الاستغاثة بالأحياء العالمين القادرين على الإغاثة فهذا جائز كالأستعانة بهم قال الله تعالى في قصة موسى: {فَاسْتَعَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ} [سورة القصص، الآية: ١٥].

الرابع: الاستغاثة بحي غير قادر من غير أن يعتقد أن له قوة خفية مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول فهذا لغو وسخرية بمن استغاث به فيمنع منه لهذه العلة، ولعلة أخرى وهي الغريق ربما أعتز بذلك غيره فتوهم أن لهذا المشلول قوة خفية ينقذ بها من الشدة. اهـ (٢٢٨)

- وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- فائدة من الآيتين وبين مقصدهما فقال:

قال سبحانه في قصة بدر: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَلَيْ مُدَّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرَدِّفِينَ} {وما جعله الله إلا بشراً ولتطمئن به قلوبكم} فوعدهم بالإمداد بألف وعدا مطلقاً وأخبر أنه جعل

(٢٢٧) - أخرجه مسلم (برقم/ ١٧٦٣) - باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، وإباحة الغنائم

(٢٢٨) - انظر شرح ثلاثة الأصول لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (٦٥/١) - نشر دار الثريا للنشر - الطبعة الرابعة

إمداد الألف بشرى ولم يقيده وقال في قصة أحد: { إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين } { بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين } فإن هذا أظن فيه قولين: " أحدهما " أنه متعلق بأحد؛ لقوله بعد ذلك: { ليقطع طرفا من الذين كفروا } الآية. ولأنه وعد مقيد وقوله فيه: { وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به } يقتضي خصوص البشرى بهم. وأما قصة بدر فإن البشرى بها عامة فيكون هذا كالدليل على ما روي من أن ألف بدر باقية في الأمة فإنه أطلق الإمداد والبشرى وقدم (به) على (لكم) عناية بالألف وفي أحد كانت العناية بهم لو صبروا فلم يوجد الشرط. اهـ (٢٢٩)

{ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشُّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) }

-قال الجصاص - رحمه الله- في بيان فوائدها: في هذه القصة ضروب من دلائل النبوة أحدها إخباره إياهم بأن إحدى الطائفتين لهم وهي عير قريش التي كانت فيها أموالهم وحيشهم الذين خرجوا لحمايتها فكان وعده على ما وعده وقوله تعالى { وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم } يعني أن المؤمنين كانوا يودون الظفر لما فيها الأموال وقلة المقاتلة وذلك لأنهم خرجوا مستخفين غير مستعدين للحرب لأنهم لم يظنوا أن قريشا تخرج لقتالهم وقوله تعالى { ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين } وهو إنجاز مواعده لهم في قطع دابر الكافرين وقتلهم. اهـ (٢٣٠)

-قلت: واستخلص الصنعاني في سبل السلام فائدة جليلة وحكم من أحكام الآية وهو جواز جمع النية في الجهاد وطلب الغنيمة معاً فقال ما مختصره: في البخاري من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - «انتدب الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسولي أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة أو أدخله الجنة» (٢٣١) ولا يخفى أن الأخبار هذه دليل على جواز تشريك النية إذ الإخبار به يقتضي ذلك غالباً؛ ثم إنه يقصد المشركين مجرد نهب أموالهم كما «خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بمن معه في غزاة بدر لأخذ عير المشركين»، ولا ينافي ذلك أن تكون كلمة الله هي العليا بل

(٢٢٩) -- انظر مجموع الفتاوي لابن تيمية- (٣٧/١٥) - الناشر دار الوفاء

(٢٣٠) - انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤ / ٢٢٥)

(٢٣١) - جزء من حديث أخرجه البخاري عن طريق أبي هريرة- رضي الله عنه- (برقم / ٣٦) - باب: تطوع قيام رمضان من الإيمان- وتام متنه «انتدب الله لمن خرج في سبيله، لا يخرجه إلا إيمان بي وتصديق برسلي، أن أرجعه بما نال من أجر أو غنيمة، أو أدخله الجنة، ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية، ولوددت أني أقتل في سبيل الله ثم أحياء، ثم أقتل ثم أحياء، ثم أقتل»

ذلك من إعلاء كلمة الله تعالى؛ وأقرهم الله تعالى على ذلك بل قال تعالى: {وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم} [الأنفال: ٧] ولم يذمهم بذلك مع أن في هذا الإخبار إخباراً لهم بمحبتهم للمال دون القتال فإعلاء كلمة الله يدخل فيه إخافة المشركين وأخذ أموالهم وقطع أشجارهم ونحوه؛ وأما حديث أبي هريرة عند أبي داود «أن رجلاً قال يا رسول الله رجل يريد الجهاد في سبيل الله وهو يتنغي عرضاً من الدنيا فقال: لا أجر له فأعاد عليه ثلاثاً كل ذلك يقول لا أجر له» (٢٣٢) فكأنه فهم - صلى الله عليه وسلم - أن الحامل هو العرض من الدنيا فأجاب بما أوجب وإلا فإنه قد كان تشريك الجهاد بطلب الغنيمة أمراً معروفاً في الصحابة فإنه أخرج الحاكم والبيهقي بإسناد صحيح أن عبد الله بن جحش يوم أحد قال: اللهم ارزقني رجلاً شديداً أقاتله ويقَاتلني، ثم ارزقني عليه الصبر حتى أقتله وأخذ سلبه.

فهذا يدل على أن طلب العرض من الدنيا مع الجهاد كان أمراً معلوماً جوازاً للصحابة فيدعون الله بنيله. اهـ (٢٣٣)

{إِذْ يُعَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُم رِيحَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١)}

- من فوائد وأحكام الآية ما ذكره الجصاص - رحمه الله - في أحكامه قال ما مختصره: فألقى عليهم النعاس في الوقت الذي يطير فيه النعاس بإضلال العدو عليكم بالعدة والسلاح وهم أضعافهم ثم قال {وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به} يعني من الجنابة لأن فيهم من كان احتمال وهو حزر الشيطان لأنه من وسوسته في المنام {وليربط على قلوبكم} بما صار في قلوبهم من الأمانة والثقة بموعود الله {ويثبت به الأقدام}

يحتمل من وجهين:

أحدهما: صحة البصيرة والأمن والثقة الموجبة لثبات الأقدام.

والثاني: أن موضعهم كان رملاً دهساً لا تثبت فيه الأقدام فأنزل الله تعالى من المطر ما لبد الرمل وثبت عليه الأقدام وقد روي ذلك في التفسير. اهـ (٢٣٤)

- ومن فوائد الآية ما ذكره البغوي - رحمه الله - فقال: وكل مائع لا يجوز الوضوء به، فإذا غسل به نجاسة لا تطهر، لأن الله سبحانه وتعالى خص الماء بالتطهير، ومن علينا، فقال عز وجل: {وأنزّلنا من السماء ماء

(٢٣٢) - أخرجه أبو داود (برقم/ ٢٥١٦) - في الجهاد: باب في من يغزو ويلتمس الدنيا - وصحح الألباني إسناده في

صحيح الترغيب والترهيب (برقم/ ١٣٢٩)، (المشكاة برقم/ ٣٨٤٥)

(٢٣٣) - انظر سبل السلام للصنعاني (٢/ ٤٦٤) - نشر دار الحديث

(٢٣٤) - انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤ / ٢٢٥)

طهوراً} [الفرقان: ٤٨] وقال الله سبحانه وتعالى: {وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به} [الأنفال: ١١]، فلو قلنا: «يشاركه في غيره» لذهب معنى التخصيص، وهو قول عطاء، والشعبي.

وحوز أصحاب الرأي إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة، مثل الخل، وماء الورد، والبصاق، ونحوها، إلا الدهن واللبن، ولو جاز إزالة النجاسة بمائع سوى الماء، لجاز الوضوء به. اهـ (٢٣٥)

-قلت: وزاد ابن باز- رحمه الله- بياناً لحكم الماء فقال ما مختصره: أن الماء المطلق قسمان: طهور، ونجس: قال الله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا} وقال تعالى: {إِذْ يُعَشِّيكُمُ النَّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَهَّرَكُم بِهِ وَيُدْهِبَ عَنْكُم رِجْزَ الشَّيْطَانِ} الآية.

وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «إن الماء طهور لا ينجسه شيء» (٢٣٦)

ومراده - صلى الله عليه وسلم -: إلا ما تغير طعمه أو ريحه أو لونه بشيء من النجاسات فإنه ينجس بإجماع العلماء، أما ما يقع في الماء من الشراب أو أوراق الشجر أو نحوها، فإنه لا ينجسه، ولا يفقده الطهورية ما دام اسم الماء باقياً.

أما إن تغير اسم الماء بما خالطه إلى اسم آخر؛ كاللبن، والقهوة، والشاي، ونحو ذلك فإنه يخرج بذلك عن اسم الماء، ولا يسمى ماء، ولكنه في نفسه طاهر بهذه المخالطة، ولا ينجس بها.

أما الماء المقيد؛ كماء الورد، وماء العنب، وماء الرمان، فهذا يسمى طاهراً، ولا يسمى طهوراً، ولا يحصل به التطهير من الأحداث والنجاسة؛ لأنه ماء مقيد وليس ماء مطلقاً، فلا تشمله الأدلة الشرعية الدالة على التطهير بالماء، والشرع إنما وصف الماء المطلق بالتطهير؛ كماء المطر، وماء البحر، والأنهار، والعيون. اهـ (٢٣٧)

{إِذْ يُوحِي رُؤْيَاكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ إِنِّي مَعَكُمْ فَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْتَاكِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢)}

في هذه الآية من سورة الأنفال فوائد كثيرة وأحكام ذكرها العلماء نذكر منها:-

(٢٣٥) - انظر شرح السنة للبعوي (٦٥/٢) - تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش- الناشر: المكتب

الإسلامي - دمشق، بيروت- الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(٢٣٦) - انظر صحيح أبي داود (٥٩)، و الإرواء (١٤)، والمشكاة (٢٨٨)، وصحيح الجامع (برقم/

١٩٢٥) للألباني.

(٢٣٧) - انظر مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله (١٠/١٤) - أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد

الشويعر.

- ما ذكره ابن تيمية- رحمه الله- قال ما مختصره: فتخويف الكفار والمنافقين وإرعائهم هو من الله نصر للمؤمنين، ولكن الذين قالوا ذلك من السلف أرادوا أن الشيطان يخوف الذين أظهروا الإسلام وهم يوالونه من العدو، فإنما يخاف من الكفار المنافقون بتخويف الشيطان لهم، كما قال تعالى: { وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ }، وقال تعالى: { قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ } إلى قوله { وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوْدُوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ }

ودلت الآية على أن المؤمن لا يجوز أن يخاف أولياء الشيطان، وعليه أن يخاف الله، فخوف الله أمر به وخوف أولياء الشيطان مهي عنه. وهذا كقوله في الآية الأخرى: { لَيْتَآ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } الآية، فنهي عن خشية الظالم وأمر بخشيته تعالى. وقال: { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ }، وقال: { فَإِنِّي آتِي فَارْهَبُونِ }.

وبعض الناس يقول: يا رب! أخافك وأخاف من لا يخافك. وهذا لا يجوز، بل عليه أن يخاف الله، ولا يخاف من لا يخاف الله، فإن من لا يخاف الله ظالم من أولياء الشيطان، وهذا قد نهي الله عن أن يخاف. وإذا قيل: قد يؤذيني، قيل: إنما يؤذيك بتسليط الله له، وإذا أراد سبحانه دفع شره عنك دفعه، فالأمر لله أنت إذا خفت الله فاتقيته وتوكلت عليه كفأك شره، ولم يسلمه عليك، فانه تعالى قال: { وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ }. وتسليطه يكون بسبب ذنوبك وخوفك منه، فإذا خفت الله وثبت من ذنوبك واستغفرت له لم يسلمه عليك، وقد قال تعالى: { وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ } . اهـ (٢٣٨)

-وأضاف ابن القيم- رحمه الله- مبيناً فائدة أخرى من قوله تعالى { إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيِّ مَعَكُمْ فَتَبَيَّنُوا الَّذِينَ آمَنُوا } فقال ما مختصره: فالخلق كلهم قسمان: موفق بالتشيت، ومخذول بترك التشيت، ومادة التشيت أصله ومنشؤه من القول الثابت وفعل ما أمر به العبد، فبهما يثبت الله عبده، فكل من كان أثبت قولاً وأحسن فعلاً كان أعظم تشيتاً، قال تعالى: { ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تشيتاً } [النساء: ٦٦] فأثبت الناس قلباً أثبتهم قولاً، والقول الثابت هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب؛ فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة؛ ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً، والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوثاً وأقلهم ثباتاً، وأهل الفراسة يعرفون

صدق الصادق من ثبات قلبه وقت الإخبار وشجاعته ومهابته، ويعرفون كذب الكاذب بضد ذلك؛ ولا يخفى ذلك إلا على ضعيف البصيرة. اهـ (٢٣٩)

-قلت: ومن أحكام الآية ما ذكره ابن عثيمين-رحمه الله-فقال ما مختصره: فنفرت الملائكة، ونزلت تقاتل؛ تثبت المؤمنين، وتلقي في قلوب الكفار الرعب، فهبوا، وقتل منهم سبعون رجلاً، واسر سبعون رجلاً. وكان ممن قتل هذا الزعيم الذي يقول: إننا لن نرجع حتى نقدم بدرًا، وأخر ما قال: وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبدًا. لكن العرب سمعت بهم فنزلت مرتبتهم عند العرب!!

فالحاصل أن أهل بدر في الفضل يلون العشرة المبشرين بالجنة، لما لهم من بلاء حسن في غزوة بدر. وقد يرد هنا إشكال على قوله تعالى لأهل بدر: "اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم" (٢٤٠)؛ فإن ظاهر هذا القول العموم، يعني أنه يشمل الكفر وما هو دونه، والجواب على هذا بأحد وجهين: الأول: أن يقال أنهم لا يمكن أن يشاءوا الكفر لما حل في قلوبهم من الإيمان الراسخ الذي لا يمكن أن يدخل من خلاله الكفر، فيكون في هذا بشارة لهم أنهم لن يكفروا، ويبقى ما دون الكفر مكفر بهذه الغزوة.

إذاً فقوله: ((ما شئتم)) لا يدخل فيه الكفر لأنهم لا يمكن أن يشاءوا الكفر بسبب ما قدموه من هذه الحسنات العظيمة، ويكون في هذا بشارة لهم بأنهم لن يكفروا.

ثانياً: أنه على فرض كفرهم سوف ييسرون للتوبة حتى يغفر لهم: {قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ} (الأنفال: الآية ٣٨)، فيكون في هذا بشارتان، إما بأنهم لن يكفروا، أو أنه لو قدر أنهم كفروا فإنهم سوف يعودون إلى الإسلام، ويغفر لهم ما قد سلف، ومن تتبع أحوالهم لم يجد أحداً منهم ارتد، فكل الذين في غزوة بدر لم يرتد منهم أحد، وبهذا يكون المعنى الأول اقرب واصلح، وهو أنهم لن يشاءوا الكفر. اهـ (٢٤١)

ما جاء في الفتن والحذر منها

(٢٣٩) - انظر إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية (١٣٦/١) - تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم -

الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

(٢٤٠) - جزء من حديث أخرجه في الصحيحين عن علي رضي الله عنه- البخاري (برقم/ ٤٢٧٤) - غزوة الفتح

ومسلم (برقم/ ٢٤٩٤) - باب من فضائل أهل بدر رضي الله عنهم

(٢٤١) - انظر شرح العقيدة السفارينية لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (ص/ ٦١١) - نشر دار الوطن للنشر،

الرياض - الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ

الفتن الدنيوية في النفس والمال أو النساء والأولاد أو غير ذلك لن ينجو منها إلا أهل التقوي الذين ينالهم بركات من الله وفضله أن قاموا بما يفرض عليهم من حقوق وواجبات، وفي سورة الأنفال فوائد وأحكام جملة تحذر وتشجع لأهل الإيمان سبل الهداية من ذلك:

- قوله تعالى: { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (٢٥) }
- ومن فوائد هذه الآية ما ذكره السعدي - رحمه الله - قال:

أن تقوى الله والقيام بواجبات الإيمان من جملة الأسباب التي تُنال بها الدنيا وكثرة الأولاد والرزق وقوة الأبدان وإن كان لذلك أيضا أسباب أخرى، وهي السبب الوحيد الذي ليس هناك سبب سواه في نيل خير الآخرة، والسلامة من عقابها.

ومنها: أن النجاة من العقوبات العامة الدنيوية هي للمؤمنين، وهم الرسل وأتباعهم، وأما العقوبات الدنيوية العامة فإنها تختص بالمجرمين، ويتبعهم توابعهم من ذرية وحيوان، وإن لم يكن لها ذنوب؛ لأن الوقائع التي أوقع الله بأصناف المكذبين شملت الأطفال والبهائم، وأما ما يذكر في بعض الإسرائيليات أن قوم نوح أو غيرهم لما أراد الله إهلاكهم أعقم الأرحام حتى لا يتبعهم في العقوبة أطفالهم فهذا ليس له أصل، وهو مناف للأمر المعلوم، وذلك مصداق لقوله تعالى:

{ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً } [الأنفال: ٢٥]. اهـ (٢٤٢)

- وقال ابن عربي - رحمه الله - في أحكامه في تأويل الفتنة ما مختصره: فيها ثلاثة أقوال: الأول: الفتنة: المناكير؛ نهي الناس أن يقروها بين أظهرهم فيعمهم العذاب؛ قاله ابن عباس.
الثاني: أنها فتنة الأموال والأولاد، كما قال: { واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة } [الأنفال: ٢٨] رواه عبد الله بن مسعود.

وقد روى حذيفة في الحديث الصحيح حين سأله عمر عن الفتنة، فقال له حذيفة: «فتنة الرجل في جاره وماله وأهله يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر» (٢٤٣).

(٢٤٢) - انظر تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي (ص/١٩٠) - نشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ

(٢٤٣) - أخرجه البخاري (برقم/ ١٤٣٥) - باب: الصدقة تكفر الخطيئة - ولفظه " « فتنة الرجل في أهله، وولده، وجاره، تكفرها الصلاة، والصدقة والمعروف - قال سليمان: قد كان يقول: الصلاة والصدقة، والأمر بالمعروف - والنهي عن المنكر "، قال: ليس هذه أريد، ولكني أريد التي تموج كموج البحر، قال: قلت: ليس عليك بها يا أمير المؤمنين بأس بينك وبينها باب مغلق، قال: فيكسر الباب أو يفتح، قال: قلت: لا بل يكسر، قال: فإنه إذا كسر لم يعلق أبدا، قال: قلت: أجل، فهنا أن نسأله من الباب فقلنا لمسروق: سله، قال: فسأله، فقال: عمر رضي الله عنه، قال: قلنا، فعلم عمر من تعني؟ قال: نعم، كما أن دون غد ليلة وذلك أي حدثه حديثا ليس بالأغاليط "

الثالث: أنها البلاء الذي يتلى به المرء؛ قاله الحسن.

المسألة الثانية: المختار عندنا: أنها فتنة المناكير بالسكوت عليها أو التراضي بها، وكل ذلك مهلك، وهو كان داء الأمم السالفة قال الله سبحانه: { كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه } [المائدة: ٧٩].
وقد قدمنا من تفسير قوله: { يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم } [المائدة: ١٠٥].

أن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده.
وثبت أن أم سلمة قالت للنبي - صلى الله عليه وسلم - : «أهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثرت الخبث» (٢٤٤).

وقال عمر: إن الله لا يعذب العامة بذنوب الخاصة، ولكن إذا عمل المنكر جهارا استحلوا العقوبة كلهم.
وتحقيق القول في ذلك أن الله قال: { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت } [البقرة: ٢٨٦].

وقال: { ولا تزر وازرة وزر أخرى } [الأنعام: ١٦٤] فقد أحرزنا ربنا أن كل نفس بما كسبت رهينة، وأنه لا يؤاخذ أحدا بذنوب أحد، وإنما تتعلق كل عقوبة بصاحب الذنب، بيد أن الناس إذا تظاهروا بالمنكر فمن الفرض على كل من رآه أن يغيره، فإذا سكت عنه فكلهم عاص، هذا بفعله، وهذا برضاه به. (٢٤٥)
-وقال ابن تيمية- رحمه الله- في بيان حكم الآية ما مختصره: دفع العقاب العام من الله تعالى، ومنع حالات الفساد الجماعي.

ذلك أن فشو المنكرات وظهور الفساد يستحق العقاب من وجهين:

الأول: أن ارتكاب تلك المنكرات موجب للعقاب.

الثاني: أن السكوت عن هذه المنكرات من غير أصحابها موجب أحر للعقاب، لذا قال الله تعالى محذراً هذه الأمة أن تسكت عن المنكر: { وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمْتُمْ مِنْكُمْ خَاصَّةً وَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (٢٥) سورة الأنفال.

(٢٤٤) - أخرجه البخاري (برقم/ ٣٣٤٦) - باب قصة يأجوج، ومأجوج- وتام منته «لا إله إلا الله، ويل للعرب من

شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش فقلت يا رسول الله: أهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم إذا كثرت الخبث»

(٢٤٥) - انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٢/ ٣٩٠)

وذلك حتى لا يقع لهم مثل ما وقع لمن قبلهم، الذين حكى الله تعالى حالهم في قوله: ((لِعَنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩) [المائدة]

، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي ثُمَّ يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُعَيَّرُوا ثُمَّ لَا يُعَيَّرُوا إِلَّا يُوشِكُ أَنْ يُعَمَّهُمُ اللَّهُ مِنْهُ بِعِقَابٍ» (٢٤٦). اهـ. (٢٤٧)

-قوله تعالى { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٣٩) }

-قال ابن عثيمين- رحمه الله- عن فوائد ومقاصد هذه الآية ما مختصره: والله لا ينهى عن شيء إلا وهو لا يرضاه سبحانه وتعالى وقال الله عز وجل: { إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ } [سورة الزمر، الآية: ٧]، وقال تعالى: { فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ } [سورة التوبة الآية: ٩] فالكفر والشرك لا يرضاه الله سبحانه وتعالى بل إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب لمحاربة الكفر والشرك والقضاء عليهما، قال الله تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } [سورة الأنفال، الآية: ٣٩] وإذا كان الله لا يرضى بالكفر والشرك فإن الواجب على المؤمن أن لا يرضى بهما، لأن المؤمن رضاه وغضبه تبع رضا الله وغضبه، فيغض لما يغضب الله ويرضى بما يرضاه الله عز وجل، وكذلك إذا كان الله لا يرضى الكفر ولا الشرك فإنه لا يليق بمؤمن أن يرضى بهما. والشرك أمره خطير قال الله عز وجل: { إِنْ اللَّهُ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } [سورة النساء، الآية: ٤٨] وقال تعالى: { إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ } [سورة المائدة، الآية: ٧٢] وقال النبي صلى الله عليه وسلم "من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار" (٢٤٨). اهـ. (٢٤٩)

(٢٤٦) - أخرجه أبو داود (برقم/٤٣٣٩) في الملاحم- باب الأمر والنهي، والطبراني (برقم/٢٣٨٢)، وابن ماجه (برقم/٤٠٠٩) في الفتن: باب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر وغيرهم وصحح الألباني إسناده في المشكاة (برقم/٥١٤٢).

(٢٤٧) - انظر الحسبة لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (ص/٥)- تحقيق/ علي بن نايف الشحود- الطبعة: الثانية (٢٤٨) - أخرجه مسلم من حديث جابر بن عبد الله-رضي الله عنه-برقم (١٥٢)- باب من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، ومن مات مشركاً دخل النار

(٢٤٩) - انظر شرح ثلاثة الأصول لمحمد بن العثيمين (ص/٣٤) - دار الثريا للنشر- الطبعة: الطبعة الرابعة ١٤٢٤ هـ

- ٢٠٠٤م

-وقال الجصاص- في أحكامه عن الآية: قوله تعالى {وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله} قال ابن عباس والحسن حتى لا يكون شرك وقال محمد بن إسحاق حتى لا يفتتن مؤمن عن دينه والفتنة هاهنا جائز أن يريد بها الكفر وجائز أن يريد بها البغي والفساد لأن الكفر إنما سمي فتنة لما فيه من الفساد فتنتظم الآية قتال الكفار وأهل البغي وأهل العيث والفساد وهي تدل على وجوب قتال الفئة الباغية وقوله تعالى {ويكون الدين كله لله} يدل على وجوب قتال سائر أصناف أهل الكفر إلا ما خصه الدليل من الكتاب والسنة وهم أهل الكتاب والمجوس فإنهم يقرون بالجزية ويحتج به من يقول لا يقر سائر الكفار دينهم بالذمة إلا هؤلاء الأصناف الثلاثة لقيام الدلالة على جواز إقرارها بالجزية. اهـ (٢٥٠)

-قوله تعالى {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢٨)}

قلت: فتنة المال والأولاد من الفتن الدنيوية العظيمة التي اهلكت الكثير من العباد وهذه الآية تبين ذلك وتحث علي الثبات لما فيه من أجرٍ عظيم عند الله تعالى ومما جاء في هذه الآية من فوائد وحكم علي سبيل المثال:

- ما ذكره ابن عربي- رحمه الله- في أحكامه قال ما مختصره:

الفتنة ما بينها فيما تقدم، وهي الابتلاء، فالمعنى أن الله ابتلى العبد بالمال والأهل لينظر أطيعه أم يعصيه، حسبما ثبت في علمه وتقدم في حكمه؛ فإن مال العبد إليهما خسر، وإن صبر علي العزوف عنهما، وأناب إلى إيثار جانب الطاعة عليهما فالله عنده أجر عظيم، وهي الجنة بعينها التي أخبر الله بقوله: {أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم} [الحجرات: ٣] وقد قال الشاعر:

وقد فتن الناس في دينهم... وخلى ابن عفان شرا طويلا. اهـ (٢٥١)

-وقال ابن بطلال (٢٥٢): وقوله تعالى: {إنما أموالكم وأولادكم فتنة} [التغابن: ١٥] / ١٩ - فيه: أبو هريرة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "تعس عبد الدينار والدرهم، والقטיפفة، والخميصة، إن أعطى رضى، وإن لم يعط لم يرض" (٢٥٣)

(٢٥٠) -انظر أحكام القرآن للجصاص - (٤ / ٢٢)

(٢٥١) -انظر أحكام القرآن للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي - (٤ / ٢٦٦)

(٢٥٢) - شارح (صحيح البخاري) ، العلامة، أبو الحسن علي بن خلف بن بطلال البكري، القرطبي، ثم البلنسي، ويعرف: بابن اللحام . قال ابن بشكوال : كان من أهل العلم والمعرفة، عني بالحديث العناية التامة؛ شرح (الصحيح) في عدة أسفار، رواه الناس عنه ، واستقضى بحسن لورقة. توفي: في صفر، سنة تسع وأربعين وأربع مائة. قلت: كان من كبار المالكية. - سير أعلام النبلاء للذهبي مختصراً وبتصرف (٢٠)

(٢٥٣) - أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- (برقم/ ٢٨٨٦) - باب الحراسة في الغزو في سبيل الله

وفيه: ابن عباس، قال: قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "لو كان لابن آدم واديان من مال لا بتغى ثالثا ولا يمألاً جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب" (٢٥٤).

ثم أضاف -رحمه الله-: وقال تعالى: {أَهْلَاكُمُ التَّكَاثُرُ} [التكاثر: ١]، وخرج لفظ الخطاب على العموم؛ لأن الله تعالى فطر العباد على حب المال والولد، ألا ترى قوله -صلى الله عليه وسلم-: "لو كان لابن آدم واديان من ذهب لا بتغى ثالثا".

فأخبر عن حرص العباد على الزيادة في المال، وأنه لا غاية له يقنع بها ويقتصر عليها، ثم أتبع ذلك بقوله: "ولا يمألاً جوف ابن آدم إلا التراب"، يعني إذا مات وصار في قبره ملاً جوفه التراب، وأغناه بذلك عن تراب غيره حتى يصير رميماً. وأشار -صلى الله عليه وسلم- بهذا المثل إلى ذم الحرص على الدنيا والشره على الازدياد منها؛ ولذلك آثر أكثر السلف التقليل من الدنيا والقناعة والكفاف فرارا من التعرض لما لا يعلم كيف النجاة من شر فتنته، واستعاذ النبي -صلى الله عليه وسلم- من شر فتنة الغنى، وقد علم كل مؤمن أن الله تعالى قد أعاده من شر كل فتنة، وإنما دعاؤه بذلك -صلى الله عليه وسلم- تواضعا لله وتعلّما لأتمته، وحرصاً لهم على إثبات الزهد في الدنيا.. اهـ (٢٥٥)

-وما ذكره ابن عثيمين -رحمه الله- في شرحه لرياض الصالحين عن فتنة المال فقال ما مختصره: قال المؤلف: المال الذي أعطاه الله بني آدم، أعطاهم الله إياه فتنة؛ ليلوهم هل يحسنون التصرف فيه أم لا. قال الله تعالى: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ} (التغابن: ١٥)، فمن الناس من ينفقه في شهواته المحرمة، وفي لذائذه التي لا تزيده من الله إلا بعداً، فهذا يكون ماله وبالاً عليه والعياذ بالله. ومن الناس من ينفقه ابتغاء وجه الله فيما يقرب إلى الله على حسب شريعة الله، فهذا ماله خيراً له. ومن الناس من يبذل ماله في غير فائدة، ليس في شيء محرم ولا في شيء مشروع، فهذا ماله ضائع عليه، وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن إضاعة المال.

وينبغي للإنسان إذا بذل ماله فيما يرضي الله أن يكون واثقاً بوعد الله سبحانه وتعالى حيث قال في كتابه: {وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ} (سبأ: ٣٩)، {فَهُوَ يُخْلِفُهُ} أي يعطيكم خلفاً عنه. وليس معناه فهو يُخْلِفُهُ، إذ لو كانت فهو يُخْلِفُهُ، لكان معنى الآية: أن الله يكون خليفة، وليس الأمر كذلك، بل فهو يُخْلِفُهُ أي يعطيكم خلفاً عنه.

(٢٥٤) - أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- البخاري (برقم/ ٦٤٣٦) - باب ما يتقى

من فتنة المال، ومسلم (برقم/ ١٠٤٨) - باب لو أن لابن آدم واديان لا بتغى ثالثا

(٢٥٥) - انظر شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/١٦٠) - تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم - نشر: مكتبة الرشد

- السعودية، الرياض - الطبعة: الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣

ومنه الحديث: "اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها" (٢٥٦) ولا تقل وأخلف لي خيراً منها، بل وأخلف أي أرزقني خلفاً عنها خيراً منها. ولا تقل وأخلف لي خيراً منها، بل وأخلف أي أرزقني خلفاً عنها خيراً منها.

فالله عز وجل وعد في كتابه أن ما أنفقه الإنسان فإن الله يخلفه عليه، يعطيه خلفاً عنه، وهذا يفسره قول الرسول عليه الصلاة والسلام في الأحاديث التي ساقها المؤلف مثل قوله صلى الله عليه وسلم: "ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: الله أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: الله أعط ممسكاً تلفاً" (٢٥٧) يعني أتلف ماله.

والمراد بذلك من يمسك عما أوجب الله عليه من بذل المال فيه، وليس كل ممسك يُدعى عليه، بل الذي يمسك ماله عن إنفاقه فيما أوجب الله، فهو الذي تدعو عليه الملائكة بأن الله يتلفه ويتلف ماله. والتلف نوعان: تلف حسي، وتلف معنوي:

- ١- التلف الحسي: أن يتلف المال نفسه، بأن يأتيه آفة تحرقه أو يُسرق أو ما أشبه ذلك.
 - ٢- والتلف المعنوي: أن تنزع بركته، بحيث لا يستفيد الإنسان منه في حسناته، ومنه ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال لأصحابه: "أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟" قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا وماله أحب إليه".
- فمالك أحب إليك من مال زيد وعمرو وخالد، ولو كان من ورثتك، قال: " فإن ماله ما قدّم وماله وارثه ما أخر".

وهذه حكمة عظيمة ممن أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم، فمالك الذي تقدمه الله عز وجل تجده أمامك يوم القيامة، ومال الوارث ما يبقى بعدك من الذي ينتفع به ويأكله هو الوارث، فهو مال وارثك

(٢٥٦) - جزء من حديث أخرجه مسلم عن أم سلمة - أم المؤمنين - رضي الله عنها (برقم / ٤) - باب ما يقال عند المصيبة - وتام منه "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول: " ما من عبد تصيبه مصيبة، فيقول: {إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: ١٥٦]، اللهم أجرني في مصيبي، وأخلف لي خيراً منها، إلا أجره الله في مصيبيته، وأخلف له خيراً منها"، قالت: فلما توفي أبو سلمة، قلت: كما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخلف الله لي خيراً منه، رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢٥٧) - أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - (برقم / ١٤٤٢) - باب قول الله تعالى: {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل:

على الحقيقة. فأنفق مالك فيما يرضي الله، وإذا أنفقت؛ فإن الله يخلفه وينفق عليك، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "قال الله تعالى: يا ابن آدم أنفق ينفق عليك" (٢٥٨). اهـ (٢٥٩) - وهناك فائدة جلييلة ذكرها ابن باز - رحمه الله - في رده علي سؤال في الفتاوي وهو عن الحكمة من ذكر المال مقدما على الأولاد في القرآن الكريم، رغم أن الأولاد أغلى لدى الأب من ماله. فأجاب - رحمه الله - قائلا: إن المال يعين على تحصيل الشهوات المحرمة بخلاف الأولاد فإن الإنسان قد يفتن بهم ويعصي الله من أجلهم. وبين سماحته أن الفتنة بالمال أكثر وأشد، ولهذا بدأ سبحانه بالأموال قبل الأولاد، كما في قوله تعالى: {وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُفَرِّتُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى} وقوله سبحانه: {إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ} وقوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}. اهـ (٢٦٠)

-
- (٢٥٨) - أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- بلفظ يختلف عما ذكره المصنف (برقم/ ٥٣٥٢) - باب فضل النفقة على الأهل و صحة لفظه " قال الله: أنفق يا ابن آدم أنفق عليك "
- (٢٥٩) - انظر شرح رياض الصالحين لمحمد بن العثيمين- (٤٠٢/٣) - الناشر: دار الوطن للنشر، الرياض- الطبعة: ١٤٢٦ هـ
- (٢٦٠) - انظر مجموع فتاوى العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله(٣٧٨/٩)- أشرف على جمعه وطبعه: محمد بن سعد الشويخ

تفسير سورة التوبة

سورة التوبة مدنية وعدد آياتها (١٢٩) آية وهي السورة التاسعة في ترتيب المصحف الشريف. وسميت بالتوبة لأن فيها التوبة، تاب الله على النبي والمهاجرين وتاب فيها على الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك، كما سميت البقرة سورة البقرة، لأن فيها ذكر البقرة، وهي السورة الوحيدة في القرآن التي لم تبدأ بالبسملة، وتسمى سورة التوبة بأسماء عديدة واشهر الأسماء "سورة براءة" و"سورة الفاضحة" ونبين أدلة ذلك في فضائل السورة.

فضائل السورة:

من فضائل سورة التوبة التي وردت في الأدلة الصحيحة ما يلي:

- ١- أنها أواخر ما نزل من القرآن على الرسول - صلى الله عليه وسلم- وقد نزلت في أواخر السنة التاسعة للهجرة، وليس المقصود بأنها آخر ما نزل كآية من القرآن بل كسورة مجمله هي آخر ما نزل ودليل ذلك حديث البخاري عن البراء بن عازب قال: "أن آخر سورة نزلت سورة براءة" (٢٦١) ونزلت بعد غزوة تبوك
- ٢- أنها كشفت أسرار المنافقين مع النبي صلى الله عليه وسلم وفضحتهم حتى سميت "بالفاضحة" ودليل ذلك حديث سعيد بن جبير، قال: قُلْتُ لِإِبْنِ عَبَّاسٍ: سُورَةُ التَّوْبَةِ، قَالَ: «التَّوْبَةُ هِيَ الْفَاضِحَةُ، مَا زَالَتْ تَنْزِلُ، وَمِنْهُمْ وَمِنْهُمْ، حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهَا لَنْ تُبْقِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ إِلَّا ذُكِرَ فِيهَا»، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْأَنْفَالِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَدْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: سُورَةُ الْحَشْرِ، قَالَ: «نَزَلَتْ فِي بَنِي النَّضِيرِ» (٢٦٢)
- ٣- أنها السورة الوحيدة التي لم تبدأ بالبسملة {بسم الله الرحمن الرحيم} وقد اختلف العلماء لماذا لم تصدر سورة براءة ب البسملة علي قولين وهناك أقوال أخرى ولكن هذين أشهرهما:
الأول: أن سورة التوبة مكملة لسورة الأنفال فلذلك لم تأت في بدايتها "بسم الله الرحمن الرحيم"، لأنها مكملة لسورة الأنفال.
والقول الثاني: أن سورة التوبة لم تأت قبلها بالبسملة لأنها سورة ذكر فيها الجهاد وقاتل الكفار وذكر فيها وعيد المنافقين وبيان فضائحهم ومخازيهم، و"بسم الله الرحمن الرحيم" يؤتى بها للرحمة وهذا الموطن فيه ذكر الجهاد وذكر صفات المنافقين، وهذا ليس من مواطن الرحمة بل هو من مواطن الوعيد والتخويف.
فلذلك لم تذكر "بسم الله الرحمن الرحيم" في بدايتها

(٢٦١) - أخرجه البخاري (برقم/ ٤٦٥٤) - باب قوله: {براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين} [التوبة:

[١

(٢٦٢) - أخرجه البخاري (برقم/ ٤٨٨٢) - باب الإخراج من أرض إلى أرض

قلت: و العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- لا يري هذا الراي فقال- رحمه الله- في لقاء الباب المفتوح قال ما نصه: سورة التوبة كما هو معلوم للجميع ليس بينها وبين الأنفال بسملة، فقال بعض العلماء: إنها نزلت بالقتال والبسملة بركة وطمأنة فلا يناسب أن تبدأ السورة التي في القتال وفي الحديث عن المنافقين بالبسملة، ولكن هذا ليس بصحيح، فالبسملة جيء بها قبل سورة المسد، وقبل سورة الهمزة مع أن كلها وعيد، والصحيح أنه لم يكن بينها وبين الأنفال بسملة؛ لأن البسملة آية من كتاب الله عز وجل، فإذا لم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: ضعوا البسملة بين السورتين لم يضعوها بينهما، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو الذي يعين ويقول: ضعوا البسملة، ولم يعين لهم بسملة بين سورة الأنفال وسورة براءة فلم يكتبوها، ولكن بقي أن يقال: إذا كان لم يعين فلماذا يفصل بينها وبين سورة الأنفال؟ لماذا لم يجعلوها سورة واحدة؟ نقول: نعم. لم يجعلوها سورة واحدة؛ لأنهم شكوا هل هي سورة واحدة مع الأنفال أو سورتين متباينتين؟ فقالوا: نجعل فاصلة بين السورتين، ولا نجعل بسملة، وهذا هو الصحيح في عدم ذكر البسملة بينها وبين سورة الأنفال. اهـ (٢٦٣)

قلت: وفي ذلك القول الذي ذهب إليه - رحمه الله - أثر عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- أخرجه الترمذي وغيره وشكك في إسناده ومنتنه بعض أهل العلم الثقات كما سوف نبين في تنبيهات السورة في السطور التالية، ولكن هذه المسألة من المسائل المشهورة وتحتاج لبيان شافي والتي سوف نستفيض في بيانها في أحكام السورة وفوائدها منعاً للإطالة هنا والله المستعان.

تنبيهات هامة:

هناك أحاديث ضعيفة عن فضل سورة التوبة وما يخصها وأشهرها:

١- حديث مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ الْعَمَّارِ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: " كَانَ فِي مَجْلِسِ الْحُجَّاجِ بْنِ يُوسُفَ وَهُوَ يَعْزُضُ خَيْلًا وَعِنْدَهُ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَبَا حَمْرَةَ أَيْنَ هَذِهِ مِنَ الْخَيْلِ الَّتِي كَانَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ، قَالَ: تِلْكَ وَاللَّهِ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ { وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ } وَهَذِهِ هِيَئَتْ بِالرِّبَاةِ وَالسُّمْعَةِ، فَعَضِبَ الْحُجَّاجُ وَقَالَ: لَوْلَا كِتَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَيَّ لَفَعَلْتُ وَلَفَعَلْتُ، فَقَالَ لَهُ أَنْسُ: إِنَّكَ لَنْ تُطِيقَ ذَلِكَ لَقَدْ عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَحْتَرَزُ بِهِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ وَمِنْ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، فَجَنَّا الْحُجَّاجُ عَلَيَّ رُكْبَتَيْهِ وَقَالَ: عَلَّمْنِيهِنَّ يَا عَمُّ، فَقَالَ: لَسْتُ لَهَا بِأَهْلٍ قَالَ: فَدَسَّ إِلَى عِيَالِهِ وَوَلَدِهِ فَأَبَوْا عَلَيْهِ، قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَهْلٍ: قَالَ أَبِي: حَدَّثَنِي بَعْضُ بَنِيهِ أَنَّهُ قَالَ: " سَمِ اللَّهُ عَلَى نَفْسِي وَدِينِي، بِسْمِ اللَّهِ عَلَى مَا أَعْطَانِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، بِسْمِ اللَّهِ عَلَى أَهْلِي وَمَالِي، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ رَبِّي، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ رَبِّي لَا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، أَجْرَنِي مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ، وَمِنْ كُلِّ

جَبَّارٍ عَنِيدٍ، إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ" (٢٦٤)

قلت: وأخرج ابن السني نحوه في عمل اليوم والليلة (ج ١- برقم ٣٤٦) وغيره من طريق أبان بن أبي عياش. وأبان هذا متروك الحديث كما قال الحافظ -رحمه الله- في التقريب، وعلى هذا فلا يصح هذا الحديث، والله أعلم. والحديث المذكور هنا أخرجه الطبراني في الدعاء وقال الحافظ العراقي رحمه الله - في تخريج أحاديث الأحياء: حديث "فضل: لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها « أخرجه الطبراني في الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف» علمني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد «فذكر حديثا وفي آخره» فقل حسبي الله إلى آخر السورة «وذكر أبو قاسم الغافقي في فضائل القرآن في رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار» أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم... إلى آخر السورة لم يمت هدا ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بجديدة" وهو ضعيف. (٢٦٥)

٢- حديث يزيد الفارسي، عن ابن عباس قال: " قلت لعثمان بن عفان: ما حملكم أن عمدتم إلى الانفال، وهي من المثاني، وإلى براءة وهي من المثين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطول، ما حملكم على ذلك؟ فقال عثمان: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما يأتي عليه الزمان وهو ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب، فيقول: " ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا " فإذا نزلت عليه الآية فيقول: " ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ".

وكانت الانفال من أوائل ما نزلت بالمدينة، وكانت براءة من آخر القرآن، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يبين لنا أنها منها، فمن أجل ذلك قرنت بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، فوضعتهما في السبع الطول. (٢٦٦)

(٢٦٤) - أخرجه الطبراني في "الدعاء" (رقم/٩٧٩) - باب: الْقَوْلُ عِنْدَ الدُّخُولِ عَلَى السُّلْطَانِ .

(٢٦٥) - انظر كتاب "المغني عن حمل الأسفار في الأسفار، في تخريج ما في الإحياء من الأخبار -"للحافظ العراقي(١/ص ٣٩٩)-نشر دار ابن حزم، بيروت - لبنان- الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م (٢٦٦) -أخرجه أبو داود في الصلاة، باب من جهر بما (بسم الله الرحمن الرحيم): (١ / ٣٨٠)، والترمذي في التفسير:(٨ / ٤٧٧-٤٨٠)، وقال: هذا حديث حسن وأخرجه الحاكم:(٢ / ٢٢١، ٣٣٠)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي .

قلت: وكما ذكرنا أنفاً ضعف بعض أهل الحديث هذا الأثر بشدة لغرابة المتن فضلاً عن الإسناد لاختلافهم في يزيد الفارسي، هل هو ابن هرمز، أو غيره فقال العلامة أحمد شاكر (٢٦٧) - رحمه الله - في تعليقه علي مسند الإمام احمد ما مختصره وبتصرف: إسناده صحيح، في إسناده نظر كثير، بل هو عندي ضعيف جداً، بل هو حديث لا أصل له، يدور إسناده في كل رواياته على "يزيد الفارسي" ثم قال: ويزيد الفارسي هذا اختلفت فيه: أهو يزيد بن هرمز أم غيره؟
وأضاف بعد كلام: وفيه تشكيك في معرفة سور القرآن، الثابتة بالتواتر القطعي، قراءة وسماعاً وكتابة في المصاحف، وفيه تشكيك في إثبات البسملة في أوائل السور، كأن عثمان كان يثبتها برأيه وينفيها برأيه، وحاشاه من ذلك، فلا علينا إذا قلنا إنه "حديث لا أصل له" تطبيقاً للقواعد الصحيحة التي لا خلاف فيها بين أئمة الحديث، (٢٦٨)

(٢٦٧) - الشيخ المحدث أحمد بن محمد شاكر بن أحمد بن عبد القادر، من آل أبي علياء، أبو الأشبال المصري. ولد بالقاهرة سنة تسع وثلاثمائة وألف. نشأ في طلب العلم على يد والده الشيخ الإمام محمد شاكر، وتحت توجيهه، فأخذ عن الشيخ عبد الله بن إدريس السنوسي المغربي والشيخ محمد بن الأمين الشنقيطي والشيخ أحمد بن الشمس الشنقيطي. وتفقه على مذهب أبي حنيفة، ونال شهادة العالمية من الأزهر سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وألف من الهجرة، ثم ولي القضاء إلى سنة سبعين وثلاثمائة وألف للهجرة. -نقلاً عن موسوعة مواقف السلف لأبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي(٣٥٦/٩)

(٢٦٨) - انظر مسند الإمام أحمد بن حنبل(٣٣٢/١)-تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: دار الحديث - القاهرة
الطبعة: الأولى، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م

أسباب النزول:

وسنذكرها حسب موقعها في الآيات والله المستعان

{ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١) }

إعراب مفردات الآية (٢٦٩)

(براءة) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذه «(٢٧٠)»، (من الله) جارّ ومجرور نعت لبراءة (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة مجرور (إلى) حرف جرّ (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (براءة)، (عاهدتم) فعل ماض مبنيّ على السكون... و(تم) ضمير فاعل (من المشركين) جارّ ومجرور متعلّق بحال من العائد المحذوف أي عاهدتموهم.

روائع البيان والتفسير

{ بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ }

-قال البغوي -رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: قوله تعالى: { براءة من الله ورسوله } أي هذه براءة من الله. وهي مصدر كالنشأة والدناءة.

قال المفسرون: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك، كان المنافقون يرجفون الأراجيف وجعل المشركون ينقضون عهودا كانت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر الله عز وجل بنقض عهودهم، وذلك قوله عز وجل: { وإما تخافن من قوم خيانة } الآية (الأنفال - ٥٨).

قال الزجاج: براءة أي: قد برئ الله تعالى ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء لهم بها إذا نكثوا. { إلى الذين عاهدتم من المشركين } الخطاب مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي عاهدهم وعاقدهم، لأنه عاهدهم وأصحابه راضون بذلك، فكأنهم عاقدوا وعاهدوا. اهـ (٢٧١)

-وزاد ابن كثير - رحمه الله- في بيانها فقال ما مختصره وبتصرف: هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال البخاري.

(٢٦٩)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) ٢٧٧/١٠

(٢٧٠) - أو مبتدأ خبره (إلى الذين عاهدتم) أي براءة .. واصله إلى الذين، وهو اختيار أبي حيان في البحر المحيط. والأظهر أنّها على حذف مضاف أي ذات براءة.

(٢٧١)-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٨/٤)

عن أبي إسحاق قال: "سمعت البراء يقول: آخر آية نزلت: { يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ } [النساء: ١٧٦] وآخر سورة نزلت براءة" (٢٧٢).

ثم أضاف - رحمه الله -:

وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج، ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عادتهم في ذلك، وأنهم يطوفون بالبيت عراة فكره مخالطتهم، فبعث أبا بكر الصديق، رضي الله عنه، أميراً على الحج هذه السنة، ليقيم للناس مناسكهم، ويعلم المشركين ألا يحجوا بعد عامهم هذا، وأن ينادي في الناس ببراءة، فلما قفل أتبعه بعلي بن أبي طالب ليكون مبلغاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لكونه عصبة له، كما سيأتي بيانه.

فقله: { بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ } أي: هذه براءة، أي: تبرؤ من الله ورسوله { إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ } اهـ (٢٧٣)

{ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ (٢) }

إعراب مفردات الآية (٢٧٤)

(الفاء) عاطفة لربط السبب بالمسبب (سيحوا) فعل أمر مبني على حذف النون... والواو فاعل (في الأرض) جارّ ومجرور متعلق ب (سيحوا)، (أربعة) ظرف زمان منصوب متعلق ب (سيحوا)، (أشهر) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (اعلموا) مثل سيحوا (أنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - و(كم) ضمير في محلّ نصب اسم أنّ (غير) خبر أنّ مرفوع (معجزى) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء، وحذفت النون للإضافة (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور.

والمصدر المؤوّل (أنّكم غير...) في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي اعلموا.

(الواو) عاطفة (أنّ الله محزى الكافرين) مثل أنّكم غير... وعلامة الجرّ في (الكافرين) الياء.

والمصدر المؤوّل (أنّ الله محزى) في محلّ نصب معطوف على المصدر المؤوّل الأول.

روائع البيان والتفسير

{ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكَافِرِينَ }

(٢٧٢) - أخرجه البخاري (برقم/ ٤٦٥٤) - باب قوله: { بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [التوبة: ١]

(٢٧٣) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ١٠١)

(٢٧٤) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق

(٢٧٨/١٠)

-قال البغوي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما مختصره: {فسيحوا في الأرض} رجوع من الخبر إلى الخطاب، أي: قل لهم: سيحوا، أي: سيروا في الأرض، مقبلين ومدبرين، آمنين غير خائفين أحداً من المسلمين. {أربعة أشهر واعلموا أنكم غير معجزى الله} أي: غير فائتين ولا سابقين، {وأن الله مخزي الكافرين} أي: مذلمهم بالقتل في الدنيا والعذاب في الآخرة. اهـ (٢٧٥)

-وأضاف الشنقيطي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: قال بعض العلماء: كان ابتداء التأجيل بالأشهر الأربعة المذكورة من شوال، وآخره سلخ الحرم، وبه قال الزهري رحمه الله تعالى ولكن القرآن يدل على أن ابتداءها من يوم النحر على الأصح من أنه يوم الحج الأكبر، أو يوم عرفة على القول بأنه هو يوم الحج الأكبر، وذلك في قوله تعالى: {وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر}. وهو صريح في أن ابتداء الإعلام المذكور من يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، ولا يخفى انتهاءها في العشر من ربيع الثاني. اهـ (٢٧٦)

-وقال ابن كثير- رحمه الله-: في تفسير هذه الآية: وقال الزهري: كان ابتداء التأجيل من شوال، وآخره سلخ الحرم، وهذا القول غريب، وكيف يحاسبون بمدة لم يبلغهم حكمها، وإنما ظهر لهم أمرها يوم النحر، حين نادى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، ولهذا قال تعالى: {وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر}. اهـ (٢٧٧)

-وقال السعدي- رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنكُمُ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ} ما نصه:

ثم أنذر المعاهدين في مدة عهدهم، أنهم وإن كانوا آمنين، فإنهم لن يعجزوا الله ولن يفوتوه، وأنه من استمر منهم على شركه فإنه لا بد أن يخزيه، فكان هذا مما يجلبهم إلى الدخول في الإسلام، إلا من عاند وأصر ولم يبال بوعيد الله له. اهـ (٢٧٨)

(٢٧٥)-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٨/٤)

(٢٧٦) - أعضاء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت- لبنان(١١٤/٢)

(٢٧٧) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٠٣/٤)

(٢٧٨) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة(٣٢٨/١)

{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ فَإِنْ تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣)}
إعراب مفردات الآية (٢٧٩)

(الواو) عاطفة (أذان) مبتدأ مرفوع «(٢٨٠)» (من الله) جازّ ومجرور متعلّق بنعت ل (أذان) (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة مجرور و(الهاء) ضمير مضاف إليه (إلى الناس) جازّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ (يوم) ظرف زمان منصوب متعلّق بالخبر المحذوف (الحجّ) مضاف إليه (الأكبر) نعت للحجّ مجرور (أنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (الله) لفظ الجلالة اسم أنّ منصوب (بريء) خبر مرفوع (من المشركين) جازّ ومجرور متعلّق ب (بريء) (الواو) عاطفة (رسول) مبتدأ مرفوع و(الهاء) ضمير مضاف إليه.. والخبر محذوف تقديره بريء «(٢٨١)» والمصدر المؤوّل (أنّ الله بريء) في محلّ جرّ مجرّف جرّ محذوف هو الباء متعلّق بنعت ل (أذان) «(٢٨٢)» (الفاء) استثنائية (إن) حرف شرط جازم (تبتّم) فعل ماض مبنيّ على السكون في محلّ جزم فعل الشرط... و(تم) ضمير فاعل (الفاء) رابطة لجواب الشرط (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ أي المتاب (خير) خبر مرفوع (اللام) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (خير) (الواو) عاطفة (إن تولىتم) مثل إن تبتّم (الفاء) رابطة لجواب الشرط (اعلموا أنّكم غير معجزى الله) مرّ اعرابها «(٢٨٣)»، (الواو) استثنائية (بشّر) فعل أمر، والفاعل أنت (الذين) اسم الذين آمنوا و(نصروا) معطوف على (آووا) ويعربان مثل كفروا (أولئك) موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (كفروا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ.. والواو فاعل (بعذاب) جازّ ومجرور متعلّق ب (بشّر) «(٢٨٤)»، (أليم) نعت لعذاب مجرور مثله.

روائع البيان والتفسير

{وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ}

(٢٧٩)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٢٧٩/١٠)

- (٢٨٠) - أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا أذان ... أو هذه الآيات أذان و(من الله، إن الناس) متعلقان بأذان.
(٢٨١) - يجوز أن يكون (رسول) معطوف على الضمير المستكّن في (بريء) وهو في محلّ رفع لأنه فاعل الصفة بريء، والمسوّغ لهذا العطف كونه فصل بقوله من المشركين
(٢٨٢) - يجوز أن يكون المصدر المؤوّل خيرا لأذان، و(إلى الناس) متعلّق بأذان.
(٢٨٣) - في الآية السابقة.
(٢٨٤) - وقد جاء بالفعل على سبيل التهكم منهم.

-قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره للآية ما نصه: هذا ما وعد الله به المؤمنين، من نصر دينه وإعلاء كلمته، وخذلان أعدائهم من المشركين الذين أخرجوا الرسول ومن معه من مكة، من بيت الله الحرام، وأجلوهم، مما لهم التسلط عليه من أرض الحجاز.

نصر الله رسوله والمؤمنين حتى افتتح مكة، وأذل المشركين، وصار للمؤمنين الحكم والغلبة على تلك الديار. فأمر النبي مؤذنه أن يؤذن يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وقت اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، من جميع جزيرة العرب، أن يؤذن بأن الله بريء ورسوله من المشركين، فليس لهم عنده عهد وميثاق، فأينما وجدوا قتلوا، وقيل لهم: لا تقربوا المسجد الحرام بعد عامكم هذا، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة.

وحج بالناس أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وأذن ببراءة -يوم النحر- ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه. اهـ (٢٨٥)

{ فَإِنْ تَبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ }

-فسرها أبو جعفر الطبري- رحمه الله- فقال ما نصه: يقول تعالى ذكره: {فإن تبتم}، من كفركم، أيها المشركون، ورجعتم إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأنداد فالرجوع إلى ذلك {خير لكم}، من الإقامة على الشرك في الدنيا والآخرة {وإن توليتم}، يقول: وإن أدبرتم عن الإيمان بالله وأبيتم إلا الإقامة على شرككم {فاعلموا أنكم غير معجزى الله}، يقول: فأيقنوا أنكم لا تُفيتون الله بأنفسكم من أن يحلّ بكم عذابه الأليم وعقابه الشديد، على إقامتكم على الكفر، كما فعل بمن قبلكم من أهل الشرك من إنزال نقمه به، وإحلاله العذاب عاجلا بساحته {وبشر الذين كفروا}، يقول: واعلم، يا محمد، الذين جحدوا نبوتك وخالفوا أمر ربهم {بعذاب}، موجه يحلّ بهم. اهـ (٢٨٦)

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٤)}

إعراب مفردات الآية (٢٨٧)

(٢٨٥)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٨/١)
(٢٨٦)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٤٦٩/ ١٤١/١٣١)
(٢٨٧)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٢٨٢/١٠)

{إلا} أداة استثناء (الذين) موصول في محلّ نصب على الاستثناء المتّصل «(٢٨٨)»، (عاهدتم من المشركين) مرّ إعرابها «(٢٨٩)»، (ثمّ) حرف عطف (لم) حرف نفي وجزم وقلب (ينقصوا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون... الواو فاعل و(كم) ضمير مفعول به (شيئاً) مفعول به ثان منصوب «(٢٩٠)»، (الواو) عاطفة (لم يظاهروا) مثل لم ينقصوا (على) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يظاهروا)، (أحدا) مفعول به منصوب (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (أتّموا) فعل أمر مبنيّ على حذف النون... والواو فاعل (إلى) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بفعل (أتّموا) (عهد) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (إلى مدّة) جارّ ومجرور متعلّق بحال من عهدهم «(٢٩١)»، و(هم) مثل السابق (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (يجب) مضارع مرفوع، والفاعل هو (المتقين) مفعول به منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتَمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ }

-قال البغوي- رحمه الله في بيانها إجمالاً ما نصه: {إلا الذين عاهدتم من المشركين} هذا استثناء من قوله: "براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين" إلا من عهد الذين عاهدتم من المشركين، وهم بنو ضمرة، حي من كنانة، أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بإتمام عهدهم إلى مدّتهم، وكان قد بقي من مدّتهم تسعة أشهر، وكان السبب فيه: أنهم لم ينقصوا العهد، وهذا معنى قوله تعالى: {ثم لم ينقصوكم شيئاً} من عهدهم الذي عاهدتموهم عليه، {ولم يظاهروا} لم يعاونوا، {عليكم أحدا} من عدوكم. وقرأ عطاء بن يسار: "لم ينقصوكم" بالضاد المعجمة من نقض العهد، {فأتّموا إليهم عهدهم} فأوفوا لهم بعهدهم، {إلى مدّتهم} إلى أجلهم الذي عاهدتموهم عليه، {إن الله يحب المتقين}. اهـ (٢٩٢)

(٢٨٨) - والمستثنى منه قوله (الذين عاهدتم من المشركين) في الآية الأولى - على رأي الزجاج-، وبعضهم يجعل المستثنى منه محذوفاً والتقدير: اقتلوا المشركين المعاهدين إلا الذين عاهدتم... وعند أبي حيان هو استثناء منقطع لبعده المستثنى منه و{إلا} بمعنى لكن، والموصول في محلّ رفع مبتدأ خبره جملة أتّموا.

(٢٨٩) - في الآية (١).

(٢٩٠) - أو هو مفعول مطلق نائب عن المصدر.

(٢٩١) - أو متعلّق ب (أتّموا) ومعنى الجارّ إلى انتهاء الغاية.

(٢٩٢) -انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (١٢/٤)

- وزاد السعدي-رحمه الله- في بيان {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ} فقال: الذين أدوا ما أمروا به، واتقوا الشرك والخيانة، وغير ذلك من المعاصي. اهـ (٢٩٣)

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)}

إعراب مفردات الآية (٢٩٤)

(الفاء) استثنائية (إذا) ظرف للزمن المستقبل متضمن معنى الشرط مبني في محل نصب متعلق بمضمون الجواب (انسلخ) فعل ماض (الأشهر) فاعل مرفوع (الحرم) نعت للأشهر مرفوع (الفاء) رابطة لجواب الشرط (اقتلوا) فعل أمر مبني على حذف النون... والواو فاعل (المشركين) مفعول به منصوب وعلامة النصب الياء (حيث) ظرف مكان مبني على الضم في محل نصب متعلق ب (اقتلوا)، (وجدتم) مثل عاهدتم «(٢٩٥)»، و(الواو) حركة إشباع الميم و(هم) ضمير مفعول به (الواو) عاطفة في المواضع الثلاثة (خذوهم، اخصروهم، اعدوا) مثل اقتلوا (اللام) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلق ب (اقتلوا)، (كلّ) ظرف مكان نائب عن المفعول فيه منصوب متعلق ب (اقتلوا) «(٢٩٦)» (مرصد) مضاف إليه مجرور. (الفاء) عاطفة (إن) حرف شرط جازم (تابوا) فعل ماض مبني على الضم في محلّ جزم فعل الشرط... والواو فاعل (الواو) عاطفة في الموضعين (أقاموا، آتوا) مثل تابوا ومعطوف عليه (الصلاة، الزكاة) كلّ منهما مفعول به منصوب (الفاء) رابطة لجواب الشرط (خلّوا) مثل اقتلوا (سبيل) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (إنّ الله) مرّ إعرابها «(٢٩٧)» (غفور) خبر إنّ مرفوع (رحيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ}

(٢٩٣)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٨/١)

(٢٩٤)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٢٨٣/١٠)

(٢٩٥) - في الآية السابقة (٤).

(٢٩٦) - أو هو منصوب على نزع الخافض أي في كلّ مرصد أو على كلّ مرصد.

(٢٩٧) - في الآية السابقة (٤).

- قال الشنقيطي - رحمه الله - في بيانها ما مختصره وبتصرف يسير: اختلف العلماء في المراد بالأشهر الحرم في هذه الآية فقال ابن جرير: إنها المذكورة في قوله تعالى. {منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم} [٩ \ ٣٦]، قال أبو جعفر الباقر (٢٩٨).

ولكن قال ابن جرير: آخر الأشهر الحرم في حقهم المحرم، وحكى نحو قوله هذا علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس، وإليه ذهب الضحاك.
ثم قال - رحمه الله -:

ولكن السياق يدل على أن المراد بها أشهر الإمهال المذكورة في قوله: فسيحوا في الأرض أربعة أشهر. ثم قال: قال ابن كثير: والذي يظهر من حيث السياق، ما ذهب إليه ابن عباس، في رواية العوفي عنه، وبه قال مجاهد، وعمرو بن شعيب، ومحمد بن إسحاق، وقتادة، والسدي، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم: أن المراد بها الأشهر الأربعة المنصوص عليها بقوله: {فسيحوا في الأرض أربعة أشهر}، ثم قال: {فإذا انسلخ الأشهر الحرم} [٩ \ ٥]، أي: إذا انقضت الأشهر الأربعة التي حرمت عليكم قتالهم فيها، وأجلناهم فيها، فحيثما وجدتموهم فاقتلوهم؛ لأن عود العهد على مذکور أولى من مقدر، مع أن الأشهر الأربعة المحرمة سياقي بيان حكمها في آية أخرى اهـ (٢٩٩)

-قلت: وذهب إلي هذا السعدي - رحمه الله - في تفسيره فقال ما نصه: قول تعالى {فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ} أي: التي حرم فيها قتال المشركين المعاهدين، وهي أشهر التسيير الأربعة، وتام المدة لمن له مدة أكثر منها، فقد برئت منهم الذمة. اهـ (٣٠٠)

-وأضاف أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في بيان قوله تعالى: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ} فقال:

{فاقتلوا المشركين}، يقول: فاقتلوهم {حيث وجدتموهم}، يقول: حيث لقيتموهم من الأرض، في الحرم، وغير الحرم في الأشهر الحرم وغير الأشهر الحرم {وخذوهم} يقول: وأسروهم {واحصروهم}، يقول:

(٢٩٨) - محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالب الهاشمي القرشي، أبو جعفر الباقر: خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان ناسكا عابداً، له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة، وتوفي بالحميمة ودفن بالمدينة. - الأعلام للزركلي (٦/٢٧٠)

(٢٩٩) - أعضاء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان (٢/١١٤)

(٣٠٠) - تيسير الكرمي الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١/٣٢٩)

وامنعوهم من التصرف في بلاد الإسلام ودخول مكة {واقعدوا لهم كل مرصد}، يقول: واقعدوا لهم بالطلب لقتلهم أو أسرهم "كل مرصد"، يعني: كل طريق ومرقب. اهـ (٣٠١)

{فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ }

-قال البغوي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: {فإن تابوا} من الشرك، {وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم} يقول: دعوهم فليتصرفوا في أمصارهم ويدخلوا مكة، {إن الله غفور} لمن تاب، {رحيم} به. وقال الحسين بن الفضل (٣٠٢): هذه الآية نسخت كل آية (٣٠٣) في القرآن فيها ذكر الإعراض والصبر على أذى الأعداء. اهـ (٣٠٤)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره فقال ما مختصره: ولهذا اعتمد الصديق، رضي الله عنه، في قتال مانعي الزكاة على هذه الآية الكريمة وأمثالها، حيث حرمت قتالهم بشرط هذه الأفعال، وهي الدخول في الإسلام، والقيام بأداء واجباته. ونبه بأعلاها على أذناها، فإن أشرف الأركان بعد الشهادة الصلاة، التي هي حق الله، عز وجل، وبعدها أداء الزكاة التي هي نفع متعد إلى الفقراء والمحاويج، وهي أشرف الأفعال المتعلقة بالمخلوقين؛ ولهذا كثيرا ما يقرب الله بين الصلاة والزكاة، وقد جاء في الصحيحين عن ابن عمر،

(٣٠١)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر-الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٤٧٤ / ١٤ / ١٣٤)

(٣٠٢) -الحسين بن الفضل بن عمير أبو علي البجلي العلامة، المفسر، الإمام، اللغوي، المحدث، أبو علي البجلي الكوفي، ثم النيسابوري، عالم عصره ولد قبل الثمانين ومئة.

قال الحاكم: الحسين بن الفضل بن عمير بن قاسم بن كيسان البجلي، المفسر، إمام عصره في معاني القرآن، أقدمه ابن طاهر معه نيسابور، وابتاع له دار عزرة، فسكنها، وهذا في سنة سبع عشرة ومائتين، فبقي يعلم الناس، ويفتي في تلك الدار إلى أن توفي، ودفن في مقبرة الحسين بن معاذ، في سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وهو ابن مئة وأربع سنين، وقبره مشهور بيزار، وشيعه خلق عظيم. -انظر سير أعلام النبلاء مختصرا وبتصرف (٢٠٢)

(٣٠٣) - قلت: وهذه الآية اشتهرت عند العلماء من المفسرين والفقهاء بأية السيف والأقوال المختلفة فيها بين النسخ وعدم النسخ والأحكام المتعلقة بها كثيره جداً ولذلك نضرب صفحاً في بيانها هنا لعدم تشبيت القارئ عن التفسير وهو المراد من طرحنا هذا ونزيدها توضيحاً وبياناً في أحكام سورة التوبة أن شاء الله تعالى.

(٣٠٤)-انظر معالم التنزيل للبغوي -الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٤/٤)

رضي الله عنهما، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة" (٣٠٥) الحديث. اهـ (٣٠٦)

{ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ } (٦)

إعراب مفردات الآية (٣٠٧)

(الواو) عاطفة (إن) مثل السابق (أحد) فاعل لفعل محذوف يفسره فعل استجارك (من المشركين) جازّ ومجرور نعت لأحد، وعلامة الجرّ الياء (استجار) فعل ماض، و(الكاف) مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (الفاء) رابطة لجواب الشرط (أجره) فعل أمر ومفعوله، والفاعل أنت (حتى) حرف غاية وجرّ (يسمع) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى، والفاعل هو (كلام) مفعول به منصوب (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور.

والمصدر المؤول (أن يسمع) في محلّ جرّ ب (حتى) متعلّق ب (أجره).

(ثمّ) حرف عطف (أبلغه) مثل أجره (مأمنه) منصوب على نزع الخافض أي:

إلى مأمنه. و(هاء) ضمير مضاف إليه. (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، والإشارة إلى الأمرين المذكورين.. و(اللام) للبعد و(الكاف) للخطاب (الباء) حرف جرّ للسببية (أنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم أنّ (قوم) خبر مرفوع (لا) نافية (يعلمون) مضارع مرفوع... والواو فاعل.

والمصدر المؤول (أنهم قوم...) في محلّ جرّ بالباء متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ ذلك.

روائع البيان والتفسير

(٣٠٥) - أخرجه في الصحيحين البخاري (برقم/٢٥) - باب: { فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ } [التوبة: ٥]، ومسلم (برقم/٣٦) - بابُ الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَتُوبُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

(٣٠٦) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١١١/٤)

(٣٠٧) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٠)

(٢٨٥/

{ وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: لما كان ما تقدم من قوله { فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ } أمرا عاما في جميع الأحوال، وفي كل الأشخاص منهم، ذكر تعالى، أن المصلحة إذا اقتضت تقرب بعضهم جاز، بل وجب ذلك فقال: { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ } أي: طلب منك أن تجيره، وتمنعه من الضرر، لأجل أن يسمع كلام الله، وينظر حالة الإسلام.

{ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ } ثم إن أسلم، فذاك، وإلا فأبلغه مأمنه، أي: المحل الذي يأمن فيه، والسبب في ذلك أن الكفار قوم لا يعلمون، فربما كان استمرارهم على كفرهم لجهل منهم، إذا زال اختاروا عليه الإسلام، فلذلك أمر الله رسوله، وأمه أسوته في الأحكام، أن يجيروا من طلب أن يسمع كلام الله. وفي هذا حجة صريحة لمذهب أهل السنة والجماعة، القائلين بأن القرآن كلام الله غير مخلوق، لأنه تعالى هو المتكلم به، وأضافه إلى نفسه إضافة الصفة إلى موصوفها، وبطلان مذهب المعتزلة ومن أخذ بقولهم: أن القرآن مخلوق. اهـ (٣٠٨)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في بيانها فقال ما مختصره وبتصرف: ومن هذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطي الأمان لمن جاءه، مسترشداً أو في رسالة، كما جاءه يوم الحديبية جماعة من الرسل من قريش، منهم: عروة بن مسعود (٣٠٩)، ومكرز بن حفص (٣١٠)،

(٣٠٨)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٩/١)

(٣٠٩) - عروة بن مسعود الثقفي عم المغيرة بن شعبة بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم داعياً إلى الطائف يدعوهم إلى الإسلام، فقتلوه بعد مقفله من حنين، وكان صاحب قريش يوم الحديبية، وحضر النبي صلى الله عليه وسلم، فلما رجع إلى قريش، قال: إن هذا الذي عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها- انظر معرفة الصحابة لأبو نعيم الاصفهاني (٤/٢١٨٨)

(٣١٠) - مكرز بن حفص بن الأخيف، من بني عامر بن لؤي، من قريش: شاعر جاهلي، من الثقات. أدرک الإسلام. وقدم المدينة لما أسر المسلمون (سهيل ابن عمرو) يوم بدر (سنة ٢ هـ فقال لهم: اجعلوا رجلي في القيد مكان رجليه حتى يبعث إليكم بالفداء، ففعلوا ذلك، وبعث سهيل بالفداء.

ومن أخباره أن عامر بن يزيد (من بني الملوّح) قتل أخا له، فقتله مكرز وقال في ذلك من أبيات: فأحتمته سيفي، وألقيت كلكلي على بطل شاكي السلاح مجرب)-الأعلام للزركلي بتصرف (٢٨٤/٧)

وسهيل بن عمرو^(٣١١)، وغيرهم واحدًا بعد واحد، يترددون في القضية بينه وبين المشركين، فرأوا من إعظام المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بهرهم وما لم يشاهدوه عند ملك ولا قيصر، فرجعوا إلى قومهم فأخبروهم بذلك، وكان ذلك وأمثاله من أكبر أسباب هداية أكثرهم. ثم قال -رحمه الله-:

والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة، أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية، أو نحو ذلك من الأسباب، فطلب من الإمام أو نائبه أمانًا، أعطي أمانًا ما دام مترددًا في دار الإسلام، وحتى يرجع إلى أمنه ووطنه. لكن قال العلماء: لا يجوز أن يمكن من الإقامة في دار الإسلام سنة، ويجوز أن يمكن من إقامة أربعة أشهر، وفيما بين ذلك فيما زاد على أربعة أشهر ونقص عن سنة قولان، عن الإمام الشافعي وغيره من العلماء، رحمهم الله. اهـ^(٣١٢)

{ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) }

إعراب مفردات الآية (٣١٣)

(كيف) اسم استفهام مبني في محل نصب خبر يكون وقدم للصدارة «(٣١٤)»، (يكون) مضارع ناقص مرفوع (للمشركين) جازر ومجرور متعلق بمحذوف حال من (عهد) نعت تقدم على المنعوت - (عهد) اسم يكون الناقص مرفوع «(٣١٥)»، (عند) ظرف منصوب

(٣١١) - سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي أبو يزيد والد أبي جندل بن سهيل من أهل مكة انتقل إلى المدينة وأمه حبي بنت قيس بن ضبيس بن ثعلبة بن حيان بن غنم بن مليح بن عمرو بن خزاعة وهو من قريش خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين وهو مشرك وأسلم بالجرانة وكان من المؤلفات قلوبهم ثم حسن إسلامه وخرج إلى الشام في خلافة عمر غازيا ومات بها في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة-الثقات لابن حبان (٥٥٦)

(٣١٢) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١١٤/٤)

(٣١٣)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٢٨٦/١٠)

(٣١٤) - يحتمل أن يكون حالا من عهد إذا أعرب (يكون) فعلا تامًا، أو أعرب ناقصا وكان الخبر (للمشركين) أو (عند الله).

(٣١٥) - أو فاعل (يكون) التام

متعلّق ب (عهد) «(٣١٦)» (الله) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (عند رسوله) مثل الأولى ومعطوفة عليها، و(الهاء) مضاف إليه (إلا الذين عاهدتم) مثل المتقدمة «(٣١٧)»، (عند المسجد) مثل عند الله متعلّق ب (عاهدتم)، (الحرام) نعت للمسجد مجرور (الفاء) استثنائية (ما) حرف مصدريّ ظرفيّ متضمّن معنى الشرط «(٣١٨)»، (استقاموا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ.. والواو فاعل (اللام) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (استقاموا)، (الفاء) رابطة لجواب الشرط (استقيموا) فعل أمر مبنيّ على حذف النون.. والواو فاعل (لهم) مثل لكم متعلّق ب (استقيموا).
والمصدر المؤوّل (ما استقاموا لكم) في محلّ نصب على الظرفيّة الزمانيّة متعلّق ب (استقيموا) (إنّ الله يحبّ المتّقين) مرّ إعرابهم «(٣١٩)».

روائع البيان والتفسير

{ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ }

- قال أبو جعفر- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما مختصره وبتصرف: يقول تعالى ذكره: أتى يكون أيها المؤمنون بالله ورسوله، وبأيّ معنى، يكون للمشركين برهم عهدٌ وذمة عند الله وعند رسوله، يوفى لهم به، ويتركوا من أجله آمنين يتصرفون في البلاد؟ وإنما معناه: لا عهد لهم، وأن الواجب على المؤمنين قتلهم حيث وجدوهم، إلا الذين أعطوا العهد عند المسجد الحرام منهم، فإن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين بالوفاء لهم بعهدهم، والاستقامة لهم عليه، ما داموا عليه للمؤمنين مستقيمين.

واختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله: {إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام} .

فقال بعضهم: هم قوم من جذيمة بن الدئل و ذكر من قال ذلك: كالسدي وابن إسحاق

وقال آخرون: هم قريش. وذكر من قال بذلك: كابن عباس وابن زيد-رحمهم الله تعالى-

وقال آخرون: هم قوم من خزاعة وذكر ممن قال ذلك: كمجاهد-رحمه الله-

ثم قال أبو جعفر- رحمه الله-: وأولى هذه الأقوال بالصواب عندي، قول من قال: هم بعض بني بكر من كنانة، ممن كان أقام على عهده، ولم يكن دخل في نقض ما كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين

(٣١٦) - أو متعلّق بمحذوف نعت لعهد.

(٣١٧) - في الآية (٤) من هذه السورة.

(٣١٨) - أو هي اسم شرط جازم في محلّ نصب على الظرفيّة الزمانيّة- وهو اختيار العكبري- أو هي اسم شرط في

محلّ رفع مبتدأ خبره جملة استقاموا، والتقدير: أيّ وقت استقاموا فيه لكم فاستقيموا لهم- وهو اختيار الحريّ.

(٣١٩) - في الآية (٤) من هذه السورة.

قريش يوم الحديبية من العهد مع قريش، حين نقضوه بمعونتهم حلفاءهم من بني الدُّلِّل، على حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة.

ثم أضاف - رحمه الله -: وإنما قلتُ: هذا القول أولى الأقوال في ذلك بالصواب، لأن الله أمر نبيه والمؤمنين بإتمام العهد لمن كانوا عاهدوه عند المسجد الحرام، ما استقاموا على عهدهم. وقد بينا أن هذه الآيات إنما نادى بها عليٌّ في سنة تسع من الهجرة، وذلك بعد فتح مكة بسنة، فلم يكن بمكة من قريش ولا خزاعة كافرٌ يومئذٍ بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهدٌ، فيؤمر بالوفاء له بعهده ما استقام على عهده، لأن من كان منهم من ساكني مكة، كان قد نقض العهد وحورب قبل نزول هذه الآيات وأما قوله: {إن الله يحب المتقين}، فإن معناه: إن الله يحب من اتقى الله وراقبه في أداء فرائضه، والوفاء بعهده لمن عاهد، واجتناب معاصيه، وترك الغدر بعهوده لمن عاهد.. اهـ (٣٢٠)

{ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ } (٨)

إعراب مفردات الآية (٣٢١)

(كيف) مثل المتقدّم «(٣٢٢)»، والمستفهم عنه محذوف دلّ عليه المذكور أي كيف يكون لهم عهد، وهو تكرار لاستبعاد ثباتهم على العهد (الواو) عاطفة (إنّ) حرف شرط جازم (يظهروا) مضارع مجزوم فعل الشرط وعلامة الجزم حذف النون.. والواو فاعل (على) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يظهروا)، (لا) نافية (يرقبوا) مثل يظهروا جواب الشرط (فيكم) مثل عليكم متعلّق ب (يرقبوا)، (إلّا) مفعول به منصوب، (الواو) عاطفة (ذمّة) معطوف على (إلّا) منصوب و(لا) زائدة لتأكيد النفي. (يرضون) مثل يعلمون «(٣٢٣)»، و(كم) مفعول به (بأفواه) جازّ ومجرور متعلّق ب (يرضون) و(هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة - أو حالّية - (تأبى) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الألف (قلوب) فاعل مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (أكثر) مبتدأ مرفوع و(هم) مثل الأخير (فاسقون) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو.

(٣٢٠) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر: مؤسسة الرسالة

(١٦٤٩٨ / ١٤ / ١٤٤)

(٣٢١) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

(٢٨٨ / ١٠)

(٣٢٢) - في الآية السابقة ٧.

(٣٢٣) - في الآية (٦) من هذه السورة.

روائع البيان والتفسير

{ كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: { كَيْفَ } يكون للمشركين عند الله عهد وميثاق {و} الحال أنهم {وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ} بالقدرة والسلطة، لا يرحمكم، و { لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً } أي: لا ذمة ولا قرابة، ولا يخافون الله فيكم، بل يسومونكم سوء العذاب، فهذه حالكم معهم لو ظهروا. ولا يغرنكم منهم ما يعاملونكم به وقت الخوف منكم، فإنهم { يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ } الميل والمحبة لكم، بل هم الأعداء حقاً، المبعوضون لكم صدقا، { وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ } لا ديانة لهم ولا مروءة. اهـ (٣٢٤)

{ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) }

إعراب مفردات الآية (٣٢٥)

(اشترؤا) فعل ماض مبني على الضمّ المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين.. والواو فاعل (بآيات) جارّ ومجرور متعلّق ب (اشترؤا) بتضمينه معنى استبدلوا (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (ثمنًا) مفعول به منصوب (قليلًا) نعت ل (ثمنًا) منصوب (الفاء) عاطفة (صدؤا) مثل اشترؤا (عن سبيل) جارّ ومجرور متعلّق ب (صدؤا)، و(الهاء) ضمير مضاف إليه (أنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ- و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (ساء) فعل ماض لإنشاء الذمّ جامد «(٣٢٦)»، (ما) اسم موصول مبني في محلّ رفع فاعل «(٣٢٧)»، والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره عملهم هذا (كانوا) فعل ماض ناقص - ناسخ- مبني على الضمّ.. والواو ضمير في محلّ رفع اسم كان (يعملون) مضارع مرفوع... والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ }

(٣٢٤) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٩/١)

(٣٢٥) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٢٩٠/١٠)

(٣٢٦) - أو متصرف متعدّد فاعله المصدر المؤوّل أو الموصول ومفعوله محذوف أي ساءهم عملهم أو ساءهم الذي كانوا يعملونه ..

(٣٢٧) - أو هو حرف مصدريّ يؤوّل مع الفعل بعده بمصدر.

-قال السعدي-رحمه الله في تفسيرها ما نصه: { اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا } أي: اختاروا الحظ العاجل الخسيس في الدنيا. على الإيمان بالله ورسوله، والانقياد لآيات الله.
{ فَصَدُّوا } بأنفسهم، وصدوا غيرهم { عَنِ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } أي لأجل عداوتهم للإيمان. اهـ (٣٢٨)

-وزاد القرطبي-رحمه الله-: يعني المشركين في نقضهم العهد بأكلة أطعمهم إياها أبو سفيان، قاله مجاهد. وقيل: إنهم استبدلوا بالقرآن متاع الدنيا. { فصدوا عن سبيله } أي عرضوا، من الصدود. أو منعوا عن سبيل الله، من الصد. اهـ (٣٢٩)

{ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) }
إعراب مفردات الآية (٣٣٠)

(لا) نافية (يرقبون) مثل يعملون (في مؤمن) جارّ ومجرور متعلق ب (يرقبون)، (إلا ولا ذمّة) مرّ إعرابها «(٣٣١)» (الواو) عاطفة (أولئك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.. و(الكاف) حرف خطاب (هم) ضمير فصل «(٣٣٢)»، (المعتدون) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ }

-قال القرطبي- رحمه الله-: قال النحاس: ليس هذا تكريرا، ولكن الأول لجميع المشركين والثاني لليهود خاصة. والدليل على هذا "اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا" يعني اليهود، باعوا حجج الله عز وجل وبيانه بطلب الرياسة وطمع في شيء. { وأولئك هم المعتدون } أي المجاوزون الحلال إلى الحرام بنقض العهد. اهـ (٣٣٣)

-وزاد السعدي- رحمه الله- في بيان قوله تعالي { إِلَّا وَلَا ذِمَّةً } فقال: أي لأجل عداوتهم للإيمان وأهله

(٣٢٨)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٩/١)

(٣٢٩)--الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٨٠/٨)

(٣٣٠)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٢٩٠/١٠)

(٣٣١) - في الآية (٨) من هذه السورة.

(٣٣٢) - أو على جملة إنهم ساء... وتصبح جملة: لا يرقبون اعتراضية.

(٣٣٣)--الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٨٠/٨)

فالوصف الذي جعلهم يعادونكم لأجله ويغضونكم هو الإيمان فذبوا عن دينكم وانصروه واتخذوا من عاداه لكم عدوا ومن نصره لكم وليا واجعلوا الحكم يدور معه وجودا وعندما لا تجعلوا الولاية والعداوة طبيعية تملون بهما حيثما مال الهوى وتتبعون فيهما النفس الأمانة بالسوء. اهـ (٣٣٤)

{ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) }
إعراب مفردات الآية (٣٣٥)

(الفاء) عاطفة (إن تابوا... الزكاة) مرّ إعرابها «(٣٣٦)»، (الفاء) رابطة لجواب الشرط (إخوان) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم و(كم) ضمير مضاف إليه (في الدين) جار ومجرور متعلق ب (إخوان) لأنّ فيه معنى المشاركة في السراء والضراء.

(الواو) استثنائية (نفصل) مضارع مرفوع.. والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن للتعظيم، (الآيات) مفعول به منصوب وعلامة نصب الكسرة (لقوم) جرّ ومجرور متعلق ب (نفصل)، (يعلمون) مثل يعلمون.

روائع البيان والتفسير

{ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ }

-قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره وبتصرف يسير: قوله تعالى: {فإن تابوا} أي عن الشرك والتزموا أحكام الإسلام. {فإخوانكم} أي فهم إخوانكم {في الدين}. قال ابن عباس: حرمت هذه دماء أهل القبلة.

وقال ابن زيد: افترض الله الصلاة والزكاة وأبى أن يفرق بينهما وأبى أن يقبل الصلاة إلا بالزكاة. وقال ابن مسعود: أمرتم بالصلاة والزكاة فمن لم يترك فلا صلاة له. اهـ (٣٣٧)

-وأضاف السعدي في بيان قوله تعالى: {وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ} أي نوضحها ونميزها {لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ} فيإليهم سياق الكلام وبهم تعرف الآيات والأحكام وبهم عرف دين الإسلام وشرائع الدين. اهـ (٣٣٨)

{ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ }
{(١٢)}

(٣٣٤) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٩/١)

(٣٣٥) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) (٢٩١/١٠)

(٣٣٦) - في الآية (٥) من هذه السورة.

(٣٣٧) --الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٨١/٨)

(٣٣٨) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٢٩/١)

إعراب مفردات الآية (٣٣٩)

(الواو) عاطفة (إن نكثوا) مثل إن تابوا، (إيمان) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (من بعد) جازّ ومجرور متعلّق ب (نكثوا)، (عهد) مضاف إليه مجرور و(هم) مثل الأخير (الواو) عاطفة (طعنوا) مثل تابوا ومعطوف على (نكثوا)، (في دين) جازّ ومجرور متعلّق ب (طعنوا) و(كم) ضمير مضاف إليه (الفاء) رابطة لجواب الشرط (قاتلوا) فعل أمر مبنيّ على حذف النون.. والواو فاعل (أئمة) مفعول به منصوب (الكفر) مضاف إليه مجرور (إنهم) مثل الأول (لا) نافية للجنس (أيمان) اسم لا مبنيّ على الفتح في محلّ نصب (اللام) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف، خبر لا (لعلّ) حرف مشبّه بالفعل- ناسخ- و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم لعلّ (ينتهون) كي عملون.

روائع البيان والتفسير

{ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ }

-قال ابن كثير- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما مختصره: يقول تعالى: وإن نكث هؤلاء المشركون الذين عاهدتموهم على مدة معينة أيمانهم، أي: عهودهم ومواثيقهم، { وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ } أي: عابوه وانتقصوه. ومن هاهنا أخذ قتل من سب الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، أو من طعن في دين الإسلام أو ذكره بتقص؛ ولهذا قال: { فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ } أي: يرجعون عما هم فيه من الكفر والعناد والضلال.

وقد قال قتادة وغيره: أئمة الكفر كأبي جهل، وعتبة، وشيبة، وأمّية بن خلف (٣٤٠)، وعدد رجالا. وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص (٣٤١) قال: مر سعد برجل من الخوارج، فقال الخارجي: هذا من أئمة الكفر. فقال سعد: كذبت، بل أنا قاتلت أئمة الكفر. رواه ابن مردويه.

(٣٣٩)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٠) ٢٩٢/

(٣٤٠) - أمّية بن خلف بن وهب، من بني لؤيّ: أحد جبابرة قريش في الجاهلية، ومن ساداتهم. أدرك الإسلام، ولم يسلم. وهو الذي عذب بلالا " الحبشي في بداية ظهور الإسلام. أسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر، فرآه بلال فصاح بالناس يحرضهم على قتله. فقتلوه. -انظر الاعلام للزركلي(٢/٢٢)

(٣٤١) - مصعب" بن سعد بن أبي وقاص الزهري أبو زرارة المدني روى عن أبيه وعلي وطلحة وعكرمة بن أبي جهل وعدي بن حاتم وابن عمر وعاصم بن مبدلة والزيبر بن عدي والحكم بن عتيبة وسفيان بن دينار التمار وعمرو بن مرة وغطفان بن أعين وغيرهم وذكره بن سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة وقال كان ثقة كثير الحديث وذكره ابن حبان في الثقات وقال عمرو بن علي وغيره أحد مات سنة ثلاث ومائة قلت وقال العجلي تابعي ثقة وقال البخاري في الصغير

وقال الأعمش، عن زيد بن وهب (٣٤٢)، عن حذيفة أنه قال: ما قوتل أهل هذه الآية بعد. وروى عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، مثله. والصحيح أن الآية عامة، وإن كان سبب نزولها مشركي قريش فهي عامة لهم ولغيرهم، والله أعلم. اهـ (٣٤٣)

{أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) }
إعراب مفردات الآية (٣٤٤)

(ألا) أداة تضيض (تقاتلون) مضارع مرفوع... والواو فاعل (قوما) مفعول به منصوب (نكثوا) فعل ماض وفاعله (أيمان) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (هموا) مثل نكثوا (بإخراج) جازّ ومجرور متعلق ب (هموا)، (الرسول) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (هم) ضمير منفصل مبني في محلّ رفع مبتدأ (بدؤوا) مثل نكثوا و(كم) ضمير مفعول به (أول) مفعول مطلق منصوب نائب عن المصدر أي بدءاً أولاً (مرة) مضاف إليه مجرور (الهمزة) للاستفهام التقريري (تخشون) مثل تقاتلون و(هم) ضمير مفعول به (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدّر (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (أحقّ) خبر مرفوع «(٣٤٥)»، (أن) حرف مصدريّ ونصب (تخشوا) مضارع منصوب وعلامة النصب حذف النون.. والواو فاعل و(الهاء) ضمير مفعول به. والمصدر المؤوّل (أن تخشوه) في محلّ رفع بدل اشتمال من لفظ الجلالة أي خشية الله أحقّ «(٣٤٦)».

لم يسمع من عكرمة بن أبي جهل وقال البيهقي في المدخل حديثه عن عثمان منقطع قلت ووقفت في كتاب المصاحف لابن أبي داود على ما يدل على صحة سماعه منه. -انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (٣٠٤)
(٣٤٢) - زيد بن وهب الجهني الهمداني كنيته أبو سليمان عداده في أهل الكوفة يروي عن عمر وعبد الله روى عنه منصور والأعمش مات سنة ست وتسعين وكان يصفر لحيته-الثقات لابن حبان (٢٧٥٩)
(٣٤٣) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١١٧/٤)
(٣٤٤) -انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٢٩٣/١٠)
(٣٤٥) - أو هو خبر مقدّم، والمصدر المؤوّل (أن تخشوه) مبتدأ مؤخر، وهو قول العكبريّ .. وأجاز ابن عطية أن يكون أحقّ مبتدأ خبره المصدر المؤوّل وسوّغ الابتداء بالنكرة لأنها اسم تفضيل، وقد أجاز سيويه أن تكون المعرفة خبراً للنكرة في مثل قولهم: أقصد رجلاً خيراً منه أبوه.
(٣٤٦) - يجوز أن يكون المصدر المؤوّل في محلّ جرّ بحرف جر محذوف هو الباء أي: أحقّ بالخشية من غيره.

(إن) مثل السابق «(٣٤٧)»، (كنتم) فعل ماض ناقص مبني على السكون في محلّ جزم فعل الشرط... و(تم) ضمير في محلّ رفع اسم كان (مؤمنين) خبر كنتم منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ }

-قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: يقول تعالى ذكره للمؤمنين بالله ورسوله، حاضاً لهم على جهاد أعدائهم من المشركين: {ألا تقاتلون} أيها المؤمنون، هؤلاء المشركين الذين نقضوا العهد الذي بينكم وبينهم، وطعنوا في دينكم، وظاهروا عليكم أعداءكم، {وهموا بإخراج الرسول}، من بين أظهرهم فاخرجوه {وهم بدءوكم أول مرة}، بالقتال، يعني فعلهم ذلك يوم بدر، وقيل: قتالهم حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم من خزاعة {أتخشونهم}، يقول: أتخافونهم على أنفسكم فتركوا قتالهم خوفاً على أنفسكم منهم {فالله أحق أن تخشوه}، يقول: فالله أولى بكم أن تخافوا عقوبته بترككم جهادهم، وتحذروا سخطه عليكم، من هؤلاء المشركين الذين لا يملكون لكم ضرراً ولا نفعاً إلا بإذن الله {إن كنتم مؤمنين}، يقول: إن كنتم مقرّين أن خشية الله لكم أولى من خشية هؤلاء المشركين على أنفسكم. اهـ (٣٤٨)

{ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِرُهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) }

إعراب مفردات الآية (٣٤٩)

(قاتلوا) فعل أمر مبني على حذف النون.. والواو فاعل و(هم) ضمير مفعول به (يعذب) مضارع مجزوم بجواب الطلب و(هم) مثل الأول (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (بأيدي) جارّ ومجرور متعلق ب (يعذبهم) وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الياء و(كم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة في المواضع الثلاثة (يخز، ينصر، يشف) أفعال مضارعة مجزومة معطوفة على (يعذب)، وعلامة جزم الأول والثالث حذف حرف العلة، وفاعل كلّ من الأفعال الثلاثة ضمير مستتر تقديره هو يعود على لفظ الجلالة والضميران (هم، كم)

(٣٤٧) - في الآية (٨) من هذه السورة.

(٣٤٨) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٥٨/١٤/١٦٥٣٤)

(٣٤٩) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٢٩٦/١٠)

في محلّ نصب مفعول به، (على) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (ينصر)، (صدر) مفعول به منصوب (قوم) مضاف إليه مجرور (مؤمنين) نعت لقوم مجرور وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ }

- قال البغوي- رحمه الله- في تفسيرها: { قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم } يقتلهم الله بأيديكم، { ويخزهم } ويذلهم بالأسر والقهر، { وينصركم عليهم ويشف صدور قوم } ويبرئ داء قلوب قوم، { مؤمنين } مما كانوا ينالونه من الأذى منهم. وقال مجاهد والسدي: أراد صدور خزاعة حلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أعانت قريش بني بكر عليهم، حتى نكثوا فيهم فشفى الله صدورهم من بني بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين. اهـ (٣٥٠)

{ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } (١٥)

إعراب مفردات الآية (٣٥١)

(الواو) عاطفة (يذهب) مضارع مجزوم معطوف على (يعذب)، والفاعل هو (غيظ) مفعول به منصوب (قلوب) مضاف إليه مجرور و(هم) ضمير في محلّ جرّ مضاف إليه. (الواو) استئنافية (يتوب) مضارع مرفوع (اللّه) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (على) كالأول (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (يتوب)، (يشاء) مثل يتوب (الواو) استئنافية (اللّه) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (عليم) خبر مرفوع (حكيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }

- قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً: فإن في قلوبهم من الحنق والغيظ عليهم ما يكون قتالهم وقتلهم شفاء لما في قلوب المؤمنين من الغم والهم إذ يرون هؤلاء الأعداء محاربين لله ولرسوله ساعين في إطفاء نور الله وزوالا للغيظ الذي في قلوبهم وهذا يدل على محبة الله لعباده المؤمنين واعتنائه بأحوالهم حتى إنه جعل - من جملة المقاصد الشرعية- شفاء ما في صدورهم وذهاب غيظهم ثم قال { وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ } من هؤلاء المحاربين بأن يوفقهم للدخول في الإسلام ويزينه في قلوبهم ويكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان

(٣٥٠)-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (١٨/٤)

(٣٥١)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٠)

{ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } يضع الأشياء مواضعها ويعلم من يصلح للإيمان فيهديه ومن لا يصلح فيبقيه في غيه وطغيانه. اهـ (٣٥٢)

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } (١٦)

إعراب مفردات الآية (٣٥٣)

(أم) حرف بمعنى بل والهمزة أي للإضراب الانتقالي والاستفهام الانكاريّ (حسبتم) فعل ماض مبنيّ على السكون... و(تم) فاعل (أن) حرف مصدريّ ونصب (تتركوا) مضارع مبنيّ للمجهول منصوب وعلامة النصب حذف النون... والواو نائب الفاعل (الواو) حالّية (لما) حرف نفي وجزم (يعلم) مضارع مجزوم وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين (اللّه) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (جاهدوا) فعل ماض وفاعله (من) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف حال من فاعل جاهدوا (الواو) عاطفة «(٣٥٤)» (لم) مثل لما (يتخذوا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (من دون) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف مفعول به ثانٍ لفعل يتخذوا (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (لا) زائدة لتأكيد النفي المفهوم من قوله من دون (رسول) معطوفة على لفظ الجلالة مجرور و(الهاء) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (لا) مثل لأخيرة (المؤمنين) مثل رسول وعلامة الجرّ الباء (وليجة) مفعول به منصوب.

والمصدر المؤوّل (ان تتركوا) في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعول حسبتم.

(الواو) استثنائيّة (اللّه) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (خبير) خبر مرفوع (الباء) حرف جرّ (ما) حرف مصدريّ «(٣٥٥)» (تعملون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل. والمصدر المؤوّل (ما تعملون) في محلّ جرّ بالباء متعلّق ب (خبير).

روائع البيان والتفسير

{ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ }

(٣٥٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣١/١)

(٣٥٣) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) (٢٩٨/١٠)

(٣٥٤) - أو حالّية والجملة بعدها حال من فاعل جاهدوا، أي: جاهدوا حال كونهم غير متّخذين وليجة.

(٣٥٥) - أو اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف أي تعملونه.

- قال ابن كثير- رحمه الله - في تفسيرها ما نصه: قول تعالى: {أم حسبتم} أيها المؤمنون أن نترككم مهملين، لا نختبركم بأمر يظهر فيها أهل العزم الصادق من الكاذب؟ ولهذا قال: {ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة} أي: بطانة ودخيلة بل هم في الظاهر والباطن على النصح لله ولرسوله، فاكتفى بأحد القسمين عن الآخر، كما قال الشاعر:

وما أدري إذا بيمت أرضا... أريد الخير أيهما يليني...

وقد قال الله تعالى في الآية الأخرى: {الم* أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين} [العنكبوت: ١-٣] وقال تعالى: {أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين} [آل عمران: ١٤٢] وقال تعالى: {ما كان الله ليزر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطالعكم على الغيب} [آل عمران: ١٧٩]

والحاصل أنه تعالى لما شرع الجهاد لعباده، بين أن له فيه حكمة، وهو اختبار عبده: من يطيعه ممن يعصيه، وهو تعالى العالم بما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون؟ فيعلم الشيء قبل كونه، ومع كونه على ما هو عليه، لا إله إلا هو، ولا رب سواه، ولا راد لما قدره وأمضاه. اهـ (٣٥٦)

{ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ (١٧) }

إعراب مفردات الآية (٣٥٧)

(ما) حرف نفي (كان) فعل ماض ناقص - ناسخ - (للمشركين) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر مقدّم (أن) حرف مصدريّ ونصب (يعمروا) مضارع منصوب وعلامة النصب حذف النون... والواو فاعل (مساجد) مفعول به منصوب (الله) مضاف إليه مجرور (شاهدين) حال منصوبة من فاعل يعمروا، وعلامة النصب الياء (على أنفس) جارّ ومجرور متعلّق ب (شاهدين) و(هم) ضمير مضاف إليه (بالكفر) جارّ ومجرور متعلّق ب (شاهدين).

والمصدر المؤوّل (أن يعمروا) في محلّ رفع اسم كان مؤخّر.

(٣٥٦) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١١٩/٤)

(٣٥٧) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٢٩٩/١٠)

(أولئك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.. و(الكاف) حرف خطاب (حبطت) فعل ماض. و(التاء) للتأنيث (أعمال) فاعل مرفوع و(هم) مثل الأول (الواو) عاطفة (في النار) جارّ ومجرور متعلّق ب (خالدون)، (هم) ضمير منفصل في محلّ رفع مبتدأ (خالدون) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ }

-قال البغوي- رحمه الله- في بيان قوله تعالى: { مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ } ما مختصره: وجب على المسلمين منعهم من ذلك؛ لأن المساجد إنما تعمر لعبادة الله وحده، فمن كان كافراً بالله فليس من شأنه أن يعمرها. فذهب جماعة إلى أن المراد منه: العمارة المعروفة من بناء المساجد ومرمته عند الخراب فيمنع منه الكافر حتى لو أوصى به لا تمتثل. وحمل بعضهم العمارة ها هنا على دخول المسجد والقعود فيه. قال الحسن: ما كان للمشركين أن يتركوا فيكونوا أهل المسجد الحرام. اهـ (٣٥٨)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره للآية إجمالاً ما مختصره وبتصرف: يقول تعالى: ما ينبغي للمشركين بالله أن يعمروا مساجد الله التي بنيت على اسمه وحده لا شريك له. ومن قرأ: "مسجد الله" فأراد به المسجد الحرام، أشرف المساجد في الأرض، الذي بني من أول يوم على عبادة الله وحده لا شريك له. وأسس خليل الرحمن هذا، وهم شاهدون على أنفسهم بالكفر، أي: بحالهم وقالهم، كما قال السُّدي: لو سألت النصراني: ما دينك؟ لقال: نصراني، واليهودي: ما دينك؟ لقال يهودي، والصابئي، لقال: صابئي، والمشرك، لقال: مشرك.

{ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ } أي: بشرتهم، { وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ } كما قال تعالى: { وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يُصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِلَّا الْمُتَنَفِّثُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ } [الأنفال: ٣٤]؛ ولهذا قال: { إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ } فشهد تعالى بالإيمان لعمار المساجد اهـ (٣٥٩)

(٣٥٨)-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٩/٤)

(٣٥٩)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١١٩/٤)

-وزاد أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في بيان قوله تعالى: {أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ} فقال، يقول: بطلت وذهبت أجورها، لأنها لم تكن لله بل كانت للشيطان {وفي النار هم خالدون}، يقول: ماكنون فيها أبداً، لا أحياءً ولا أمواتاً. اهـ (٣٦٠)

{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (١٨)}

إعراب مفردات الآية (٣٦١)

{إنما} كاقفة ومكفوفة (يعمر) مضارع مرفوع (مساجد الله) مَرَّ إعرابها «(٣٦٢)»، (من) اسم موصول مبني في محلِّ رفع فاعل (آمن) فعل ماضٍ، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو وهو العائد (بالله) جازٌّ ومجرور متعلق ب (آمن)، (الواو) عاطفة (اليوم) معطوفة على لفظ الجلالة مجرور (الآخر) نعت لليوم مجرور (الواو) عاطفة (أقام) مثل آمن، (الصلاة) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (آتى الزكاة) مثل أقام الصلاة (الواو) عاطفة (لم) حرف نفي وجزم (يخش) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلة، والفاعل هو (إلا) أداة حصر (الله) لفظ الجلالة مفعول به منصوب، (الفاء) عاطفة (عسى) فعل ماضٍ ناقص جامد (أولئك) إشارة في محلِّ رفع اسم عسى، و(الكاف) للخطاب (أن) حرف مصدريّ ونصب (يكونوا) مضارع ناقص منصوب وعلامة النصب حذف النون.. والواو اسم يكون (من المهتدين) جازٌّ ومجرور خبر يكون.

والمصدر المؤوَّل (أن يكونوا) في محلِّ نصب خبر عسى.

روائع البيان والتفسير

{إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ }

-قال السعدي- رحمه الله -في تفسيرها ما نصه: {إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ} الواجبة والمستحبة، بالقيام بالظاهر منها والباطن.

(٣٦٠) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر : مؤسسة الرسالة (١٦٦/١٤ / ١٦٥٥٤)

(٣٦١) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٣٠٠/١٠)

(٣٦٢) - في الآية السابقة (١٨)

{وَأَتَى الزَّكَاةَ} لأهلها {وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ} أي قصر خشيته على ربه، فكف عما حرم الله، ولم يقصر بحقوق الله الواجبة.

فوصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها الذين هم أهلها.
 {فَعَسَى أَوْلَىٰكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ} و "عسى" من الله واجبة. وأما من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا عنده خشية لله، فهذا ليس من عمار مساجد الله، ولا من أهلها الذين هم أهلها، وإن زعم ذلك وادعاه. اهـ (٣٦٣)

{ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (١٩) }

إعراب مفردات الآية (٣٦٤)

(الهمزة) للاستفهام التعجبي (جعلتم) فعل ماض مبني على السكون.. و(تم) ضمير فاعل (سقاية) مفعول به منصوب (الحاج) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (عمارة المسجد) مثل سقاية الحاج ومعطوفة عليه (الحرام) نعت للمسجد مجرور (الكاف) حرف جرّ (من) اسم موصول مبني في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف مفعول به ثان ل (جعلتم) «(٣٦٥)» (آمن بالله واليوم الآخر) مرّ إعرابها «(٣٦٦)» (الواو) عاطفة (جاهد) مثل آمن «(٣٦٧)»، (في سبيل) جازّ ومجرور متعلّق ب (جاهد)، (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه (لا) نافية (يستون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل (عند) ظرف منصوب متعلّق ب (يستون)، (الله) مثل اللفظ الأخير (الواو) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (لا) نافية (يهدي) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء، والفاعل هو (القوم) مفعول به منصوب (الظالمين) نعت للقوم منصوب وعلامة النصب الياء.

(٣٦٣) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣١/١)

(٣٦٤) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق

(٣٠٢/١٠)

(٣٦٥) - أو متعلّق بحال إذا تعدّى الفعل لمفعول، واحد، وهو على تأويل حذف مضاف أي كإيمان من آمن .. ويجوز تقدير الحذف في سقاية أي أهل سقاية الحاج أو أصحاب سقاية الحاج.

(٣٦٦) - في الآية السابقة (١٨).

(٣٦٧) - في الآية السابقة (١٨).

روائع البيان والتفسير

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

مسلم (ج ١٣ / ص ٢٥) عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال رجل: ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج. وقال آخر: ما أبالي ألا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلمت. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله: {أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} الآية إلى آخرها. اهـ (٣٦٨)

{ أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً: لما اختلف بعض المسلمين، أو بعض المسلمين وبعض المشركين، في تفضيل عمارة المسجد الحرام، بالبناء والصلاة والعبادة فيه وسقاية الحاج، على الإيمان بالله والجهاد في سبيله، أخبر الله تعالى بالتفاوت بينهما، فقال: { أَجْعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ } أي: سقيهم الماء من زمزم كما هو المعروف إذا أطلق هذا الاسم، أنه المراد { وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ }

فالجهاد والإيمان بالله أفضل من سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بدرجات كثيرة، لأن الإيمان أصل الدين، وبه تقبل الأعمال، وتركوا الخصال.

وأما الجهاد في سبيل الله فهو ذروة سنام الدين، الذي به يحفظ الدين الإسلامي ويتسع، وينصر الحق ويخذل الباطل.

وأما عمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج، فهي وإن كانت أعمالاً صالحة، فهي متوقفة على الإيمان، وليس فيها من المصالح ما في الإيمان والجهاد، فلذلك قال: { لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ }

(٣٦٨) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص / ١٠٦) ما نصه: الحديث أخرجه أحمد ج ٤ ص ٢٦٩ وقال الحافظ ابن كثير ج ٢ ص ٣٤٢ قال عبد الرزاق أخبرنا معمر بن يحيى بن أبي كثير عن النعمان بن بشير رضي الله عنه به وأخرجه ابن جرير ج ١٠ ص ٩٥ من الطريقين إلى النعمان وأخرجه ابن أبي حاتم ج ٤ ص ٣٥.

{ أي: الذين وصفهم الظلم، الذين لا يصلحون لقبول شيء من الخير، بل لا يليق بهم إلا الشر. اهـ (٣٦٩)

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } (٢٠)

إعراب مفردات الآية (٣٧٠)

(الذين) اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ (آمَنُوا) فعل ماض وفاعله ومثله (هاجروا، جاهدوا)، (في سبيل) جازر ومجرور متعلق ب (جاهدوا)، (اللَّهُ) لفظ الجلالة مضاف إليه (بأموال) جازر ومجرور متعلق ب (جاهدوا)، «(٣٧١)» و(هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (أنفسهم) مثل أموالهم ومعطوف عليه (أعظم) خبر المبتدأ الذين (درجة) تمييز منصوب (عند) ظرف منصوب متعلق ب (أعظم)، (اللَّهُ) مثل الأخير (الواو) عاطفة (أولئك) اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ.. و(الكاف) حرف خطاب (هم) ضمير فصل «(٣٧٢)»، (الفائزون) خبر المبتدأ أولئك مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْبَرُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ } {

- قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في تفسيرها: وهذا قضاء من الله بين فرق المفتخرين الذين افتخروا أحدهم بالسقاية، والآخر بالسّدانة، والآخر بالإيمان بالله والجهاد في سبيله. يقول تعالى ذكره: {الذين آمنوا} بالله، وصدقوا بتوحيده من المشركين {وهاجروا} دور قومهم {وجاهدوا} المشركين في دين الله {بأموالهم وأنفسهم} أعظم درجة عند الله {، وأرفع منزلة عنده، من سقاة الحاج وعمّار المسجد الحرام، وهم بالله مشركون} {وأولئك}، يقول: وهؤلاء الذين وصفنا صفتهم، أنهم آمنوا وهاجروا وجاهدوا {هم الفائزون} بالجنة، الناجون من النار. اهـ (٣٧٣)

(٣٦٩)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣١/١)

(٣٧٠)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٣٠٤/١٠)

(٣٧١) - مرّ اعراب نظيرها في الآية (٧٢) من سورة الأنفال.

(٣٧٢) - أو ضمير منفصل مبتدأ ثان خبره (الفائزون) ، والجملة الاسمية خبر أولئك.

(٣٧٣)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ،تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر : مؤسسة الرسالة (١٧٢/١٤/ ١٦٥٦٦)

- وأضاف القرطبي-رحمه الله - فائدة في بيانها فقال ما مختصره: أي من الذين افتخروا بالسقي والعمارة. وليس للكافرين درجة عند الله حتى يقال: المؤمن أعظم درجة. والمراد أنهم قدروا لأنفسهم الدرجة بالعمارة والسقي فحاطبهم على ما قدره في أنفسهم وإن كان التقدير خطأ كقوله تعالى: { أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً } وقيل: "أعظم درجة" من كل ذي درجة، أي لهم المزية والمرتبة العلية. { وأولئك هم الفائزون } بذلك. اهـ. (٣٧٤)

{ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ } (٢١)

إعراب مفردات الآية (٣٧٥)

(يبشّر) مضارع مرفوع و(هم) ضمير مفعول به (ربّ) فاعل مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (برحمة) جارّ ومجرور متعلّق ب (يبشّر)، (من) حرف جرّ و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بنعت ل (رحمة) (الواو) عاطفة (رضوان) معطوفة على رحمة مجرور (الواو) عاطفة (جَنّاتٍ) معطوفة على رحمة مجرور (لهم) مثل منه متعلّق بمحذوف خبر مقدّم (فيها) مثل منه متعلّق بما تعلّق به لهم (نعيم) مبتدأ مؤخّر مرفوع (مقيم) نعت لنعيم مرفوع مثله.

روائع البيان والتفسير

{ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: { يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ } جوداً منه، وكرماً وبرا بهم، واعتناءً ومحبة لهم، { بِرَحْمَةٍ مِنْهُ } أزال بها عنهم الشرور، وأوصل إليهم بما كل خير. { وَرِضْوَانٍ } منه تعالى عليهم، الذي هو أكبر نعيم الجنة وأجله، فيحل عليهم رضوانه، فلا يسخط عليهم أبداً. { وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ } من كل ما اشتتهه الأنفس، وتلذ الأعين، مما لا يعلم وصفه ومقداره إلا الله تعالى، الذي منه أن الله أعد للمجاهدين في سبيله مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، ولو اجتمع الخلق في درجة واحدة منها لوسعتهم. اهـ. (٣٧٦)

{ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ } (٢٢)

إعراب مفردات الآية (٣٧٧)

(٣٧٤) --الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٩٣/٨)

(٣٧٥) -انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣٠٦/١٠)

(٣٧٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٢/١)

(خالدين) حال منصوبة مقدّرة من الضمير المنصوب في (يبشّروهم) «(٣٧٨)»، وعلامة النصب الياء (في) حرف جرّ و(ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (خالدين) (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (عند) ظرف منصوب متعلّق بمحذوف خبر مقدّم و(الهاء) مضاف إليه (أجر) مبتدأ مؤخّر مرفوع (عظيم) نعت لأجر مرفوع مثله.

روائع البيان والتفسير

{ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ }

-قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله ي- في تفسيرها: يقول تعالى ذكره {خالدين فيها}، ماكتين فيها، يعنى في الجنات {أبدا}، لا نهاية لذلك ولا حدّ {إن الله عنده أجر عظيم}، يقول: إن الله عنده لهؤلاء المؤمنين الذين نعتهم جل ثناؤه النعت الذي ذكر في هذه الآية {أجر}، ثواب على طاعتهم لرّبهم، وأدائهم ما كلفهم من الأعمال {عظيم}، وذلك النعيم الذي وعدهم أن يعطيهم في الآخرة. اهـ (٣٧٩)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٢٣) }

إعراب مفردات الآية (٣٨٠)

(يا) أداة نداء (أيّ) منادى نكرة مقصودة مبنيّ على الضمّ في محلّ نصب و(ها) حرف تنبيه (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب بدل من أيّ- أو نعت له- (أمنوا) فعل ماض وفاعله (لا) ناهية جازمة (تتخذوا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (آباء) مفعول به منصوب و(كم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (إخوانكم) معطوف على آباء... ومضاف إليه (أولياء) مفعول به ثان

(٣٧٧)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) ٣٠٧/١٠

(٣٧٨) - في الآية السابقة، والحال المقدّرة تسمى أيضا المستقبلية.

(٣٧٩)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٥٦٧/ ١٧٥/١٤)

(٣٨٠)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق(٣٠٧/١٠)

منصوب (إن) حرف شرط جازم (استحبوا) فعل ماضٍ مبني على الضمّ في محلّ جزم فعل الشرط... والواو فاعل (الكفر) مفعول به منصوب (على الإيمان) جازٍ ومجرور متعلّق ب (استحبوا) بتضمينه معنى اختاروا. (الواو) عاطفة (من) اسم شرط جازم مبني في محلّ رفع مبتدأ (يتولّ) مضارع مجزوم فعل الشرط وعلامة الجزم حذف حرف العلة (هم) ضمير مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (من) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف حال من فاعل يتولّم (الفاء) رابطة لجواب الشرط (أولئك) اسم إشارة مبتدأ في محلّ رفع... و(الكاف) حرف خطاب (هم) ضمير فصل «(٣٨١)»، (الظالمون) خبر المبتدأ أولئك.

روائع البيان والتفسير

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ }

-قال القرطبي- رحمه الله- في تفسيرها: لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة من مكة إلى المدينة جعل الرجل يقول لأبيه والأب لابنه والأخ لأخيه والرجل لزوجته: إنا قد أمرنا بالهجرة، فمنهم من تسارع لذلك، ومنهم من أبى أن يهاجر، فيقول: والله لئن لم تخرجوا إلى دار الهجرة لا أنفعلكم ولا أنفق عليكم شيئاً أبداً. ومنهم من تتعلّق به امرأته وولده ويقولون له: أنشدك بالله ألا تخرج فنضيع بعدك، فمنهم من يرق فيدع الهجرة ويقيم معهم، فنزلت { يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان }. يقول: إن اختاروا الإقامة على الكفر بمكة على الإيمان بالله والهجرة إلى المدينة.

ومن يتولّم منكم" بعد نزول الآية { فأولئك هم الظالمون } . اهـ (٣٨٢)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: وأصل الولاية: المحبة والنصرة، وذلك أن اتخاذهم أولياء، موجب لتقدم طاعتهم على طاعة الله، ومحبتهم على محبة الله ورسوله. اهـ (٣٨٣)

-وزاد البغوي- رحمه الله- فقال في تفسير قوله تعالى: { فأولئك هم الظالمون } وكان في ذلك الوقت لا يقبل الإيمان إلا من مهاجر، فهذا معنى قوله: { فأولئك هم الظالمون } . اهـ (٣٨٤)

(٣٨١) - أو ضمير منفصل مبتدأ و(الظالمون) خبر، والجملة الاسميّة خبر المبتدأ أولئك.

(٣٨٢) -الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٩٥/٨)

(٣٨٣) -تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٢/١)

(٣٨٤) -انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٢٥/٤)

{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٢٤)}

إعراب مفردات الآية (٣٨٥)

(قل) فعل أمر، والفاعل أنت (إن) حرف شرط جازم (كان) فعل ماض ناقص مبني في محلّ جزم فعل الشرط (آباء) اسم كان مرفوع (كم) ضمير مضاف إليه (أبناؤكم... عشيرتكم) أسماء مضاف إليها ضمير خطاب الجمع معطوفة بحروف العطف على آباء مرفوعة مثله (أموال، تجارة، مساكن) أسماء معطوفة على آباء بحروف العطف مرفوعة (اقتربتم) فعل ماض مبني على السكون... و(تم) ضمير فاعل و(الواو) زائدة هي إشباع حركة الميم و(ها) ضمير مفعول به (تخشون) مضارع مرفوع... والواو فاعل (كساد) مفعول به منصوب و(ها) مضاف إليه (ترضون) مثل تخشون و(ها) ضمير مفعول به (أحبّ) خبر كان منصوب (إلى) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أحب) (من الله) جارّ ومجرور متعلّق ب (أحبّ) (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة مجرور و(الهاء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (جهاد) معطوف على لفظ الجلالة مجرور (في سبيل) جارّ ومجرور متعلّق ب (جهاد)، و(الهاء) مثل الأخير (الفاء) رابطة لجواب الشرط (تربصوا) فعل أمر مبني على حذف النون..

والواو فاعل «(٣٨٦)»، (حتى) حرف غاية وجرّ (يأتي) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (بأمر) جارّ ومجرور متعلّق ب (يأتي)، و(الهاء) مثل الأخير. والمصدر المؤوّل (أن يأتي الله) في محلّ جرّ ب (حتى) متعلّق ب (تربصوا).

(الواو) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (لا) نافية (يهدي) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء، والفاعل هو (القوم) مفعول به منصوب (الفاسيقين) نعت للقوم منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }

(٣٨٥)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣١١/١٠)

(٣٨٦) - والمفعول محذوف أي تربصوا عذاب الله أي انتظروا عذابه.

- قال السعدي في بيانها إجمالاً ما نصه: ولهذا ذكر السبب الموجب لذلك، وهو أن محبة الله ورسوله، يتعين تقديمهما على محبة كل شيء، وجعل جميع الأشياء تابعة لهما فقال: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَمِثْلُهُمُ الْأُمَمَاتُ {وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ} فِي النَّسَبِ وَالْعَشْرَةِ {وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ} أَي: قراباتكم عموماً {وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا} أَي: اكتسبتموها وتعتم في تحصيلها، خصها بالذكر، لأنها أرغب عند أهلها، وصاحبها أشد حرصاً عليها ممن تأتيه الأموال من غير تعب ولا كدّ.

{وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا} أَي: رخصها ونقصها، وهذا شامل لجميع أنواع التجارات والمكاسب من عروض التجارات، من الأثمان، والأواني، والأسلحة، والأمتعة، والحبوب، والحروث، والأنعام، وغير ذلك. {وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا} من حسنها وزخرفتها وموافقتها لأهوائكم، فإن كانت هذه الأشياء {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ} فأنتم فسقة ظلمة.

{فَتَرَبَّصُوا} أَي: انتظروا ما يحل بكم من العقاب {حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ} الذي لا مرد له. {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} أَي: الخارجين عن طاعة الله، المقدمين على محبة الله شيئاً من المذكورات.

وهذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله، وعلى تقديمها على محبة كل شيء، وعلى الوعيد الشديد والمقت الأكيد، على من كان شيء من هذه المذكورات أحب إليه من الله ورسوله، وجهاد في سبيله.

وعلاوة ذلك، أنه إذا عرض عليه أمران، أحدهما يحبه الله ورسوله، وليس لنفسه فيه هوى، والآخر تحبه نفسه وتشتهيه، ولكنه يُفَوِّتُ عليه محبوباً لله ورسوله، أو ينقصه، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه، على ما يحبه الله، دل ذلك على أنه ظالم، تارك لما يجب عليه. اهـ (٣٨٧)

{لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ (٢٥) }

إعراب مفردات الآية (٣٨٨)

(اللام) لام القسم لقسم مقدر (قد) حرف تحقيق (نصر) فعل ماضٍ و(كم) ضمير مفعول به (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (في مواطن) جازرٌ ومجرور متعلق ب (نصر)، وعلامة الجرّ الفتحة لامتناعه من الصرف فهو على صيغة منتهى الجموع (كثيرة) نعت لمواطنٍ مجرور (الواو) عاطفة (يوم) ظرف منصوب متعلق بما

(٣٨٧)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة(٣٣٢/١)

(٣٨٨)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٠)

تعلّق به (في مواطن) لأنه معطوف عليه «(٣٨٩)»، (حنين) مضاف إليه مجرور (إذ) ظرف للزمن الماضي مبنيّ بدل من يوم (أعجبت) مثل نصر و(التاء) للتأنيث و(كم) ضمير مفعول به (كثرة) فاعل مرفوع و(كم) ضمير مضاف إليه (الفاء) عاطفة (لم) حرف نفي وجزم (تغن) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره هي أي الكثرة (عن) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (تغن)، (شيئاً) مفعول مطلق نائب عن المصدر أي إغناء ما (الواو) عاطفة (ضاقّت) مثل أعجبت (عليكم) مثل عنكم متعلّق ب (ضاقّت)، (الأرض) فاعل مرفوع (الباء) حرف جرّ و(ما) حرف مصدريّ (رحبت) مثل أعجبت (ثمّ) حرف عطف (ولّيتم) مثل اقترفت «(٣٩٠)»، (مدبرين) حال مؤكّدة لمعنى الفعل منصوبة والمصدر المؤوّل (ما رحبت) في محلّ جرّ بالباء متعلّق بمحذوف حال من الأرض لأنّ الباء للملابسة أي ضاقت ملتبسة برحبها.

روائع البيان والتفسير

{ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ }

- قال البغوي - رحمه الله - في تفسيره للآية ما مختصره: قوله تعالى: { لقد نصركم الله في مواطن } أي مشاهد، { كثيرة ويوم حنين } وحنين واد بين مكة والطائف. وقال عروة: إلى جنب ذي الحجاز. اهـ (٣٩١)
قلت: وقصة وقعة حنين مشهورة (٣٩٢)

- ولقد ذكر ابن كثير في تفسيره بياناً وافياً لهذه الوقعة قال ما مختصره:
وقد كانت وقعة: "حنين" بعد فتح مكة في شوال سنة ثمان من الهجرة، وذلك لما فرغ عليه السلام من فتح مكة، وتمهدت أمورها، وأسلم عامة أهلها، وأطلقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبلغه أن هوازن

(٣٨٩) - أو متعلّق بفعل محذوف تقديره اذكر، لأنّ (إذ أعجبتكم) بدل من يوم حنين، فلو كان الناصب الظاهر لاختلف المعنى بعض اختلاف لأنّ كثرتهم لم تعجبهم في
(٣٩٠) - في الآية السابقة (٢٤).

(٣٩١) - انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٢٥/٤)

(٣٩٢) - انظر للمزيد سيرة ابن هشام: ٢ / ٤٣٧، الدر المنثور: ٤ / ١٥٨.

جمعوا له ليقاتلوه، وأن أميرهم مالك بن عوف النصري^(٣٩٣)، ومعه ثقيف بكماهما، وبنو حشم وبنو سعد بن

بكر، وأوزاع من بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، وقد أقبلوا معهم النساء والولدان والشاء والنعم، وجاءوا بقضهم وقضيضهم فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة، وهم الطلقاء في ألفين أيضا، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بواد بين مكة والطائف يقال له "حنين"، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غلس الصبح، انحدروا في الوادي وقد كمنت فيه هوازن، فلما تواجهوا لم يشعر المسلمون إلا بهم قد ثاوروهم ورشقوا بالنبال، وأصلتوا السيوف، وحملوا حملة رجل واحد، كما أمرهم ملكهم. فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين، كما قال الله، عز وجل وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو راكب يومئذ بغلته الشهباء يسوقها إلى نحر العدو، والعباس عمه أخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخذ بركابها الأيسر، يثقلانها لثلا تسرع السير، وهو ينوه باسمه، عليه الصلاة والسلام، ويدعو المسلمين إلى الرجعة ويقول:

"أين يا عباد الله؟ إلي أنا رسول الله"، ويقول في تلك الحال: أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب... وثبت معه من أصحابه قريب من مائة، ومنهم من قال: ثمانون، فمنهم: أبو بكر، وعمر، رضي الله عنهما، والعباس^(٣٩٤) وعلي، والفضل بن عباس^(٣٩٥)، وأبو سفيان بن الحارث^(٣٩٦)، وأيمن بن أم أيمن^(٣٩٧)،

(٣٩٣) - مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن وائلة بن دهمان ابن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصري،

انهم يوم حنين كافرا، وهو كان رئيس جيش المشركين يومئذ، ولحق في انضمامه بالطائف، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو أتاني مسلم لرددت إليه أهله وماله، فبلغه ذلك، فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد خرج من الجعرانة، فأسلم - انظر لاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر^(٢٢٩٠)

(٣٩٤) - العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصنو أبيه، يكنى أبا الفضل، بابنه.

وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بستين، وقيل: بثلاث سنين وكان العباس في الجاهلية رئيسا في قريش، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية في الجاهلية، أما السقاية فمعروفة، وأما عمارة المسجد الحرام فإنه كان لا يدع أحدا يسب في المسجد الحرام، ولا يقول فيه هجرا لا يستطيعون لذلك امتناعا، لأن ملاً قريش كانوا قد اجتمعوا وتعاهدوا على ذلك، فكانوا له أعوانا عليه.

وأسماء بن زيد، وغيرهم، رضي الله عنهم ثم أمر صلى الله عليه وسلم عمه العباس - وكان جهير الصوت - أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة - يعني شجرة بيعة الرضوان، التي بايعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها، على ألا يفروا عنه - فجعل ينادي بهم: يا أصحاب السمرة (٣٩٨) ويقول

كان الصحابة يعرفون للعباس فضله، ويقدمونه ويشاورونه ويأخذون برأيه، وكفاه شرفاً وفضلاً أنه كان يعزى بالنبي صلى الله عليه وسلم لما مات، ولم يخلف من عصبته أقرب منه.

وأضر العباس في آخر عمره، وتوفي بالمدينة يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، وقيل: بل من رمضان، سنة اثنتين وثلاثين، قبل قتل عثمان بستين، وصلى عليه عثمان، ودفن بالبقيع، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، وكان طويلاً جميلاً أبيض بضاً، ذا ضفيريّتين. - انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير مختصراً وبتصرف (٢٧٩٩)

(٣٩٥) - الفضل بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: من شجعان الصحابة ووجههم. كان أسن ولد العباس. ثبت يوم حنين. وأردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراءه في حجة الوداع، فلقب " ردف رسول الله ". وخرج بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم مجاهداً إلى الشام، فاستشهد في وقعة أجنادين (بفلسطين) وقيل: مات بناحية الأردن في طاعون عمواس. له ٢٤ حديثاً. وفي مدينة الرملة (بفلسطين) قبر قدم يقال: إنه مدفون فيه - الأعلام للزركلي (١٤٩/٥)

(٣٩٦) - أَبُو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ الْقُرَشِيِّ الْهَاشِمِيِّ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَ أَخَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرضاعة، أرضعتها حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية. وأمّه غزيرة بنت قيس بن طريف، من ولد فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. قَالَ قوم - منهم إبراهيم بن المنذر: اسمه الْمُغِيرَةُ. وَقَالَ آخرون: بل اسمه كنيته، والمغيرة أخوه.

وَكَانَ إِسْلَامُهُ يَوْمَ الْفَتْحِ قَبْلَ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَةَ، لَقِيَهُ هُوَ وَابْنَهُ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي سُفْيَانَ بِالْأَبْوَاءِ فَأَسْلَمَا وَيُرْوَى عَنْهُ أَنَّهُ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ: لَا تَبْكُوا عَلَيَّ، فَإِنِّي لَمْ أَتَطْفُ - أَتَطْفُ - بِخَطِيئَةٍ مِنْذُ أُسَلِمْتُ. ودفن في دار عقيل بن أبي طالب، وصلى عليه عُمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقيل: بل مات أبو سُفْيَانَ بْنِ الْحَارِثِ بِالْمَدِينَةِ بَعْدَ أَخِيهِ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ إِلَّا ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَكَانَ هُوَ الَّذِي حَفَرَ قَبْرَ نَفْسِهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَكَانَتْ وَفَاةُ نَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ عَلَى مَا ذَكَرْنَا فِي بَابِهِ سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ. - انظر الاستيعاب في معرفة الأصحاب لعبد البر مختصراً (٣٠٠٢)

(٣٩٧) - أيمن بن أم أيمن وهو أيمن بن عبيد وهو أخو أسماء بن زيد، وأمّه أم أيمن، مولاة النبي صلى الله عليه وسلم. - انظر معجم الصحابة للبخاري (٢٠)

(٣٩٨) - (أصحاب السمرة) هي الشجرة التي بايعوا تحتها بيعة الرضوان ومعناه ناد أهل بيعة الرضوان يوم الحديبية والحديث أخرجه مثله مسلم (برقم/ ١٧٧٥) - باب في غزوة حنين ولفظه " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي عباس، ناد أصحاب السمرة»، فقال عباس: وكان رجلاً صيتاً، فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله، لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقبلوا والكفار، والدعوة في الأنصار يقولون: يا معشر الأنصار، يا معشر الأنصار، قال: ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج، فقالوا: يا بني

تارة: يا أصحاب سورة البقرة، فجعلوا يقولون: يا لبيك، يا لبيك، وانعطف الناس فجعلوا يتراجعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إن الرجل منهم إذا لم يطاوعه بغيره على الرجوع، لبس درعه، ثم انحدر عنه، وأرسله، ورجع بنفسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما رجعت شزيمة منهم، أمرهم عليه السلام أن يصدقوا الحملة، وأخذ قبضة من التراب بعدما دعا ربه واستنصره، وقال: "اللهم أجز لي ما وعدتني" (٣٩٩) ثم رمى القوم بها، فما بقي إنسان منهم إلا أصابه منها في عينيه وفمه ما شغله عن القتال، ثم انهزموا، فاتبع المسلمون أقباءهم يقتلون ويأسرون، وما تراجع بقية الناس إلا والأسارى مجدلة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم. اهـ (٤٠٠)

{ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ }

-قال القرطبي- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره وبتصرف: قوله تعالى: { إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ } قيل: كانوا اثني عشر ألفا. وقيل: أحد عشر ألفا وخمسمائة. وقيل: ستة عشر ألفا. فقال بعضهم: لن تغلب اليوم عن قلة. فوكلوا إلى هذه الكلمة، فكان ما ذكرناه من الهزيمة في الابتداء إلى أن تراجعوا، فكان النصر والظفر للمسلمين ببركة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم. فبين الله عز وجل في هذه الآية أن الغلبة إنما تكون بنصر الله لا بالكثرة وقد قال: { وَإِنْ يَخِذْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ } [آل عمران: ١٦٠]. اهـ (٤٠١)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في بيان قوله تعالى: { وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ } بما أصابكم من الهم والغم حين انهزمتكم { بِمَا رَحُبَتْ } أي: على رحبها وسعتها، { ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ } أي: منهزمين. اهـ (٤٠٢)

{ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَدَّ بَاطِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٦) }

الحارث بن الخزرج، يا بني الحارث بن الخزرج، فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذا حين حمي الوطيس» قال: ثم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حصيات فرمى بهن وجوه الكفار، ثم قال: «انهزموا ورب محمد» قال: فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال: فوالله، ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا، وأمرهم مدبرا".

(٣٩٩) - جزء من حديث أخرجه مسلم (برقم/ ١٧٦٣) - بَابُ الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي عَزْوَةِ بَدْرٍ، وَإِبَاحَةِ الْعُنَائِمِ

(٤٠٠) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ١٢٥)

(٤٠١) - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٨/ ١٠٠)

(٤٠٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١/ ٣٣٢)

إعراب مفردات الآية (٤٠٣)

(ثمّ) حرف عطف (أنزل) فعل ماضٍ (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (سكينة) مفعول به منصوب و(الهاء) ضمير مضاف إليه (على رسول) جارّ ومجرور متعلّق ب (أنزل)، و(الهاء) مثل الأخير (الواو) عاطفة على المؤمنين) جارّ ومجرور متعلّق بما تعلّق به المجرور الأول لأنّه معطوف عليه (الواو) عاطفة (أنزل جنوداً) مثل أنزل سكينة.. (لم) حرف نفي وجزم (تروا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون.. والواو فاعل و(الهاء) ضمير مفعول به (الواو) عاطفة (عدّب) مثل أنزل والفاعل هو (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (كفروا) فعل ماضٍ وفاعله.
(الواو) استثنائية (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.. و(اللام) للبعد و(الكاف) للن خطاب (جزاء) خبر مرفوع (الكافرين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَدَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ }

-قال السعدي رحمه الله في تفسيرها ما نصه: {ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ} والسكينة ما يجعله الله في القلوب وقت القلاقل والزلازل والمفطعات، مما يثبتها، ويسكنها ويجعلها مطمئنة، وهي من نعم الله العظيمة على العباد.

{وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا} وهم الملائكة، أنزلهم الله معونة للمسلمين يوم حنين، يثبتونهم، ويشيروهم بالنصر.

{وَعَدَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا} بالهزيمة والقتل، واستيلاء المسلمين على نسائهم وأولادهم وأموالهم.
{وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} يعذبهم الله في الدنيا، ثم يردهم في الآخرة إلى عذاب غليظ. اهـ (٤٠٤)

(٤٠٣)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

{ تَمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧) }

إعراب مفردات الآية (٤٠٥)

(ثم) حرف للاستئناف «(٤٠٦)»، (يتوب) مضارع مرفوع (اللّه) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (من بعد) جارّ ومجرور متعلّق ب (يتوب)، (ذلك) مثل السابق مضاف إليه في محلّ جرّ (على) حرف جرّ (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (يتوب)، (يشاء) مثل يتوب والفاعل هو، (الواو) استئنافية (اللّه) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (غفور) خبر مرفوع (رحيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ تَمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }

-قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: قد تاب الله على بقية هوازن، وأسلموا وقدموا عليه مسلمين، ولحقوه وقد قارب مكة عند الجِعْرَانَة، وذلك بعد الوقعة بقریب من عشرين يوماً، فعند ذلك خيّرهم بين سبيهم وبين أموالهم، فاختاروا سبيهم، وكانوا ستة آلاف أسير ما بين صبي وامرأة، فردّه عليهم، وقسم أموالهم بين الغانمين، ونقل أناساً من الطلقاء ليتألف قلوبهم على الإسلام، فأعطاهم مائة مائة من الإبل، وكان من جملة من أعطي مائة مالك بن عوف النضري، واستعمله على قومه كما كان، فامتدحه بقصيدته التي يقول فيها:

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ... فِي النَّاسِ كُلِّهِمْ بِمِثْلِ مُحَمَّدٍ...

أَوْفَى وَأَعْطَى لِلجَزِيلِ إِذَا اجْتَدَى... وَمَتَى تَشَأْ يُخْبِرْكَ عَمَّا فِي عَدِّ...

وَإِذَا الكَتِيبَةُ عَزَدَتْ أَنْبَاهُ... بِالسَّمْهَرِيِّ وَضَرَبَ كُلَّ مُهَنْدٍ...

فَكَانَهُ لِيْثَ عَلِيٍّ أَشْبَاهَهُ... وَسَطَ الْمِبَاءَةِ خَادِرٍ فِي مَرْصَدِهِ (٤٠٧)

(٤٠٤)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر : مؤسسة الرسالة

(٣٣٢/١)

(٤٠٥)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٠)

(٣١٦/)

(٤٠٦) - ترد (ثم) في الكتاب الكريم ولا يراد منها العطف لاستحالة المعنى وذلك كما جاء في الآية (١٩) من سورة

العنكبوت: أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ... فَإِنَّ (ثم) فيها للاستئناف لا للعطف وذلك لاستحالة رؤيتهم

إعادة الخلق لأنها لم تقع... وفي هذه الآية التي نحن بصدددها فإن عطف التوبة- وهو فعل للمستقبل- على إنزال الجنود

وتعذيب الكافرين- وهو فعل ماضٍ تم وقوعه- إنّ هذا العطف لا ينسجم مع المعنى.

(٤٠٧)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/١٣٠)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى {وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} فقال: أي: ذو مغفرة واسعة، ورحمة عامة، يعفو عن الذنوب العظيمة للتائبين، ويرحمهم بتوفيقهم للتوبة والطاعة، والصفح عن جرائمهم، وقبول توباتهم، فلا يأسنَّ أحد من مغفرته ورحمته، ولو فعل من الذنوب والإجرام ما فعل. اهـ (٤٠٨)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُعِينِكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٨) }

إعراب مفردات الآية (٤٠٩)

(يأيتها الذين آمنوا) مرّ إعرابها «(٤١٠)»، (إنما) كافة ومكفوفة (المشركون) مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الواو (نجس) خبر مرفوع على حذف مضاف أي: ذوو نجس (الفاء) عاطفة لربط المسبب بالسبب «(٤١١)»، (لا) ناهية جازمة (يقربوا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون..

والواو فاعل (المسجد) مفعول به منصوب (الحرام) نعت للمسجد منصوب (بعد) ظرف زمان منصوب متعلق ب (لا يقربوا)، (عام) مضاف إليه مجرور و(هم) ضمير مضاف إليه (ها) حرف تنبيه (ذا) اسم إشارة مبني في محلّ جرّ عطف بيان لعام أو بدل منه (الواو) عاطفة (إن) حرف شرط جازم (خفتم) فعل ماض مبني على السكون في محلّ جزم فعل الشرط... و(تم) ضمير فاعل (عيلة مفعول به منصوب (الفاء) رابطة لجواب الشرط (سوف) حرف استقبال (يعني) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الياء و(كم) ضمير مفعول به (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (من فضل) جارّ ومجرور متعلق ب (يعني)، و(الهاء) ضمير مضاف إليه (إن) مثل الأول (شاء) فعل ماض مبني في محلّ جزم، والفاعل هو (إنّ) حرف مشبّه بالفعل- ناسخ- (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (عليهم) خبر إنّ مرفوع (حكيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُعِينِكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }

(٤٠٨)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٢/١)
(٤٠٩)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٣١٦/١٠)

(٤١٠) - في الآية (٢٣) من هذه السورة.

(٤١١) - أو هي رابطة لجواب شرط مقدر.

- قال السعدي-رحمه الله- في تفسيرها: يقول تعالى: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ } بالله الذين عبدوا معه غيره { جَنَسٌ } أي: خبيثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئاً؟".

وأعمالهم ما بين محاربة لله، وصد عن سبيل الله ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح، فعليكم أن تطهروا أشرف البيوت وأطهرها عنهم.

{ فَلَا يَفْرُقُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } وهو سنة تسع من الهجرة، حين حج بالناس أبو بكر الصديق، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمه علياً، أن يؤذن يوم الحج الأكبر بـ { براءة } فنادى أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

وليس المراد هنا، نجاسة البدن، فإن الكافر كغيره طاهر البدن، بدليل أن الله تعالى أباح وطء الكتابية ومباشرتها، ولم يأمر بغسل ما أصاب منها.

والمسلمون ما زالوا يباشرون أبدان الكفار، ولم ينقل عنهم أنهم تقدروا منها، تقدروهم من النجاسات، وإنما المراد كما تقدم نجاستهم المعنوية، بالشرك، فكما أن التوحيد والإيمان، طهارة، فالشرك نجاسة.

وقوله: { إِنْ حِفْتُمْ } أيها المسلمون { عَيْلَةً } أي: فقرا وحاجة، من منع المشركين من قربان المسجد الحرام، بأن تنقطع الأسباب التي بينكم وبينهم من الأمور الدنيوية، { فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ } فليس الرزق مقصورا على باب واحد، ومحل واحد، بل لا ينعلق باب إلا وفتح غيره أبواب كثيرة، فإن فضل الله واسع، وجوده عظيم، خصوصا لمن ترك شيئا لوجهه الكريم، فإن الله أكرم الأكرمين.

وقد أنجز الله وعده، فإن الله قد أغنى المسلمين من فضله، وبسط لهم من الأرزاق ما كانوا به من أكبر الأغنياء والملوك.

وقوله: { إِنْ شَاءَ } تعليق للإغناء بالمشيئة، لأن الغنى في الدنيا، ليس من لوازم الإيمان، ولا يدل على محبة الله، فهذا علقه الله بالمشيئة.

فإن الله يعطي الدنيا، من يحب، ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان والدين، إلا من يحب.

{ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } أي: علمه واسع، يعلم من يليق به الغنى، ومن لا يليق، ويضع الأشياء مواضعها وينزلها منازلها.

وتدل الآية الكريمة، وهي قوله { فَلَا يَفْرُقُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا } أن المشركين بعد ما كانوا، هم الملوك والرؤساء بالبيت، ثم صار بعد الفتح الحكم لرسول الله والمؤمنين، مع إقامتهم في البيت، ومكة المكرمة، ثم نزلت هذه الآية.

ولما مات النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يجلووا من الحجاز، فلا يبقى فيها دينان، وكل هذا لأجل بُعد كل كافر عن المسجد الحرام، فيدخل في قوله {فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا} . اهـ (٤١٢)

-وزاد البغوي فائدة في تفسيره لقوله تعالى {فلا يقربوا المسجد الحرام} فقال-رحمه الله- ما مختصره: أراد منعهم من دخول الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من المسجد الحرام، وأراد به الحرم وهذا كما قال الله تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام} [الإسراء - ١]، وأراد به الحرم لأنه أسرى به من بيت أم هانئ (٤١٣).

ثم أضاف - رحمه الله -:

وجملة بلاد الإسلام في حق الكفار على ثلاثة أقسام (٤١٤):

أحدها: الحرم، فلا يجوز للكافر أن يدخله بحال، ذمياً كان أو مستأمناً، لظاهر هذه الآية، وإذا جاء رسول من بلاد الكفار إلى الإمام والإمام في الحرم لا يأذن له في دخول الحرم، بل يبعث إليه من يسمع رسالته خارج الحرم. وجوز أهل الكوفة للمعاهد دخول الحرم.

والقسم الثاني من بلاد الإسلام: الحجاز، فيجوز للكافر دخولها بالإذن ولكن لا يقيم فيها أكثر من مقام السفر وهو ثلاثة أيام، لما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لئن عشت إن شاء الله تعالى لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً" (٤١٥). فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأوصى فقال: "أخرجوا المشركين من جزيرة

(٤١٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٣/١)

(٤١٣) - هانئ هي فاختة بنت أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمية القرشية، المشهورة بأم هانئ: أخت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبنت عم النبي صلى الله عليه وسلم اختلف المؤرخون في اسمها: فاختة، أو عاتكة، أو فاطمة، والأشهر الأول. وكنت عنها زوجها هبيرة ابن أبي وهب المخزومي، في أبيات له، ب " هند " وأول الأبيات: أشاقتك " هند " أم ناك سؤالها كذاك النوى أسبابها وانفتالها فسامها بعض مترجميها هندا. أسلمت عام الفتح بمكة، وهرب زوجها إلى بخران، ففرق الإسلام بينهما، فعاشت أيما. وماتت بعد أخيها " علي " . وروت عن النبي صلى الله عليه وسلم ٤٦ حديثاً-الأعلام للزركلي بتصرف (١٢٦/٥)

(٤١٤) - قلت : وسوف نطرح هذه المسألة في فوائد وأحكام السورة أن شاء الله لبيان حكمها بالأدلة الشرعية ونبين

خلاصة المسألة وأقوال علمائنا الثقات سلفاً وخلفاً من أهل السنة والجماعة.

(٤١٥) - انظر صحيح المشكاة (برقم /٤٠٥٣) للألباني.

العرب" (٤١٦) فلم يتفرغ لذلك أبو بكر رضي الله عنه، وأجلاهم عمر رضي الله عنه في خلافته، وأجل لمن يقدم منهم تاجرا ثلاثا. وجزيرة العرب من أقصى عدن أبين إلى ريف العراق في الطول، وأما العرض فمن جدة وما والاها من ساحل البحر إلى أطراف الشام. والقسم الثالث: سائر بلاد الإسلام، يجوز للكافر أن يقيم فيها بدمه وأمان، ولكن لا يدخلون المساجد إلا بإذن مسلم. اهـ (٤١٧)

(٤١٦) - جزء من حديث اخرجاه في الصحيحين عن ابن عباس-رضي الله عنهما- وتمام متنه " قال ابن عباس: يوم الخميس، وما يوم الخميس؟ اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه، فقال: «اتتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه، أهدر استفهموه؟ فذهبوا يردون عليه، فقال: «دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه» وأوصاهم بثلاث، قال: «أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» وسكت عن الثالثة أو قال فنسيتها "

"البخاري (برقم/ ٤٤٣١)- باب مَرَضِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَفَاتِهِ وَاللَّفْظُ لَهُ، ومسلم (برقم/ ١٦٣٧)- باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يوصي فيه.

(٤١٧)-انظر معالم التنزيل للبعوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٣٢/٤)

{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ } (٢٩)

إعراب مفردات الآية (٤١٨)

(قاتلوا) فعل أمر مبني على حذف النون.. والواو فاعل (الذين) موصول مفعول به (لا) نافية، (يؤمنون) مضارع مرفوع. والواو فاعل (باللَّه) جازّ ومجرور متعلّق ب (لا يؤمنون)، (الواو) عاطفة (لا) زائدة لتأكيد النفي (باليوم) جازّ ومجرور متعلّق ب (لا يؤمنون)- معطوف على الجازّ الأول- (الآخر) نعت لليوم مجرور (الواو) عاطفة (لا يحرمون) مثل لا يؤمنون (ما) اسم موصول مبني في محلّ نصب مفعول به (حرم) فعل ماض (اللَّه) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة مرفوع و(الماء) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (لا يدينون) مثل لا يؤمنون (دين) مفعول به منصوب «(٤١٩)»، (الحقّ) مضاف إليه مجرور «(٤٢٠)»، (من) حرف جرّ (الذين) موصول مبني في محلّ جرّ متعلّق بحال من فاعل يدينون (أوتوا) فعل ماض مبني للمجهول... والواو نائب الفاعل (الكتاب) مفعول به منصوب (حتّى) حرف غاية وجرّ (يعطوا) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتّى وعلامة النصب حذف النون.. والواو فاعل (الجزية) مفعول به منصوب، والمفعول الثاني محذوف (عن يد) جازّ ومجرور حال من فاعل يعطوا أي منقادين.

والمصدر المؤوّل (أن يعطوا...) في محلّ جرّ ب (حتّى) متعلّق ب (قاتلوا).

(الواو) حالّية (هم) ضمير منفصل مبني في محلّ رفع مبتدأ (صاغرون) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }

-قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسوله صلى الله عليه وسلم: {قاتلوا}، أيها المؤمنون، القوم {الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر}، يقول: ولا يصدّقون بجنة ولا نار {ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق}، يقول: ولا

(٤١٨)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣١٩/١٠)

(٤١٩) - أو مفعول مطلق بكونه مصدرا.

(٤٢٠) - هذا إذا كان (الحقّ) اسما من أسماء الله، أو على حذف مضاف أي دين أهل الحقّ.

يطيعون الله طاعة الحق، يعني: أنهم لا يطيعون طاعة أهل الإسلام {من الذين أوتوا الكتاب}، وهم اليهود والنصارى.

وكل مطيع ملكاً وذا سلطان، فهو دائئ له. يقال منه: دان فلان لفلان فهو يدين له، ديناً، ثم أضاف - رحمه الله -:

وقوله: {من الذين أوتوا الكتاب}، يعني: الذين أعطوا كتاب الله، وهم أهل التوراة والإنجيل {حتى يعطوا الجزية} و"الجزية": الفعلة من: "جزى فلان فلاناً ما عليه"، إذا قضاه، "يجزيه"، و"الجزية" مثل "القعدة" و"الجلسة".

ومعنى الكلام: حتى يعطوا الخراج عن رقابهم، الذي يبذلونه للمسلمين دفعاً عنها.

وأما قوله: {عن يد}، فإنه يعني: من يده إلى يد من يدفعه إليه.

وكذلك تقول العرب لكل معطٍ قاهرًا له، شيئًا طائعًا له أو كارهًا: "أعطاه عن يده، وعن يد". وذلك نظير قولهم: "كلمته فمًا لقم"، و"لقيته كفةً لكفةً، وكذلك: "أعطيته عن يدٍ ليد". اهـ (٤٢١)

-وأضاف ابن كثير - رحمه الله في بيان تفسير قوله تعالى: {وهم صاغرون} ما مختصره: أي: ذليلون حقيرون مهانون. فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة ولا رفعهم على المسلمين، بل هم أذلاء صغرة أشقياء، كما جاء في صحيح مسلم، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه" (٤٢٢). اهـ (٤٢٣)

(٤٢١) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٦١٥) (١٩٧/١٤/)

(٤٢٢) - صحح الألباني إسناده في صحيح الجامع (برقم/ ٧٢٠٤) وهو في الصحيحة (برقم/ ٧٠٤)، والإرواء (برقم/ ١٢٧١)

(٤٢٣) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٣٣/٤)

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) }
إعراب مفردات الآية (٤٢٤)

(الواو) استئنافية (قالت) فعل ماضٍ... و(التاء) للتأنيث (اليهود) فاعل مرفوع (عزيز) مبتدأ مرفوع «(٤٢٥)» (ابن) خبر مرفوع (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (قالت) النصارى... اللّه) مثل نظيرها المتقدمة (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ.. و(اللام) للبعد و(الكاف) للخطاب (قول) خبر مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (بأفواه) جازّ ومجرور متعلّق بحال من قول عامله الإشارة و(هم) مثل الأخير (يضاهئون) مضارع مرفوع... والواو فاعل (قول) مفعول به منصوب (الذين) موصول مضاف إليه في محلّ جرّ (كفروا) فعل ماضٍ وفاعله (من) حرف جرّ (قبل) اسم مبنيّ على الضمّ في محلّ جرّ متعلّق ب (كفروا)، (قاتل) فعل ماضٍ و(هم) ضمير مفعول به (اللّه) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (أنّي) اسم استفهام في محلّ نصب حال «(٤٢٦)»، (يؤفكون) مضارع مرفوع مبنيّ للمجهول.. والواو نائب الفاعل.

روائع البيان والتفسير

{ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه إجمالاً: لما أمر تعالى بقتال أهل الكتاب، ذكر من أقوالهم الخبيثة، ما يهيج المؤمنين الذين يغارون لربهم ولدينه على قتالهم، والاجتهاد وبذل الوسع فيه فقال: { وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ } وهذه المقالة وإن لم تكن مقالة لعامتهم فقد قالها فرقة منهم، فيدل ذلك على أن في اليهود من الخبيث والشر ما أوصلهم إلى أن قالوا هذه المقالة التي تجرأوا فيها على الله، وتنقصوا عظمته وجلاله.

وقد قيل: إن سبب ادعائهم في {عزير} أنه ابن الله، أنه لما سلط الله الملوك على بني إسرائيل، ومزقوهم كل ممزق، وقتلوا حملة التوراة، وجدوا عزيراً بعد ذلك حافظاً لها أو لأكثرها، فأملأها عليهم من حفظه، واستنسخوها، فادعوا فيه هذه الدعوى الشنيعة.

(٤٢٤)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)
٣٢١/١٠

(٤٢٥) - جاء عزيز منونا لأن (ابن) خبره، وثبتت الألف فيه.

(٤٢٦) - أو هو ظرف متعلّق بمحذوف حال.

{ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ { عيسى ابن مريم { ابْنُ اللَّهِ { قال الله تعالى { ذَلِكَ { القول الذي قالوه { قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ { لم يقيموا عليه حجة ولا برهانا.

ومن كان لا يبالي بما يقول، لا يستغرب عليه أي قول يقوله، فإنه لا دين ولا عقل، يحجزه، عما يريد من الكلام. اهـ (٤٢٧)

-وذكر ابن كثير- رحمه الله- فائدة جلييلة في سياق تفسيره للآية قال ما مختصره وبتصرف يسير: وهذا إغراء من الله تعالى للمؤمنين على قتال المشركين الكفار من اليهود والنصارى، لمقاتلتهم هذه المقالة الشنيعة، والفريضة على الله تعالى، فأما اليهود فقالوا في العزير: "إنه ابن الله"، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ثم أضاف- رحمه الله- بعد كلام: وأما ضلال النصارى في المسيح فظاهر؛ ثم بين- رحمه الله- تفسيره لقوله تعالى: { ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ { فقال:

ولهذا كذب الله سبحانه الطائفتين فقال: { ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ { أي: لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افتراءهم واختلاقهم، { يضاهئون { أي: يشابهون { قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ { أي: من قبلهم من الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء، { قَاتَلَهُمُ اللَّهُ { وقال ابن عباس: لعنهم الله، { أَنَّى يُؤْفَكُونَ {؟ أي: كيف يضلون عن الحق، وهو ظاهر، ويعدلون إلى الباطل؟. اهـ (٤٢٨)

{ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣١) {

إعراب مفردات الآية (٤٢٩)

(اتَّخَذُوا) فعل ماضٍ وفاعله (أحبار) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (رهبان) معطوف على أحبار منصوب و(هم) مثل الأول (أربابا) مفعول به ثانٍ منصوب (من دون) جارٌّ ومجرور متعلق بنعت ل (أربابا)، (اللَّهِ) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (المسيح) معطوف على أحبار منصوب «(٤٣٠)»، (ابن) نعت للمسيح منصوب (مريم) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة فهو ممنوع من الصرف (الواو) حالية (أمروا) فعل ماضٍ مبني للمجهول مبني على الضمّ.. والواو نائب

(٤٢٧)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة) ٣٣٤/١

(٤٢٨)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/١٣٤)

(٤٢٩)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) ٣٢٤/١٠

(٤٣٠) - أو هو مفعول به لفعل محذوف (اتَّخَذُوا)، والمفعول الثاني محذوف تقديره ربًا.

الفاعل (إلا) أداة حصر (اللام) للتعليل (يعبدوا) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام.. والواو فاعل (إلها) مفعول به منصوب (واحدا) نعت ل (إلها) منصوب (لا) نافية للجنس (إله) اسم لا مبني على الفتح في محل نصب (إلا) أداة استثناء (هو) ضمير منفصل مبني في محل رفع بدل من الضمير المستكن في الخبر المحذوف وتقديره موجود «(٤٣١)»

، (سبحان) مفعول مطلق لفعل محذوف تقديره سبّح و(الهاء) ضمير مضاف إليه (عن) حرف جرّ و(ما) حرف مصدريّ (يشركون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل.
والمصدر المؤول (ما يشركون) في محلّ جرّ متعلّق بالمصدر سبحان.

روائع البيان والتفسير

{ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله - في تفسيرها ما مختصره وبتصرف يسير: { اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ } وهم علماؤهم { وَرُهْبَانَهُمْ } أي: العبّاد المتجردين للعبادة.

{ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } يُحْلُونَ لهم ما حرم الله فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها.
وكانوا أيضا يغفلون في مشايخهم وعبادهم ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثانا تعبد من دون الله، وتقصد بالذبايح، والدعاء والاستغاثة.

{ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } اتخذهوا إلها من دون الله، والحال أنهم خالفوا في ذلك أمر الله لهم على ألسنة رسله فما { أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } فيخلصون له العبادة والطاعة، ويخصونه بالحبّة والدعاء، فبنذوا أمر الله وأشركوا به ما لم ينزل به سلطانا.

{ سُبْحَانَهُ } وتعالى { عَمَّا يُشْرِكُونَ } أي: تنزهه وتقدس، وتعالى عظمته عن شركهم وافترائهم، فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويصفونه بما لا يليق بجلاله، والله تعالى العالي في أوصافه وأفعاله عن كل ما نسب إليه، مما ينافي كماله المقدس. اهـ (٤٣٢)

{ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } (٣٢)

(٤٣١) - أو بدل من محلّ (لا واسمها)، فهو مرفوع على الابتداء.

(٤٣٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٤/١)

إعراب مفردات الآية (٤٣٣)

(يريدون) مثل يشركون «(٤٣٤)»، (أن) حرف مصدريّ ونصب (يطفئوا) مثل يعبدوا «(٤٣٥)»، (نور) مفعول به منصوب (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (بأفواههم) جازّ ومجرور متعلّق ب (يطفئوا)... و(هم) مضاف إليه (الواو) عاطفة (يأبى) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الألف (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (إلاّ) أداة حصر «(٤٣٦)» (أن) مثل الأول (يتمّ) مضارع منصوب، والفاعل هو (نور) مفعول به منصوب و(الهاء) مضاف إليه. والمصدر المؤوّل (أن يتمّ...) في محلّ نصب مفعول به لفعل يأبى.

(الواو) حالّية (لو) حرف شرط غير جازم (كره) فعل ماض (الكافرون) فعل مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }

-قال ابن كثير-رحمه الله في تفسيرها ما مختصره: يقول تعالى: يريد هؤلاء الكفار من المشركين وأهل الكتاب { أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ } أي: ما بعث به رسوله من الهدى ودين الحق، بمجرد جدالهم وافتراءهم، فمثلهم في ذلك كمثل من يريد أن يطفى شعاع الشمس، أو نور القمر بنفخه، وهذا لا سبيل إليه، فكذلك ما أرسل الله به رسوله لا بد أن يتم ويظهر؛ ولهذا قال تعالى مقابلاً لهم فيما راموه وأرادوه: { وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ }

والكافر: هو الذي يستر الشيء ويغطيه، ومنه سمي الليل "كافراً"؛ لأنه يستر الأشياء، والزارع كافراً؛ لأنه يغطي الحب في الأرض كما قال: { أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ } [الحديد: ٢٠]. اهـ (٤٣٧)

-وأضاف السعدي-رحمه الله- في تفسيرها: فلما تبين أنه لا حجة لهم على ما قالوه، ولا برهان لما أصّلوه، وإنما هو مجرد قول قالوه وافتراء افتروه أخبر أنهم { يُرِيدُونَ } بهذا { أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ }

(٤٣٣)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

٣٢٥/١٠

(٤٣٤) - في الآية السابقة (٣١).

(٤٣٥) - في الآية السابقة (٣١).

(٤٣٦) - الذي سوّج مجيء الاستثناء المفرغ من الموجب أن (يأبى) فيه معنى النفي أي: لا يريد.

(٤٣٧)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/١٣٦)

ونور الله: دينه الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب، وسماه الله نورا، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل والأديان الباطلة، فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، وما عداه فإنه بضده، فهؤلاء اليهود والنصارى ومن ضاهوه من المشركين، يريدون أن يطفئوا نور الله بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلا.

{ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ } لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كل من يريد به سوء، ولهذا قال: { وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ } وسعوا ما أمكنهم في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئا. اهـ (٤٣٨)

{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (٣٣) }

إعراب مفردات الآية (٤٣٩)

(هو) ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ (الذي) اسم موصول مبني في محل رفع خبر (أرسل) فعل ماض، والفاعل هو (رسول) مفعول به منصوب و(الهاء) ضمير مضاف إليه (بالهدى) جارّ ومجرور متعلّق ب (أرسل) «(٤٤٠)» (الواو) عاطفة (دين) معطوف على الهدى مجرور مثله (الحقّ) مضاف إليه مجرور (اللام) تعليلية (يظهر) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام، والفاعل هو و(الهاء) ضمير مفعول به (على الدين) جارّ ومجرور متعلّق ب (يظهر)، (كلّ) توكيد للدين مجرور مثله و(الهاء) مضاف إليه (ولو كره المشركون) مثل كره الكافرون «(٤٤١)».

والمصدر المؤوّل (أن يظهره...) في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (أرسل).

روائع البيان والتفسير

{ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه:

ثم بين تعالى هذا النور الذي قد تكفل بإتمامه وحفظه فقال: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ } الذي هو العلم النافع { وَدِينِ الْحَقِّ } الذي هو العمل الصالح فكان ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم مشتملا على بيان الحق من الباطل في أسماء الله وأوصافه وأفعاله، وفي أحكامه وأخباره، والأمر بكل

(٤٣٨)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٥/١)

(٤٣٩)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣٢٧/١٠)

(٤٤٠) - أو بمحذوف حال من رسول أي ملتبسا بالهدى.

(٤٤١) - في الآية السابقة (٣٢).

مصلحة نافعة للقلوب، والأرواح والأبدان من إخلاص الدين لله وحده، ومحبة الله وعبادته، والأمر بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، والأعمال الصالحة والآداب النافعة، والنهي عن كل ما يصاد ذلك ويناقضه من الأخلاق والأعمال السيئة المضرة للقلوب والأبدان والدنيا والآخرة. اهـ (٤٤٢)

- وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره وبتصرف:

قال تعالى: { هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ } فالهدى: هو ما جاء به من الإخبارات الصادقة، والإيمان الصحيح، والعلم النافع - ودين الحق: هي الأعمال الصالحة الصحيحة النافعة في الدنيا والآخرة.

{ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ } أي: على سائر الأديان، كما ثبت في الصحيح، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إن الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمي ما زوي لي منها" (٤٤٣) وقال الإمام أحمد: عن تميم الداري، رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله هذا الدين، بعز عزيز، أو بذل ذليل، عزا يعز الله به الإسلام، وذلا يذل الله به الكفر" (٤٤٤)، فكان تميم الداري يقول: قد عرفت ذلك في أهل بيتي، لقد أصاب من أسلم منهم الخير والشرف والعز، ولقد أصاب من كان منهم كافرا الذل والصغار والجزية

ثم قال- رحمه الله- بعد كلام: وقال مسلم: عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى". فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله، عز وجل: { هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق } إلى قوله: { ولو كره المشركون } أن ذلك تام، قال: "إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، عز وجل، ثم يبعث الله رجلا طيبة فيتوفى

(٤٤٢)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١/ ٣٣٥)

(٤٤٣) - أخرجه مسلم من حديث ثوبان- رضي الله عنه- (برقم/ ٢٨٨٩) - باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض وتام متنه "قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله زوى لي الأرض، فأريت مشارقها ومغاربها، وإن أمي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها، وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها - أو قال من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضا، ويسبي بعضهم بعضا "

(٤٤٤) - أخرجه أحمد (٤/ ١٠٣) والطبراني في «المعجم الكبير» (١/ ١٢٦) وابن حبان في " صحيحه " (١٦٣١ و ١٦٣٢)، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (رقم/ ٣) للألباني.

"كل من كان في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان" (٤٤٥) فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم. اهـ (٤٤٦)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) }

إعراب مفردات الآية (٤٤٧)

(يأيتها الذين آمنوا) مرّ إعرابها «(٤٤٨)»، (انّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (كثيرا) اسم إنّ منصوب (من الأحبار) جارّ ومجرور متعلّق بنعت ل (كثيرا)، (الواو) عاطفة (الرهبان) معطوف على الأحبار مجرور (اللام) المرحلقة للتوكيد (يأكلون) مضارع مرفوع... والواو فاعل (أموال) مفعول به منصوب (الناس) مضاف إليه مجرور (بالباطل) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من فاعل يأكلون أو من مفعوله أي متلبّسين أو متلبّس بالباطل (الواو) عاطفة (يصدّون) مثل يأكلون (عن سبيل) جارّ ومجرور متعلّق ب (يصدّون)، (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بحذف مضاف أي سبيل دين الله (الواو) عاطفة (الذين) موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (يكتنون) مثل يأكلون (الذهب) مفعول به منصوب (الفضّة) معطوف بالواو على الذهب منصوب مثله (الواو) عاطفة (لا) نافية (ينفقون) مثل يأكلون و(ها) ضمير مفعول به «(٤٤٩)» (في سبيل الله) مثل عن سبيل الله متعلّق ب (ينفقون)، (الفاء) زائدة لمشابهة الموصول للشرط (بشّر) فعل أمر، والفاعل أنت و(هم) ضمير مفعول به (بعذاب) جارّ ومجرور متعلّق ب (بشّر)، (أليم) نعت لعذاب مجرور.

روائع البيان والتفسير

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

(٤٤٥) - أخرجه مسلم (برقم/ ٢٩٠٧) - باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة

(٤٤٦) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ١٣٦)

(٤٤٧) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٣٢٨/١٠)

(٤٤٨) - في الآية (٢٣).

(٤٤٩) - الضمير يعود على الكنوز من قوله (يكتنونها) أو على أنواع الذهب والفضّة، أو على الفضّة كرمز للأموال... إلخ.

البخاري(ج ٤ / ص ١٥) عن زيد بن وهب قال: مررت بالريذة فإذا أنا بأبي ذر فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في {وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} قال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم فكان بيني وبينه في ذلك وكتب إلى عثمان يشكوني، فكتب إليَّ عثمان أن اقدم المدينة، فقدمتها فكثر علي الناس حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان، فقال لي: إن شئت تنحيت فكنت قريبا، فذاك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمروا علي حبشيا لسمعت وأطعت. اهـ (٤٥٠)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ }
- قال البغوي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: قوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إن كثيرا من الأحبار والرهبان} يعني، العلماء والقراء من أهل الكتاب، {ليأكلون أموال الناس بالباطل} يريد: ليأخذون الرشا في أحكامهم، ويحرفون كتاب الله، ويكتبون بأيديهم كتباً يقولون: هذه من عند الله، ويأخذون بها ثمنا قليلا من سفلتهم، وهي المآكل التي يصيبونها منهم على تغيير نعت النبي صلى الله عليه وسلم، يخافون لو صدقوهم لذهبت عنهم تلك المآكل، {ويصدون} ويصرفون الناس، {عن سبيل الله} دين الله عز وجل. اهـ (٤٥١)

- وذكر ابن كثير- رحمه الله- فائدة جلية في تفسيره للآية فقال ما مختصره: والمقصود: التحذير من علماء السوء وعباد الضلال كما قال سفيان بن عيينة(٤٥٢): من فسد من علمائنا كان فيه شبهة من اليهود،

(٤٥٠) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي- رحمه الله- في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص/ ١٠٧) ما نصه: الحديث أعاده البخاري في كتاب التفسير ج ٩ ص ٣٩٣ وأخرجه الواحدي في أسباب النزول والطبري ج ١٠ ص ١٢٢ وابن أبي حاتم ج ٤ ص ٤٥.

(٤٥١)- انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٤١)

(٤٥٢) - سفيان بن عيينة ابن أبي عمران ويكنى أبا محمد. مولى لبني عبد الله بن ربيعة من بن هلال بن عامر بن صعصعة. قال: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرني سفيان بن عيينة أنه ولد سنة سبع ومائة. وكان أصله من أهل الكوفة. وكان أبوه من عمال خالد بن عبد الله القسري.

فلما عزل خالد عن العراق وولي يوسف بن عمر الثقفي طلب عمال خالد فهربوا منه فلحق عيينة بن أبي عمران بمكة فنزلها.

توفي في السنة الداخلة يوم السبت أول يوم من رجب سنة ثمان وتسعين ومائة. ودفن بالحجون. وكان ثقة ثبتا كثير الحديث حجة. وتوفي وهو ابن إحدى وتسعين سنة. -الطبقات الكبرى- لابن سعد مختصراً وبتصرف (١٦٤٢)

ومن فسد من عبادنا كان فيه شبه من النصارى. وفي الحديث الصحيح: "التركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة". قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: "فمن؟" (٤٥٣).

والحاصل التحذير من التشبه بهم في أحوالهم وأقوالهم؛ ولهذا قال تعالى: {ليأكلون أموال الناس بالباطل} وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس، يأكلون أموالهم بذلك، كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف، ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تجيء إليهم، فلما بعث الله رسوله، صلوات الله وسلامه عليه استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم، طمعا منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات، فأطفأها الله بنور النبوة، وسلبهم إياها، وعوضهم بالذلة والمسكنة، وباءوا بغضب من الله. اهـ (٤٥٤)

{وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ}

-قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره وبتصرف: يقول تعالى ذكره: {إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل}، ويأكلها أيضًا معهم {الذين يكتنون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم}، يقول: بشر الكثير من الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، والذين يكتنون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله، بعذاب أليم لهم يوم القيامة، مُوجع من الله.

واختلف أهل العلم في معنى "الكنز" فقال بعضهم: هو كل مال وجبت فيه الزكاة، فلم تؤدَّ زكاته. قالوا: وعنى بقوله: {ولا ينفقونها في سبيل الله}، ولا يؤدُّون زكاتها.

وذكر- رحمه الله - ممن قال بذلك: كابن عمر- رضي الله عنه- والسدي- رحمه الله -

ثم قال: وقال آخرون: كل مال زاد على أربعة آلاف درهم فهو كنز أدت منه الزكاة أو لم تؤدَّ.

وذكر ممن قال بذلك: كعلي بن أبي طالب- رضي الله عنه-.

ثم أضاف: وقال آخرون: "الكنز" كل ما فضل من المال عن حاجة صاحبه إليه.

وذكر ممن قال بذلك: كثوبان- رضي الله عنه- ثم ذكر كعادته القول الراجح عنده فقال:

وأولى الأقوال في ذلك بالصحة، القول الذي ذكر عن ابن عمر: من أن كل مالٍ أدت زكاته فليس بكنز يجرم على صاحبه اكتنازه وإن أكثر وأن كل مالٍ لم تؤدَّ زكاته فصاحبه مُعاقب مستحق وعيد الله، إلا أن يتفضل الله عليه بعفوه وإن قلَّ، إذا كان مما يجب فيه الزكاة.

(٤٥٣) - انظر صحيح الجامع للألباني (برقم/ ٥٠٦٣ - ١٦٠٨)

(٤٥٤) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٣٨/٤)

وذلك أن الله أوجب في خمس أواقٍ من الورق على لسان رسوله رُبع عُشرها، وفي عشرين مثقالاً من الذهب مثل ذلك، رُبع عشرها. فإذا كان ذلك فرضَ الله في الذهب والفضة على لسان رسوله، فمعلومٌ أن الكثير من المال وإن بلغ في الكثرة ألوفَ ألوفٍ، لو كان وإن أدّيت زكاته من الكنوز التي أوعَدَ الله أهلها عليها العقاب، لم يكن فيه الزكاة التي ذكرنا من رُبع العُشر. لأن ما كان فرضاً إخراج جميعه من المال، وحرماً اتخذه، فزكاته الخروج من جميعه إلى أهله، لا رُبع عُشره. وذلك مثلُ المال المغصوب الذي هو حرامٌ على الغاصب إمساكه، وفرضٌ عليه إخراجهِ من يده إلى يده، التطهر منه: رُدُّه إلى صاحبه. فلو كان ما زاد من المال على أربعة آلاف درهم، أو ما فضل عن حاجة ربه التي لا بد منها، مما يستحق صاحبه باقتنائه إذا أدى إلى أهل السُّهْمَانِ حقوقهم منها من الصدقة وعيد الله، لم يكن اللازمُ ربه فيه رُبع عشره، بل كان اللازم له الخروج من جميعه إلى أهله، وصرفه فيما يجب عليه صرفه، كالذي ذكرنا من أن الواجب على غاصبٍ رجلٍ ماله، رُدُّه على ربه. اهـ (٤٥٥)

-وزاد الشنقيطي- رحمه الله -بيانا شافيا في تفسيره " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن " فقال ما مختصره وبتصرف:

قوله تعالى: {والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله} أظهر الأقوال وأقربها للصواب في معنى: {يكنزون} في هذه الآية الكريمة، أن المراد بكنزهم الذهب والفضة وعدم إنفاقهم لها في سبيل الله، أنهم لا يؤدون زكاتها. اهـ (٤٥٦)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله - في تفسيره لهذه الآية فقال: وأما الكنز؟ فقال مالك: عن عبد الله بن دينار (٤٥٧)، عن ابن عمر: هو المال الذي لا تؤدى زكاته.

وروى الثوري، وغيره، عن عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان تحت سبع أرضين، وما كان ظاهرا لا تؤدى زكاته فهو كنز، وقد روي هذا عن ابن عباس، وجابر، وأبي هريرة، موقوفا ومرفوعا.

(٤٥٥)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٦٤٨) / ١٤ / ٢١٧)

(٤٥٦) - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان (١١٦/٢)

(٤٥٧) - عبد الله بن دينار مولى عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي المدني سمع ابن عمر وسليمان بن يسار وأبا صالح السمان روى عنه مالك وسليمان بن بلال وابنه عبد الرحمن في العلم وغير موضع قال عمرو بن علي مات سنة سبع وعشرين ومائة وقال محمد بن سعد قال الهيثم مثله- الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد للكلاباذي (٥٧٢)

وقال عمر بن الخطاب نحوه: أيما مال أدت زكاته فليس بكنز وإن كان مدفوناً في الأرض، وأيما مال لم تؤد زكاته فهو كنز يَكُوى به صاحبه، وإن كان على وجه الأرض
 وممن روي عنه هذا القول عكرمة، والسدي، ولا شك أن هذا القول أصوب الأقوال؛ لأن من أدى الحق الواجب في المال الذي هو الزكاة لا يَكُوى بالباقي إذا أمسكه؛ لأن الزكاة تطهره كما قال تعالى: خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها، ولأن الموارث ما جعلت إلا في أموال تبقى بعد مالكيها.
 ومن أصرح الأدلة في ذلك، حديث طلحة بن عبيد الله وغيره في قصة الأعرابي أخي بني سعد، من هوازن، وهو ضمام بن ثعلبة (٤٥٨) لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم: بأن الله فرض عليه الزكاة، وقال: هل علي غيرها، فإن النبي قال له: «لا، إلا أن تطوع» (٤٥٩): وقوله تعالى: {ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو} [٢ \ ٢١٩]

(٤٥٨) - ضمام بن ثعلبة السعدي من بني سعد بن بكر. وقع ذكره في حديث أنس في الصحيحين، قال: بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي، فقال: أيكم ابن عبد المطلب... الحديث. وفيه: أنه أسلم، وقال: أنا رسول من ورائي من قومي، وأنا ضمام بن ثعلبة.
 وكان عمر بن الخطاب يقول: ما رأيت أحدا أحسن مسألة، ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة.
 قال البغوي: كان يسكن الكوفة. وروى ابن مندة وأبو سعيد النيسابوري من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار، عن أبيه، عن ابن عمر، عن رجل من بني تميم يقال له ضمام بن ثعلبة... فذكر نحوه وقوله من بني تميم وهم وزعم الواقدي أن قدومه كان في سنة خمس، وفيه نظر. وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة أن قدومه كان سنة تسع. وهذا عندي أرجح. - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني محضراً وبتصرف (٤١٩٨)

(٤٥٩) - أخرجه في الصحيحين البخاري (برقم/٤٦) - باب: الزكاة من الإسلام، ومسلم (برقم/١١) - باب بيان الصلوات التي هي أحد أركان الإسلام وتمام المتن "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد نجر الثائر الرأس، نسمع دوي صوته، ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس صلوات في اليوم، والليلة» فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع، وصيام شهر رمضان»، فقال: هل علي غيره؟ فقال: «لا، إلا أن تطوع»، وذكر له رسول الله صلى الله عليه وسلم الزكاة، فقال: هل علي غيرها؟ قال: «لا، إلا أن تطوع»، قال: فأدبر الرجل، وهو يقول: والله، لا أزيد على هذا، ولا أنقص منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفلح إن صدق» واللفظ لمسلم.

ثم قال -رحمه الله-: وقوله: «ليس فيما دون خمسة أوسق» (٤٦٠) الحديث؛ لأن صدقة نكرة في سياق النفي فهي تعم نفي كل صدقة.

وفي الآية أقوال أخرى: منها: أنها منسوخة بآيات الزكاة كقوله: {خذ من أموالهم صدقة تطهرهم} الآية. وذكر البخاري هذا القول بالنسخ عن ابن عمر أيضا، وبه قال عمر بن عبد العزيز، وعراك بن مالك. (٤٦١) هـ (٤٦٢)

{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ (٣٥)}

إعراب مفردات الآية (٤٦٣)

(يوم) ظرف زمان منصوب متعلق بمحذوف يدلّ عليه عذاب- في الآية السابقة- أي يعذبون يوم... «(٤٦٤)» (يحمى) مضارع مبني للمجهول مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو أي الوقود «(٤٦٥)» (على) حرف جرّ و(ها) ضمير في محلّ جرّ متعلق ب (يحمى)، (في نار) جارّ ومجرور متعلق ب (يحمى)، (جهنّم) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (الفاء) عاطفة (تكوى) مثل يحمى (بها) مثل عليها متعلق ب (تكوى)، (جباه) نائب الفاعل مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة في الموضعين (جنوبهم، ظهورهم) اسمان معطوفان بحرفي العطف على

(٤٦٠) - أخرجه البخاري من حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- (برقم/ ١٤٤٧) - باب زكاة الورق وتماث منته" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس فيما دون خمس ذود صدقة من الإبل، وليس فيما دون خمس أواق صدقة، وليس فيما دون خمسة أوسق صدقة»

(٤٦١) - عراك بن مالك الغفاري المدني أحد العلماء العاملين روى عن: أبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وزينب بنت أبي سلمة، وعن عائشة، فقيل: لم يسمع منها.

حدث عنه: ولده؛ خثيم، ويزيد بن أبي حبيب، وبكير بن الأشج، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وجعفر بن ربيعة، وعدة. وثقه: أبو حاتم، وغيره وكان يسرد الصوم وقال عمر بن عبد العزيز: ما أعلم أحدا أكثر صلاة من عراك بن مالك. حديثه في الكتب كلها، وليس هو بالكثير الرواية، لعله توفي: في سنة أربع ومائة، أو قبلها. -سير أعلام النبلاء للذهبي مختصراً(٦٤/٥)

(٤٦٢) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(١٣٨/٤)

(٤٦٣)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٣٣٠/١٠)

(٤٦٤) - يجوز أن يتعلّق ب (أليم) بمعنى مؤلم- في الآية السابقة.-

(٤٦٥) - هذا إذا كان مضارعا للرباعيّ أحمي، وإذا كان مضارعا للثلاثيّ حمي كان الجارّ (عليها) هو نائب الفاعل.

جباههم.. مضافان إلى ضمير الغائب و(هم)، (ها) حرف تنبيه (ذا) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع خبر (كنتم) فعل ماض مبنيّ على السكون. و(تم) ضمير فاعل (لأنفس) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف حال من فاعل كنتم أو مفعوله (الفاء) لربط جواب شرط مقدّر (ذوقوا) فعل أمر مبنيّ على حذف النون.. والواو فاعل (ما) موصول مفعول به على حذف مضاف أي جزء ما كنتم... (كنتم) فعل ماض ناقص... و(تم) اسم كان (تكنون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتْكُوى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَبُونَ }

-قال السعدي-رحمه الله- في بيانها ما نصه ويتصرف يسير: {يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا} أي: على أموالهم، {في نَارِ جَهَنَّمَ} فيحمر كل دينار أو درهم على حدته.

{فُتْكُوى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ} في يوم القيامة كلما بردت أعيدت في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ويقال لهم توبيخا ولو ما: {هَذَا مَا كُنْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْتَبُونَ} فما ظلمكم ولكنكم ظلمتم أنفسكم وعذبتموها بهذا الكنز.

وذكر الله في هاتين الآيتين (٤٦٦)، انحراف الإنسان في ماله، وذلك بأحد أمرين:

إما أن ينفقه في الباطل الذي لا يجدي عليه نفعاً، بل لا يناله منه إلا الضرر المحض، وذلك كإخراج الأموال في المعاصي والشهوات التي لا تعين على طاعة الله، وإخراجها للصد عن سبيل الله.

وإما أن يمسك ماله عن إخراجها في الواجبات، و "النهي عن الشيء، أمر بضده". اهـ (٤٦٧)

(٤٦٦) - قصد المصنف هذه الآية والتي قبلها لارتباطهما الوثيق بالترهيب من كنز الأموال وعدم إخراج الزكاة المفروضة.

(٤٦٧) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٥/١)

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (٣٦)}

إعراب مفردات الآية (٤٦٨)

(إِنَّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (عدّة) اسم إنّ منصوب (الشهور) مضاف إليه مجرور (عند) ظرف منصوب متعلّق بعدّة، فهو مصدر، (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (اثنا) خبر إنّ مرفوع وعلامة الرفع الألف لأنه ملحق بالمتنّى (عشر) لفظ عدديّ مبنيّ على الفتح لا محلّ له (شهرًا) تمييز منصوب (في كتاب) جارّ ومجرور نعت ل (اثنا عشر)، (اللّه) مثل الأول (يوم) ظرف زمان منصوب متعلّق بما تعلّق به الجارّ (في كتاب) «(٤٦٩)» من معنى الاستقرار (خلق) فعل ماضٍ، والفاعل هو (السموات) مفعول به منصوب وعلامة النصب الكسرة (الواو) عاطفة (الأرض) معطوف على السموات منصوب (من) حرف جرّ و (ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم (أربعة) مبتدأ مؤخّر مرفوع (حرم) نعت لأربعة مرفوع (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ..

واللام للبعد و(الكاف) للخطاب والإشارة إلى التحريم (الدين) خبر المبتدأ مرفوع (القيّم) نعت للدين مرفوع (الفاء) استئنافية «(٤٧٠)». (لا) ناهية جازمة (تظلموا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون.. والواو فاعل (في) حرف جرّ و(هنّ) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (تظلموا)، (أنفس) مفعول به منصوب و(كم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (قاتلوا) فعل أمر مبنيّ على حذف النون.. والواو فاعل (المشركين) مفعول به منصوب وعلامة النصب الياء (كافّة) حال من ضمير الفاعل أو من المشركين، منصوبة (الكاف) حرف جرّ (ما) حرف مصدرّيّ (يقاتلون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل و(كم) في محلّ نصب مفعول به (كافّة) مثل الأول (الواو) عاطفة (اعلموا) مثل قاتلوا (أَنَّ اللَّهَ) مثل إنّ عدّة (مع) ظرف منصوب متعلّق بمحذوف خبر أنّ (المتّقين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.

(٤٦٨)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣٣٣/١٠)

(٤٦٩) - أو متعلّق بالكتاب إن جعل مصدرا ... أو متعلّق بفعل محذوف تقديره كتب ذلك يوم خلق ..

(٤٧٠) - أو رابطة لجواب شرط مقدّر أي إن كنتم فيهنّ فلا تظلموا ..

روائع البيان والتفسير

{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}

-قال ابن كثير- رحمه الله- في بيانها ما مختصره وبتصرف: قال الإمام أحمد: عن أبي بكر (٤٧١)، أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجته، فقال: "ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان". ثم قال: "أي يوم هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس يوم النحر؟" قلنا: بلى. ثم قال: "أي شهر هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليس ذا الحجة؟" قلنا: بلى. ثم قال: "أي بلد هذا؟" قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: "أليست البلدة؟" قلنا: بلى. قال: "فإن دماءكم وأموالكم -قال: وأحسبه قال: وأعراضكم -عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا لا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت؟ ألا ليلغ الشاهد الغائب منكم، فلعل من يبلغه يكون أوعى له من بعض من يسمعه (٤٧٢)".

ثم قال - رحمه الله - بعد بيان أدلة أخرى عن حرمة هذه الشهور:

وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض"، تقرير منه، صلوات الله وسلامه عليه، وتثبيت للأمر على ما جعله الله تعالى في أول الأمر من غير تقديم ولا تأخير، ولا زيادة ولا نقص، ولا نسيء ولا تبديل، كما قال في تحريم مكة: "إن هذا البلد حرمه الله يوم

(٤٧١) - أبو بكر الثقفي، اسمه نفع بن مسروح. وقيل: نفع بن الحارث ابن كلدة بن عمرو بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزى بن عبدة بن عوف بن قسي، وهو ثقيف. ، وكان أبو بكر يقول: أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويأبى أن ينتسب، وكان مثل النصل من العبادة، حتى مات. قيل: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كناه بأبي بكر، لأنه تعلق ببكرة من حصن الطائف، فنزل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان أولاده أشرافا بالبصرة بالولايات والعلم، وله عقب كثير.

وتوفي أبو بكر بالبصرة سنة إحدى، وقيل: سنة اثنين وخمسين، وأوصى أن يصلي عليه أبو برزة الأسلمي، فصلى عليه. قال الحسن البصري: لم ينزل البصرة من الصحابة ممن سكنها أفضل من عمران بن حصين وأبي بكر. - الاستيعاب في معرفة الأصحاب لعبد البر مختصراً (٢٨٧٧)

(٤٧٢) - أخرجه في الصحيحين البخاري (برقم/ ٤٤٠٦) - باب حجة الوداع، ومسلم (برقم/ ١٦٧٩) - باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال

خلق السموات والأرض، فهو حرام بجرمة الله إلى يوم القيامة" وهكذا قال هاهنا: "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض" أي: الأمر اليوم شرعا كما ابتداء الله ذلك في كتابه يوم خلق السموات والأرض.

ثم أضاف -رحمه الله- بعد كلام:

ذكر الشيخ علم الدين السخاوي (٤٧٣) في جزء جمعه سماه "المشهور في أسماء الأيام والشهور": أن المحرم سمي بذلك لكونه شهرا محرما، وعندني أنه سمي بذلك تأكيدا لتحريمه؛ لأن العرب كانت تتقلب به، فتحله عاما وتحرمه عاما، قال: ويجمع على محرمات، ومحارم، ومحاريم.

صفر: سمي بذلك لخلو بيوتهم منه، حين يخرجون للقتال والأسفار، يقال: "صفر المكان": إذا خلا ويجمع على أصفار كجمل وأجمال.

شهر ربيع أول: سمي بذلك لارتباعتهم فيه. والارتباع الإقامة في عمارة الربيع، ويجمع على أربعاء كنصيب وأنصباء، وعلى أربعة، كرعيف وأرغفة. ربيع الآخر: كالأول.

جمادى: سمي بذلك لجمود الماء فيه. قال: وكانت الشهور في حسابهم لا تدور. وفي هذا وقوله تعالى: {منها أربعة حرم} فهذا مما كانت العرب أيضا في الجاهلية تحرمه، وهو الذي كان عليه جمهورهم، إلا طائفة منهم يقال لهم: "البسل"، كانوا يجرمون من السنة ثمانية أشهر، تعمقا وتشديدا.

وأما قوله: "ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، فإنما أضافه إلى مضر، ليبين صحة قولهم في رجب أنه الشهر الذي بين جمادى وشعبان لا كما كانت تظنه ربيعة من أن رجب المحرم هو الشهر الذي بين شعبان وشوال، وهو رمضان اليوم، فبين، عليه الصلاة والسلام، أنه رجب مضر لا رجب ربيعة. وإنما كانت الأشهر المحرمة أربعة، ثلاثة سرد وواحد فرد؛ لأجل أداء مناسك الحج والعمرة، فحرم قبل شهر الحج شهر، وهو ذو القعدة؛ لأنهم يقعدون فيه عن القتال،

(٤٧٣) - علي بن محمد بن عبد الصمد الشيخ علم الدين أبو الحسن الهمداني السخاوي المصري شيخ العربية والقراء والفقهاء في زمانه بدمشق، سمع بالثغر من السلفي وجماعة، وبدمشق من أبي طبرزد، وحنبل، والكندي، وأخذ عنه علم العربية، وأكثر عن الإمام أبي القاسم الشاطبي، وقرأ عليه وانتفع به حتى فاق أهل زمانه في القراءات والعربية والتفسير، وله تفسير في أربع مجلدات، وله غير ذلك في فنون القراءة وانتفع به جماعة كثير من الطلبة وغيرهم، وأثنى عليه أئمة كالعماد الكاتب، والقاضي شمس الدين ابن خلكان، والشيخ شهاب الدين أبي شامة فإنه قال: وفي ثاني عشر جمادى الآخرة توفي شيخنا علم الدين علامة زمانه، وشيخ أوانه بمنزلة بالتربة الصالحية، ودفن بقاسيون وكان على جنازته هيئة وجلالة وأصاب منه علوما حمة كالقراءات، والتفسير وفنون العربية، صحبته من شعبان سنة أربع عشرة وست مائة إلى أن مات، وهو عني راض. - طبقات الشافعيين لابن كثير مختصرا (٨٥٨/١)

وحرم شهر ذي الحجة لأنهم يوقعون فيه الحج ويشتغلون فيه بأداء المناسك، وحرم بعده شهر آخر، وهو الحرم؛ ليرجعوا فيه إلى نائي أقصى بلادهم آمنين، وحرم رجب في وسط الحول، لأجل زيارة البيت والاعتماد به، لمن يقدم إليه من أقصى جزيرة العرب، فيزوره ثم يعود إلى وطنه فيه آمنا. وقوله تعالى: {ذلك الدين القيم} أي: هذا هو الشرع المستقيم، من امتثال أمر الله فيما جعل من الأشهر الحرم، والحذو بما على ما سبق في كتاب الله الأول. اهـ (٤٧٤)

{ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه:

{ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ } يحتل أن الضمير يعود إلى الاثني عشر شهرا، وأن الله تعالى بين أنه جعلها مقادير للعباد، وأن تعمر بطاعته، ويشكر الله تعالى على مَنَّتِهِ بها، وتقييضا لمصالح العباد، فلتحذروا من ظلم أنفسكم فيها.

ويحتمل أن الضمير يعود إلى الأربعة الحرم، وأن هذا نهي لهم عن الظلم فيها، خصوصا مع النهي عن الظلم كل وقت، لزيادة تحريمها، وكون الظلم فيها أشد منه في غيرها.

ومن ذلك النهي عن القتال فيها، على قول من قال: إن القتال في الأشهر الحرم لم ينسخ تحريمه عملا بالنصوص العامة في تحريم القتال فيها.

ومنهم من قال: إن تحريم القتال فيها منسوخ، أخذا بعموم نحو قوله تعالى: { وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً } أي: قاتلوا جميع أنواع المشركين والكافرين برب العالمين.

ولا تخصوا أحدا منهم بالقتال دون أحد، بل اجعلوهم كلهم لكم أعداء كما كانوا هم معكم كذلك، قد اتخذوا أهل الإيمان أعداء لهم، لا يألونهم من الشر شيئا.

ويحتمل أن { كَافَّةً } حال من الواو فيكون معنى هذا: وقاتلوا جميعكم المشركين، فيكون فيها وجوب النفير على جميع المؤمنين.

وقد نسخت على هذا الاحتمال بقوله: { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً } الآية. { وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ } بعونه ونصره وتأيدته، فلتحرصوا على استعمال تقوى الله في سرهم وعلنكم والقيام بطاعته، خصوصا عند قتال الكفار، فإنه في هذه الحال، ربما ترك المؤمن العمل بالتقوى في معاملة الكفار الأعداء المحاربين. اهـ (٤٧٥)

(٤٧٤) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/١٤٦)

(٤٧٥) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١/٣٣٦)

{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٣٧)}

إعراب مفردات الآية (٤٧٦)

«إِنَّمَا» كافة ومكفوفة (النسيء) مبتدأ مرفوع (زيادة) خبر مرفوع (في الكفر) جارّ ومجرور متعلّق ب (زيادة)، (يضلّ) مضارع مبنيّ للمجهول مرفوع (الباء) حرف جرّ و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يضلّ) والباء للسببية (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع نائب الفاعل (كفروا) فعل ماض وفاعله (يحلون) مضارع مرفوع... والواو فاعل و(الهاء) ضمير مفعول به (عاما) ظرف زمان منصوب متعلّق ب (يحلون)، (الواو) عاطفة (يحرمونه عاما) مثل يحلونّه عاما والظرف متعلّق ب (يحرمونه)، (اللام) تعليلية (يواطئوا) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وعلامة النصب حذف النون والواو فاعل (عدّة) مفعول به منصوب (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ جرّ مضاف إليه (حرّم) فعل ماض (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الفاء) عاطفة (يحلّوا) مضارع منصوب معطوف على (يواطئوا)، (ما) موصول مفعول به (حرّم الله) مثل الأولى (زَيْنَ) فعل ماض مبنيّ للمجهول (لهم) مثل به متعلّق ب (زَيْنَ)، (سوء) نائب الفاعل مرفوع (أعمال) مضاف إليه مجرور و(هم) ضمير مضاف إليه.

والمصدر المؤوّل (أن يواطئوا) في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (يحرمون) «(٤٧٧)».

(الواو) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (لا) نافية (يهدي) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء (القوم) مفعول به منصوب (الكافرين) نعت للقوم منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُحْرِمُونَهُ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ }

-قال ابن كثير- رحمه الله - في تفسيرها ما مختصره وبتصرف: هذا مما ذم الله تعالى به المشركين من تصرفهم في شرع الله بأرائهم الفاسدة، وتغييرهم أحكام الله بأهوائهم الباردة، وتحليلهم ما حرم الله وتحريمهم ما أحل الله، فإنهم كان فيهم من القوة الغضبية والشهامة والحمية ما استطالوا به مدة الأشهر الثلاثة في التحريم المانع لهم من قضاء أوطارهم من قتال أعدائهم، فكانوا قد أحدثوا قبل الإسلام بمدة تحليل الحرم وتأخيرها إلى صفر، فيحلون الشهر الحرام، ويجرمون الشهر الحلال، ليواطئوا عدة الأشهر الأربعة.

(٤٧٦)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

٣٣٦/١٠

(٤٧٧) - أو متعلّق بالفعلين (يحلونّه، ويحرمونه).

ثم أضاف - رحمه الله -: قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ } قال: النسبيء أن جنادة بن عوف بن أمية الكناني (٤٧٨)، كان يوافي الموسم في كل عام، وكان يكنى "أبا ثمامة"، فينادي: ألا إن أبا ثمامة لا يُجاب ولا يُعاب، ألا وإن صفر العام الأول حلال. فيحله للناس، فيحرم صفرًا عامًا، ويحرم المحرم عامًا، فذلك قول الله: { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ } إلى قوله: { الكافرين } وقوله { إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ } يقول: يتركون المحرم عامًا، وعاما يجرمونه. وروى العوفي عن ابن عباس نحوه.

وقال ليث بن أبي سليم (٤٧٩)، عن مجاهد، كان رجل من بني كنانة يأتي كل عام إلى الموسم على حمار له، فيقول: يا أيها الناس، إني لا أعاب ولا أجاب، ولا مرّد لما أقول، إنا قد حرّمنا المحرم، وأخرنا صفر. ثم يجيء العام المقبل بعده فيقول مثل مقالته، ويقول: إنا قد حرّمنا صفر، وأخرنا المحرم. فهو قوله: { لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ } قال: يعني الأربعة { فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ } لتأخير هذا الشهر الحرام وروي عن أبي وائل، والضحاك، وقنادة نحو هذا. اهـ (٤٨٠)

(٤٧٨) - جنادة بن عوف بن أمية بن قلع بن عبّاد بن حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدي ابن زيد بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة، أبو ثمامة الكناني.

ذكر ابن إسحاق في «أوائل السيرة» أمر النسبيء والنسأة إلى أن قال: وقام الإسلام على جنادة بن عوف، ولم يذكر أنه أسلم.

قال السهيلي: وجدت له خبرا يدلّ على أنه أسلم، فإنه حضر الحجّ في زمن عمر، فرأى الناس يزدحمون على الحجر الأسود، فقال: أيها الناس، إني قد أجرته منكم، فخفقه عمر بالدرة، وقال: ويحك! إنّ الله قد أبطل أمر الجاهلية. وحكى هشام بن الكلبي أنه نسأ أربعين سنة، قال: وكان أبعدهم ذكرا وأطولهم أمدًا. - الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني مختصرًا (١٢١٠)

(٤٧٩) - ليث بن أبي سليم ويكنى أبا بكر مولى عنبسة بن أبي سفيان بن حرب بن أمية. قال: قال عبد الرزاق عن معمر قال: سمعت أيوب يقول لليث: انظر ما سمعت من هذين الرجلين فاشدد يديك به. يعني طاوسا ومجاهدا.

قالوا: وتوفي ليث في أول خلافة أبي جعفر. وكان منزله في جبانة عزم. وكان أبوه أبو سليم من العباد المجتهدين في المسجد الجامع بالكوفة. فلما دخل شبيب الخارجي الكوفة أتى المسجد فبيت من فيه فقتلهم وقتل أبا سليم فيمن قتل. فترك الناس التهجد من ليلتذ في المسجد. وكان ليث رجلا صالحا عابدا. وكان ضعيفا في الحديث. يقال كان يسأل عطاء وطاوسا ومجاهدا عن الشيء فيختلفون فيه فيروي أنهم اتفقوا. من غير تعمد لذلك. - الطبقات الكبرى لابن سعد (٢٥٥٢)

(٤٨٠) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/١٥٠)

-وأضاف السعدي-رحمه الله- في بيانها فوائد جلييلة قال ما نصه: النسيء: هو ما كان أهل الجاهلية يستعملونه في الأشهر الحرم، وكان من جملة بدعهم الباطلة، أنهم لما رأوا احتياجهم للقتال في بعض أوقات الأشهر الحرم، رأوا -بآرائهم الفاسدة- أن يحافظوا على عدة الأشهر الحرم، التي حرم الله القتال فيها، وأن يؤخروا بعض الأشهر الحرم، أو يقدموه، ويجعلوا مكانه من أشهر الحل ما أرادوا، فإذا جعلوه مكانه أحلوا القتال فيه، وجعلوا الشهر الحلال حراما، فهذا -كما أخبر الله عنهم- أنه زيادة في كفرهم وضلالهم، لما فيه من المخاذير.

منها: أنهم ابتدعوه من تلقاء أنفسهم، وجعلوه بمنزلة شرع الله ودينه، والله ورسوله بريئان منه.

ومنها: أنهم قلبوا الدين، فجعلوا الحلال حراما، والحرام حلالا.

ومنها: أنهم مؤهوا على الله بزعمهم وعلى عباده، ولبسوا عليهم دينهم، واستعملوا الخداع والحيلة في دين الله.

ومنها: أن العوائد المخالفة للشرع مع الاستمرار عليها، يزول قبحها عن النفوس، وربما ظن أنها عوائد حسنة، فحصل من الغلط والضلال ما حصل، ولهذا قال: { يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجْلُونَ عَامًا وَيُجْرِمُونَ عَامًا لِيُؤَاطِفُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ } أي: ليوافقوها في العدد، فيحلوا ما حرم الله.

{ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ } أي: زينت لهم الشياطين الأعمال السيئة، فأوها حسنة، بسبب العقيدة المزينة في قلوبهم.

{ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ } أي: الذين انصبغ الكفر والتكذيب في قلوبهم، فلو جاءتهم كل آية، لم يؤمنوا. اهـ (٤٨١)

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ
الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ (٣٨) }
إعراب مفردات الآية (٤٨٢)

«يأيُّها الذين آمنوا» مرّ إعرابها «(٤٨٣)»، (ما) اسم استفهام مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (اللام) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ (إذا) ظرف محض مجرّد من الشرط مبنيّ في محلّ نصب متعلّق ب (أتأتلتُم) «(٤٨٤)»، (قيل) فعل ماض مبنيّ للمجهول (لكم) مثل الأول متعلّق ب (قيل)، (انفروا) فعل أمر مبنيّ على حذف النون.. والواو فاعل (في سبيل الله) جارّ ومجرور ومضاف إليه متعلّق ب (انفروا)، (أتأتلتُم) فعل ماض مبنيّ على السكون.. و(تم) فاعل (إلى الأرض) جارّ ومجرور متعلّق ب (أتأتلتُم)، (أرضيتُم) همزة استفهام للتوبيخ وفعل وفاعل (بالحياة) جارّ ومجرور متعلّق ب (رضيتُم)، (الدنيا) نعت للحياة مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (من الآخرة) جارّ ومجرور متعلّق ب (رضيتُم) بتضمينه معنى استعظمتُم «(٤٨٥)»، (الفاء) استئنافية تعليلية (ما) نافية (متاع) مبتدأ مرفوع (الحياة) مضاف إليه مجرور (الدنيا) مثل الأول (في الآخرة) جارّ ومجرور متعلّق ب (قيل)، (إلا) أداة حصر (قيل) خبر المبتدأ مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ }

-قال أبو جعفر الطبري في تفسيرها ما مختصره: وهذه الآية حثّ من الله جل ثناؤه المؤمنين به من أصحاب رسوله على غزو الروم، وذلك غزوة رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك. يقول جل ثناؤه: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله { ما لكم }، أي شيء أمركم { إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله }، يقول: إذا قال لكم رسول الله محمدٌ { انفروا }، أي: اخرجوا من منازلكم إلى مغزاكم. وأصل "النفر"، مفارقة مكان إلى مكانٍ لأمرٍ هاجه على ذلك. ومنه: "نفورًا الدابة". غير أنه يقال: من نفر إلى الغزو: "نفر فلان إلى ثغر كذا ينفر نفيرًا ونفيرًا"، وأحسب أن هذا من الفروق التي يفرّقون بها بين اختلاف المخبر عنه، وإن اتفقت معاني الخبر.

(٤٨٢)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) ٣٣٨/١٠

(٤٨٣) - في الآية (٢٣) من هذه السورة.

(٤٨٤) - لأنّ جملة أتأتلتُم لها محلّ من الإعراب كما سيأتي.

(٤٨٥) - يجوز أن يكون الجارّ حالاً من الحياة أي بديلاً من الآخرة.

فمعنى الكلام: ما لكم أيها المؤمنون، إذا قيل لكم: اخرجوا غزاة "في سبيل الله"، أي: في جهاد أعداء الله. اهـ (٤٨٦)

{ اَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ }

-قال ابن كثير- رحمه الله- في بيانها ما مختصره وبتصرف يسير: { اثاقلتم إلى الأرض } أي: تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار، { أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة } أي: ما لكم فعلتم هكذا أرضا منكم بالدنيا بدلا من الآخرة ثم زهد تبارك وتعالى في الدنيا، ورغب في الآخرة، فقال: { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } كما قال الإمام أحمد عن قيس عن المستورد أخي بني فهر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل إصبعه هذه في اليم، فلينظر بما ترجع؟ وأشار بالسبابة (٤٨٧).

ثم أضاف - رحمه الله- في سياق شرحه للآية: وقال سفيان الثوري، عن الأعمش في الآية: { فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل } قال: كزاد الراكب.

وقال عبد العزيز بن أبي حازم (٤٨٨) عن أبيه: لما حضرت عبد العزيز بن مروان (٤٨٩) الوفاة قال: ائتوني بكفني الذي أكفن فيه، أنظر إليه فلما وضع بين يديه نظر إليه فقال: أما لي من كبير ما أخلف من الدنيا

(٤٨٦) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٧١٨) ٢٥١/١٤/

(٤٨٧) - أخرجه مسلم (برقم/ ٢٨٥٨) - باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة

(٤٨٨) - عبد العزيز بن أبي حازم الإمام الفقيه، أبو تمام المدني.

حدث عن: أبيه، وزيد بن أسلم، والعلاء بن عبد الرحمن، وسهيل بن أبي صالح، ويزيد بن الهاد، وموسى بن عقبة، وهشام بن عروة، ويحيى بن سعيد، وخلق.

حدث عنه: الحميدي، وسعيد بن منصور، وأبو مصعب، والقعني، وعلي بن حجر، وعمرو الناقد، ويعقوب الدورقي، ويحيى بن أكثم، وبشر كثير وكان من أئمة العلم بالمدينة قال يحيى بن معين: صدوق.

قال أحمد بن حنبل: لم يكن بالمدينة بعد مالك أفقه من عبد العزيز بن أبي حازم. - سير أعلام النبلاء للذهبي مختصراً (١٠٥)

(٤٨٩) - عبد العزيز بن مروان بن الحكم المدني أمير مصر، أبو الأصبع المدني ولي العهد بعد عبد الملك، عقد له بذلك أبوه، واستقل بملك مصر عشرين سنة وزيادة .

وثقه: ابن سعد، والنسائي، قال ابن أبي مليكة: شهدت عبد العزيز عند الموت يقول: يا ليتني لم أكن شيئاً، يا ليتني كهذا الماء الجاري. وقيل: قال: هاتوا كفني، أف لك، ما أقصر طويلك وأقل كثيرك. قال ابن سعد، وسعيد بن عفير، والزيادي، وغيرهم: مات سنة خمس وثمانين. وقال ابن يونس: قال الليث: مات في جمادى الآخرة، سنة ست وثمانين.

إلا هذا؟ ثم ولى ظهره فبكى وهو يقول أف لك من دار. إن كان كثيرك لقليل، وإن كان قليلك لقصير، وإن كنا منك لفي غرور. اهـ. (٤٩٠)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى { **فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ** } فقال:

{ **فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** } التي مالت بكم، وقدمتموها على الآخرة { **إِلَّا قَلِيلٌ** } أفليس قد جعل الله لكم عقولا تَرْتُونُ بها الأمور، وأيها أحق بالإيثارة؟.

أفليست الدنيا -من أولها إلى آخرها- لا نسبة لها في الآخرة. فما مقدار عمر الإنسان القصير جدا من الدنيا حتى يجعله الغاية التي لا غاية وراءها، فيجعل سعيه وكده وهمه وإرادته لا يتعدى حياته الدنيا القصيرة المملوءة بالأكدار، المشحونة بالأخطار.

فبأي رأيٍ رأيتم إيثارها على الدار الآخرة الجامعة لكل نعيم، التي فيها ما تشتهيهِ الأَنفُس وتلذ الأعين، وأنتم فيها خالدون، فو الله ما آثر الدنيا على الآخرة من وقر الإيمان في قلبه، ولا من حزل رأيه، ولا من عُذَّ من أولي الألباب. اهـ. (٤٩١)

{ **إِلَّا تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } (٣٩)

إعراب مفردات الآية (٤٩٢)

(إن) حرف شرط جازم (لا) نافية (تنفروا) مضارع مجزوم فعل الشرط وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (يعذب) مضارع مجزوم جواب الشرط و(كم) ضمير مفعول به والفاعل هو (عذابا) مفعول مطلق نائب عن المصدر فهو اسم مصدر، منصوب (أليما) نعت ل (عذابا) منصوب (الواو) عاطفة (يستبدل) مثل يعذب ومعطوف عليه (قوما) مفعول به منصوب (غير) نعت ل (قوما) منصوب و(كم) ضمير مضاف إليه «(٤٩٣)»، (الواو) عاطفة (لا) نافية (تضروا) مثل تنفروا ومعطوف على فعل يعذبكم

قلت: الأول أصح، وقد كان مات قبله ابنه أصغ بستة عشر يوما، فحزن عليه، ومرض، ومات بجلوان؛ مدينة صغيرة أنشأها على بريد فوق مصر- سير أعلام النبلاء للذهبي مختصراً(٤٥٨)

(٤٩٠)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(٤/١٥٣)

(٤٩١)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة(١/٣٣٧)

(٤٩٢)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق(١٠/٣٤٠)

(٤٩٣) - إضافة (غير) إلى الضمير لم تزده معرفة، ولهذا صحَّ إعرابه نعتا ل (قوما)، أمَّا المفعول الآخر لفعل يستبدل فمحذوف تقديره يستبدل بكم قوما غيركم.

و(الهاء) ضمير مفعول به (شيئا) مفعول مطلق منصوب نائب عن المصدر أي لا تضرّوه ضرا ما. (الواو) استثنائية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (على كلّ) جارّ ومجرور متعلّق ب (قدير) (شيء) مضاف إليه مجرور (قدير) خبر مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ}

-قال القرطبي-رحمه الله في تفسيرها: أن قوله تعالى: "إلا تنفروا" شرط، فلذلك حذفت منه النون. والجواب "يعذبكم"، "ويستبدل قوما غيركم" وهذا تهديد شديد ووعد مؤكد في ترك النفير. قال ابن العربي: ومن محققات الأصول أن الأمر إذا ورد فليس في وروده أكثر من اقتضاء الفعل. فأما العقاب عند الترك فلا يؤخذ من نفس الأمر ولا يقتضيه الاقتضاء، وإنما يكون العقاب بالخبر عنه، كقوله: إن لم تفعل كذا عذبتك بكذا، كما ورد في هذه الآية. فوجب بمقتضاها النفير للجهاد والخروج إلى الكفار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا. اهـ (٤٩٤)

-وأضاف السعدي-رحمه الله- في بيانها ما نصه: {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} في الدنيا والآخرة، فإن عدم النفير في حال الاستنفار من كبائر الذنوب الموجبة لأشد العقاب، لما فيها من المضار الشديدة، فإن المتخلف، قد عصى الله تعالى وارتكب لنهيه، ولم يساعد على نصر دين الله، ولا ذب عن كتاب الله وشرعه، ولا أعان إخوانه المسلمين على عدوهم الذي يريد أن يستأصلهم ويمحق دينهم، وربما اقتدى به غيره من ضعفاء الإيمان، بل ربما فتّ في أعضاء من قاموا بجهاد أعداء الله، فحقيق بمن هذا حاله أن يتوعده الله بالوعيد الشديد، فقال: {إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ} ثم لا يكونوا أمثالكم. اهـ (٤٩٥)

{ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ }

- قال ابن كثير - رحمه الله - في تفسيرها ما نصه:

{ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا } أي: ولا تضرّوا الله شيئاً بتوليكم عن الجهاد، وتكولكم وتناقلكم عنه، { وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } أي: قادر على الانتصار من الأعداء بدونكم.

وقد قيل: إن هذه الآية، وقوله: { انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا } وقوله { مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ } [التوبة: ١٢٠] إنهن منسوخات بقوله تعالى: { وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ

(٤٩٤) --الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (١٤١/٨)

(٤٩٥) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٧/١)

لِيُنْفِرُوا كَأَفَّةٍ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ { [التوبة: ١٢٢] رُوي هذا عن ابن عباس، وعكرمة، والحسن، وزيد بن أسلم.

وردها بن جرير وقال: إنما هذا فيمن دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الجهاد، فتعين عليهم ذلك، فلو تركوه لعوقبوا عليه وهذا له اتجاه، والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب. اهـ (٤٩٦)

{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤٠)}

إعراب مفردات الآية (٤٩٧)

«إِلَّا تَنْصُرُوا» مثل «إِلَّا تَنْفِرُوا» (٤٩٨) و(الهاء) ضمير مفعول به (الفاء) رابطة لجواب الشرط (قد) حرف تحقيق (نصر) فعل ماضٍ و(الهاء) مثل الأول (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (إذ) ظرف للزمن الماضي مبني في محلِّ نصب متعلِّق ب (نصره)، (أخرجه) مثل نصره، والفاعل هو اسم الموصول (الذين) في محلِّ رفع، (كفروا) فعل ماضٍ مبني على الضمّ.. والواو فاعل (ثاني) حال منصوبة من ضمير الغائب في (أخرجه)، (اثنين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرِّ الياء (إذ) مثل الأول وبدل منه (هما) ضمير منفصل مبني في محلِّ رفع مبتدأ (في الغار) جازّ ومجرور متعلِّق بمحذوف خبر (إذ) مثل الأول وبدل من الثاني (يقول) مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو أي النبيّ (لصاحب) جازّ ومجرور متعلِّق ب (يقول)، و(الهاء) ضمير مضاف إليه (لا) ناهية جازمة (تحزن) مضارع مجزوم، والفاعل أنت (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ- (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (مع) ظرف منصوب متعلِّق بمحذوف خبر إنّ و(نا) ضمير مضاف إليه. (الفاء) استئنافية (انزل) مثل نصر (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (سكينة) مفعول به منصوب و(الهاء) ضمير مضاف إليه (على) حرف جرّ و(الهاء) ضمير في محلِّ جرّ متعلِّق ب (أنزل) والضمير في (عليه) يعود على أبي بكر (الواو) عاطفة (أيد) مثل نصر و(الهاء) ضمير مفعول به ويعود إلى الرسول (الجنود) جازّ ومجرور متعلِّق ب (أيد)، (لم) حرف نفي وجزم (تروا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل و(ها) ضمير مفعول به (الواو) عاطفة (جعل) مثل نصر، والفاعل هو (كلمة) مفعول به منصوب (الذين) موصول في محلِّ جرّ مضاف إليه (كفروا) مثل الأول (السفلى)

(٤٩٦) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٥٤/٤)

(٤٩٧) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٠)

(٣٤١/

(٤٩٨) - في الآية السابقة (٣٩) .

مفعول به ثان منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة. (الواو) استثنائية (كلمة) مبتدأ مرفوع (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (هي) ضمير فصل «(٤٩٩)»، (العليا) خبر المبتدأ مرفوع، وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف (الواو) استثنائية (الله عزيز) مثل الله قدير «(٥٠٠)»، (حكيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِنَّنِي إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا}

-قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: قول تعالى: {إِلَّا تَنْصُرُوهُ} أي: تنصروا رسوله، فإن الله ناصره ومؤيده وكافيه وحافظه، كما تولى نصره {إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا إِنَّنِي إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ} أي: عام الهجرة، لما هم المشركون بقتله أو حبسه أو نفيه، فخرج منهم هاربا صحبة صديقه وصاحبه أبي بكر بن أبي قحافة، فلجأ إلى غار ثور ثلاثة أيام ليرجع الطلّب الذين خرجوا في آثارهم، ثم يسيرا نحو المدينة، فجعل أبو بكر، رضي الله عنه، يجزع أن يطّلع عليهم أحد، فيخلص إلى الرسول، عليه السلام منهم أذى، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يُسكّنه ويثبّته ويقول: "يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما" (٥٠١).

ثم أضاف-رحمه الله-: ولهذا قال تعالى: {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ} أي: تأييده ونصره عليه، أي: على الرسول في أشهر القولين: وقيل: على أبي بكر، وروي عن ابن عباس وغيره، قالوا: لأن الرسول لم تنزل معه سكينه، وهذا لا ينافي بتحدد سكينه خاصة بتلك الحال؛ ولهذا قال: {وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا} أي: الملائكة (٥٠٢) اهـ. (٥٠٣)

(٤٩٩) - أو ضمير منفصل مبني مبتدأ خبره العلياء، والجملة الاسمية هي العلياء خبر المبتدأ كلمة الله.

(٥٠٠) - انظر في الآية السابقة (٣٩).

(٥٠١) - أخرجه في الصحيحين من حديث أنس بن مالك-رضي الله عنه- البخاري (برقم/٤٦٦٣)- باب قوله: {ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه: لا تحزن إن الله معنا} [التوبة: ٤٠] ، ومسلم (برقم/٢٣٨١)- باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه- وتام متنه "أن أبا بكر الصديق، حدثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رءوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما» واللفظ لمسلم.

(٥٠٢) - قيل أن المقصود بالجناد في الآية ما اشتهر بقصة العنكبوت والحمامتين وهذه القصة لا تصح وكل الأحاديث في ذلك ضعيفة. قال العلامة الألباني-رحمه الله- في "السلسلة الضعيفة حديث رقم: (١١٨٩) : واعلم أنه لا يصح حديث في عنكبوت الغار والحمامتين على كثرة ما يُذكر ذلك في بعض الكتب والمحاضرات التي تُلقى بمناسبة هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فكن من ذلك على علم

{ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ }

- وذكر السعدي- رحمه الله- في بيانها مع جملة من الفوائد التي فيها ما نصه:

{ وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى } أي: الساقطة المخذولة، فإن الذين كفروا قد كانوا على حرد قادرين، في ظنهم على قتل الرسول صلى الله عليه وسلم، وأخذه، حنقين عليه، فعملوا غاية مجهودهم في ذلك، فخذلهم الله ولم يتم لهم مقصودهم، بل ولا أدركوا شيئاً منه.

ونصر الله رسوله بدفعه عنه، وهذا هو النصر المذكور في هذا الموضع، فإن النصر على قسمين: نصر المسلمين إذا طمعوا في عدوهم بأن يتم الله لهم ما طلبوا، وقصدوا، ويستولوا على عدوهم ويظهروا عليهم. والثاني نصر المستضعف الذي طمع فيه عدوه القادر، فنصر الله إياه، أن يرد عنه عدوه، ويدافع عنه، ولعل هذا النصر أنفع النصرين، ونصر الله رسوله إذ أخرج الذين كفروا ثاني اثنين من هذا النوع.

وقوله { وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا } أي كلماته القدريه وكلماته الدينية، هي العالية على كلمة غيره، التي من جملتها قوله: { وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } { وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } فدين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، بالحجج الواضحة، والآيات الباهرة والسلطان الناصر.

{ وَاللَّهُ عَزِيزٌ } لا يغالبه مغالب، ولا يفوته هارب، { حَكِيمٌ } يضع الأشياء مواضعها، وقد يؤخر نصر حزبه إلى وقت آخر، اقتضته الحكمة الإلهية.

وفي هذه الآية الكريمة فضيلة أبي بكر الصديق بخصيصه لم تكن لغيره من هذه الأمة، وهي الفوز بهذه المنقبة الجليلة، والصحبة الجميلة، وقد أجمع المسلمون على أنه هو المراد بهذه الآية الكريمة، ولهذا عدوا من أنكروا صحبة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم، كافراً، لأنه منكر للقرآن الذي صرح بها.

وأضاف في موضع آخر من السلسلة: ثم إن الآية المتقدمة { وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا } فيها ما يؤكّد ضعف الحديث؛ لأنها صريحة بأن النصر والتأييد إنما كان بجنود لا تُرى، والحديث يُثبت أن نصره صلى الله عليه وسلم كان بالعنكبوت، وهو مما يُرى، فتأمل. اهـ

- ولزيادة بيان عن ضعف هذه القصة واحاديثها التي اشتهرت بين العامة والخاصة قال العلامة ابن العثيمين- رحمه الله- في سلسلة لقاء الباب المفتوح اللقاء: (١٦ / السؤال: ١) ما مختصره:

وبهذه المناسبة أود أن أُنَبِّه على أنه يوجد في بعض الكتب أن العنكبوت ضربت على باب الغار نسيجاً وعشّ الحمامة ولهذا لا صحة له، ليس هناك نسيج من العنكبوت وليس هناك حمامة على شجرة على باب الغار، إنما هي حماية الله ولهذا قال أبو بكر -رضي الله عنه-: ((لو نظر أحدهم إلى قدمه لأبصرنا)) لو نظر أحدهم إلى قدمه لأبصر النبي صلى الله عليه وسلم و أبا بكر؛ ولكن الله أعمى أبصارهم فلم يروا أحداً في هذا الغار وانصرفوا عنه. اهـ

(٥٠٣) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ١٥٤)

وفيهما فضيلة السكينة، وأنها من تمام نعمة الله على العبد في أوقات الشدائد والمخاوف التي تطيش بها الأفتدة، وأنها تكون على حسب معرفة العبد بربه، وثقته بوعده الصادق، وبحسب إيمانه وشجاعته. وفيها: أن الحزن قد يعرض لخواص عباد الله الصديقين، مع أن الأولى - إذا نزل بالعبد - أن يسعى في ذهابه عنه، فإنه مضعف للقلب، موهن للعزيمة. اهـ (٥٠٤)

{انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤١)}

إعراب مفردات الآية (٥٠٥)

«انفروا» فعل أمر.. والواو فاعل (خفافا) حال منصوبة من فاعل انفروا (ثقالا) معطوف بالواو على (خفافا) منصوب مثله (الواو) عاطفة (جاهدوا) مثل انفروا (بأموال) جازّ ومجرور متعلّق ب (جاهدوا)، و(كم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (أنفسكم) معطوفة على أموالكم ويعرب مثله مجرور (في سبيل) جازّ ومجرور متعلّق بفعل (جاهدوا) (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (ذلكم) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ و(اللام) للبعد، و(الكاف) للخطاب (خير) خبر مرفوع (اللام) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (خير)، (إن) حرف شرط جازم (كنتم) فعل ماض ناقص - ناسخ - مبنيّ على السكون في محلّ جزم فعل الشرط.. و(تم) ضمير اسم كان في محلّ رفع.. (تعلمون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل.

(٥٠٤) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٧/١)

(٥٠٥) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق

روائع البيان والتفسير

{ أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا }

- قال البغوي-رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: قوله تعالى: {انفروا خفافا وثقالا} قال الحسن والضحاك ومجاهد وقتادة وعكرمة: شبانا وشيوخا. وعن ابن عباس: نشاطا وغير نشاط. وقال عطية العوفي: ركبانا ومشاة. وقال أبو صالح: خفافا من المال، أي فقراء، وثقالا أي: أغنياء. وقال ابن زيد: الثقل الذي له الضيعة، فهو ثقل يكره أن يدع ضيعته، والخفيف الذي لا ضيعة له. ويروى عن ابن عباس قال: خفافا أهل المسيرة من المال، وثقالا أهل العسرة. وقيل: خفافا من السلاح، أي: مقلين منه، وثقالا أي: مستكثرين منه.. اهـ (٥٠٦)

-ولقد ذكر أبو جعفر الطبري-رحمه الله- هذا الخلاف في تفسيره للآية ثم صوب بين الآراء وجمع بينها فقال: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر المؤمنين بالنفر لجهاد أعدائه في سبيله، خفافاً وثقالاً. وقد يدخل في "الخفاف" كل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه على ذلك، وصحة جسمه وشبابه، ومن كان ذا يُسرٍ بمالٍ وفراغٍ من الاشتغال، وقادراً على الظهر والركاب. ويدخل في "الثقال"، كل من كان بخلاف ذلك، من ضعيف الجسم وعليه وسقيمه، ومن مُعسرٍ من المال، ومشتغل بضيعة ومعاش، ومن كان لا ظهر له ولا ركاب، والشيخ وذو السن والعِيال. فإذا كان قد يدخل في "الخفاف" و"الثقال" من وصفنا من أهل الصفات التي ذكرنا، ولم يكن الله جل ثناؤه خصاً من ذلك صنفاً دون صنف في الكتاب، ولا على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا نَصَب على خصوصه دليلاً وجب أن يقال: إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد في سبيله خفافاً وثقالاً مع رسوله صلى الله عليه وسلم، على كل حال من أحوال الخفة والثقل. اهـ (٥٠٧)

{ وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله في تفسيرها ما نصه: { وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } أي: ابدلوا جهدكم في ذلك، واستفرغوا وسعكم في المال والنفس، وفي هذا دليل على أنه - كما يجب الجهاد في النفس - يجب الجهاد في المال، حيث اقتضت الحاجة ودعت لذلك.

(٥٠٦)-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/٥٣)

(٥٠٧)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٧٥٦)

ثم قال: { ذَلِكَمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ } أي: الجهاد في النفس والمال، خير لكم من التقاعد عن ذلك، لأن فيه رضا الله تعالى، والفوز بالدرجات العاليات عنده، والنصر لدين الله، والدخول في جملة جنده وحزبه. اهـ (٥٠٨)

-وذكر البغوي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: قال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه، فقيل له: إنك عليل صاحب ضر، فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع.

وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس: نسخت هذه الآية بقوله: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة} . وقال السدي: لما نزلت هذه الآية اشتد شأنها على الناس فنسخها الله تعالى وأنزل: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى} الآية. اهـ (٥٠٩)

-والقرطبي- رحمه الله- ذهب إلى عدم النسخ في تفسيرها وقال: واختلف في هذه الآية، فقيل إنها منسوخة بقوله تعالى: {ليس على الضعفاء ولا على المرضى} [التوبة: ٩١]. وقيل: الناسخ لها قوله: {فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة} [التوبة: ١٢٢]. والصحيح أنها ليست بمنسوخة. اهـ (٥١٠)

{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ السُّنَّةُ وَسَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (٤٢)}

إعراب مفردات الآية (٥١١)

(لو) حرف شرط غير جازم (كان) فعل ماض ناقص- ناسخ- واسمه محذوف دل عليه سياق الكلام أي كان ما دعوتم إليه (عرضا) خبر كان منصوب (قريبا) نعت ل (عرضا) منصوب (الواو) عاطفة (سفرا) معطوف على الخبر منصوب مثله (قاصدا) نعت ل (سفرا) منصوب (اللام) رابطة لجواب لو (اتبعوا) فعل ماض مبني لا محل له... والواو فاعل و(الكاف) مفعول به (الواو) عاطفة (لكن) حرف للاستدراك (بعدت) فعل ماض... و(التاء) للتأنيث، (على) حرف جرّ و(هم) ضمير في محل جرّ متعلق ب (بعدت)، (السنة) فاعل مرفوع (الواو) عاطفة (السين) حرف استقبال (يخلفون) مضارع مرفوع. والواو فاعل (بالله) جارّ ومجرور متعلق ب (يخلفون)، (لو) مثل الأول (استطعنا) فعل ماض مبني على السكون.. و(نا) ضمير

(٥٠٨)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١ / ٣٣٨)

(٥٠٩)- انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٥٤)

(٥١٠)- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة (٨ / ١٥٠)

(٥١١)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

فاعل (اللام) مثل الأول (خرجنا) مثل استطعنا (مع) ظرف منصوب متعلق ب (خرجنا)، و(كم) ضمير مضاف إليه (يهلكون) مثل يلفون

(أنفس) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه. (الواو) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (يعلم) مضارع مرفوع، والفاعل هو (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (اللام) المرحلقة (كاذبون) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ }

-قال ابن كثير -رحمه الله- في بيانها ما نصه: يقول تعالى موضحًا للذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وقعدوا عن النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما استأذنوه في ذلك، مظهرين أنهم ذوو أعدار، ولم يكونوا كذلك، فقال: { لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا } قال ابن عباس: غنيمة قريبة، { وَسَفَرًا قَاصِدًا } أي: قريبًا أيضًا، { لَاتَّبَعُوكَ } أي: لكانوا جاءوا معك لذلك، { وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ } أي: المسافة إلى الشام. اهـ (٥١٢)

- وأضاف السعدي -رحمه الله- في بيان قوله تعالى { وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } ما مختصره: أي: سيحلفون أن تخلفهم عن الخروج أن لهم أعدرا وأنهم لا يستطيعون ذلك.

{ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ } بالقيود والكذب والإخبار بغير الواقع، { وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ } وهذا العتاب إنما هو للمنافقين، الذين تخلفوا عن النبي صلى الله عليه وسلم في "غزوة تبوك" وأبدوا من الأعدار الكاذبة ما أبدوا، فعفا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم بمجرد اعتذارهم، من غير أن يمتحنهم، فيتبين له الصادق من الكاذب، ولهذا عاتبه الله على هذه المسارعة إلى عذرهم. اهـ (٥١٣)

(٥١٢) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٥٨/٤)

(٥١٣) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٨/١)

{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ (٤٣)}

إعراب مفردات الآية (٥١٤)

(عفا) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (عن) حرف جرّ (والكاف) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (عفا)، (اللام) حرف جرّ (ما) اسم استفهام في محلّ جرّ متعلّق ب (أذنت) وحذفت الألف من اسم الاستفهام لدخول حرف الجرّ عليه (أذنت) فعل ماض مبني على السكون... (والتاء) فاعل (لهم) مثل عنك متعلّق ب (أذنت) «(٥١٥)»، (حتى) حرف غاية وجرّ (يتبين) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد حتى (لك) مثل عنك متعلّق ب (يتبين)، (الذين) اسم موصول مبني في محلّ رفع فاعل (صدقوا) فعل ماض مبني على الضم... (والواو) فاعل (الواو) عاطفة (تعلم) مثل يتبين ومعطوف عليه، والفاعل أنت (الكاذبين) مفعول به منصوب.

والمصدر المؤوّل (أن يتبين) في محلّ جرّ ب (حتى) متعلّق بفعل محذوف يقتضيه سياق الكلام أي هلاً أخرجتهم معك، أو هلاً توقفت عن الإذن.

روائع البيان والتفسير

{عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ }

- قال السعدي-رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: يقول تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم: {عَفَا اللَّهُ عَنْكَ} أي: سأمحك وغفر لك ما أجزيت.

{ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ } في التخلف { حَتَّىٰ يَتَّبِعَنَّ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ } بأن تمتحنهم، ليتبين لك الصادق من الكاذب، فتعذر من يستحق العذر ممن لا يستحق ذلك. اهـ (٥١٦)

- وزاد البغوي في تفسيرها ما نصه: {عفا الله عنك} قال عمرو بن ميمون (٥١٧): اثنان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما: إذنه للمنافقين، وأخذة الفدية من أسارى بدر، فعاتبه الله كما تسمعون.

(٥١٤)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٣٤٧/١٠)

(٥١٥) - اللام في (لم) للتعليل، واللام في (لهم) للتبليغ، ولهذا جاز التعليق فيهما بالفعل نفسه.

(٥١٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٨/١)

(٥١٧) - عمرو بن ميمون بن مهران الجزري الإمام، الحافظ، أبو عبد الله الجزري، الفقيه. وكان يقول: لو علمت أنه بقي علي حرف من السنة باليمن، لأتيتها. قال يحيى بن معين، وغيره: عمرو بن ميمون ثقة.

قال سفيان بن عيينة: انظروا إلى هذا اللطف بدأ بالعمو قبل أن يعيره بالذنب. وقيل: إن الله عز وجل وقره ورفع محله بافتتاح الكلام بالدعاء له، كما يقول الرجل لمن يخاطبه إذا كان كريماً عنده: عفا الله عنك ما صنعت في حاجتي؟ ورضي الله عنك ألا زرتني. وقيل معناه: أدام الله لك العفو. {لم أذنت لهم} أي: في التخلف عنك {حتى يتبين لك الذين صدقوا} في أعذارهم، {وتعلم الكاذبين} فيها، أي: تعلم من لا عذر له. قال ابن عباس رضي الله عنه: لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف المنافقين يومئذ. اهـ (٥١٨)

{لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (٤٤)}

إعراب مفردات الآية (٥١٩)

(لا) نافية (يستأذن) مضارع مرفوع (الكاف) ضمير مفعول به (الذين) مثل الذين صدقوا «(٥٢٠)»، (يؤمنون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل (بالله) جارّ ومجرور متعلّق ب (يؤمنون)، (الواو) عاطفة (اليوم) معطوف على لفظ الجلالة مجرور (الآخر) نعت لليوم مجرور (أن) حرف مصدريّ ونصب (يجاهدوا) مضارع منصوب وعلامة النصب حذف النون.. والواو فاعل (بأموالهم وأنفسهم) مثل بأموالهم وأنفسكم «(٥٢١)».

والمصدر المؤوّل (أن يجاهدوا) في محلّ جرّ بحرف جرّ محذوف تقديره (في) أي: في أن يجاهدوا... متعلّق ب (يستأذنك) أي يستأذنوك في الجهاد «(٥٢٢)». (الواو) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (عليهم) خبر مرفوع (بالمؤمنين) جارّ ومجرور متعلّق ب (عليهم) وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ }

وقال الميموني: سمعت أبي يصف عمرو بن ميمون بمعرفة القرآن والنحو، ولم أره يغتاب أحدا. وقال هلال بن العلاء: مات عمرو بالرقعة، وكان يؤدّب بحصن مسلمة.

وقال الواقدي، وخليفة، وأبو عبيد: مات في سنة خمس وأربعين ومائة. -انظر سير أعلام النبلاء للذهبي مختصراً (١٤٨)

(٥١٨) -انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/٥٤)

(٥١٩) -انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق

(٣٤٨/١٠)

(٥٢٠) - في الآية السابقة (٤٣).

(٥٢١) - في الآية (٤١) من هذه السورة.

(٥٢٢) - يجوز أن يكون الجارّ المحذوف هو (عن)، فيتعلّق بمحذوف تقديره التخلف أو القعود أي يستأذنوك في

التخلف أو القعود عن الجهاد.

- قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله- في تفسيره لآية ما نصه: وهذا إعلامٌ من الله نبيّه صلى الله عليه وسلم سيما المنافقين: أن من علاماتهم التي يُعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله، باستئذانهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في تركهم الخروج معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة.

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يا محمد، لا تأذنن في التخلف عنك إذا خرجت لغزو عدوك، لمن استأذنتك في التخلف من غير عذر، فإنه لا يستأذنتك في ذلك إلا منافق لا يؤمن بالله واليوم الآخر. فأما الذي يصدّق بالله، ويقرُّ بوحدانيته وبالبعث والدار الآخرة والثواب والعقاب، فإنه لا يستأذنتك في ترك الغزو وجهاد أعداء الله بماله ونفسه {والله عليهم بالمتقين}، يقول: والله ذو علم بمن خافه، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه، والمساورة إلى طاعته في غزو عدوه وجهادهم بماله ونفسه، وغير ذلك من أمره ونهيهِ. اهـ (٥٢٣)

{ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ } (٤٥)

إعراب مفردات الآية (٥٢٤)

(إنما) كفاة ومكفوفة (يستأذنتك الذين... الآخر) مثل نظيرها «(٥٢٥)» و(لا) نافية (الواو) عاطفة (ارتابت) فعل ماضٍ.. و(التاء) للتأنيث (قلوب) فاعل مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (الفاء) عاطفة (هم) ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ (في ريب) جازر ومجرور متعلق ب (يترددون)، و(هم) ضمير مضاف إليه (يترددون) مثل يؤمنون «(٥٢٦)»

روائع البيان والتفسير

{ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ }

- قال ابن كثير في تفسيرها إجمالاً ما نصه: {إنما يستأذنتك} أي: في القعود ممن لا عذر له {الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر} أي: لا يرجون ثواب الله في الدار الآخرة على أعمالهم، {وارتابت قلوبهم} أي: شكّت في صحة ما جئتهم به، {فهم في ريبهم يترددون} أي: يتحيرون، يقدمون رجلاً ويؤخرون

(٥٢٣)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة

(١٦٧٦٧ / ١٤ / ٢٧٤)

(٥٢٤)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -

دمشق (١٠/٣٤٩)

(٥٢٥) - في الآية السابقة (٤٤).

(٥٢٦) - في الآية السابقة (٤٤).

أخرى، وليست لهم قدم ثابتة في شيء، فهم قوم حيارى هلكى، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ومن يضل الله فلن تجد له سبيلاً. اهـ (٥٢٧)

{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ (٤٦)}
إعراب مفردات الآية (٥٢٨)

(الواو) استثنائية (لو) حرف شرط غير جازم (أرادوا) فعل ماض وفاعله (الخروج) مفعول به منصوب (اللام) رابطة لجواب لو (أعدوا) مثل أرادوا (اللام) حرف جرّ و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أعدوا)، (عدّة) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (لكن كره) مثل لكن بعدت «(٥٢٩)»، (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (انبعث) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (الفاء) عاطفة (ثبّط) فعل ماض، والفاعل هو و(هم) ضمير مفعول به (الواو) عاطفة (قيل) فعل ماض مبنيّ للمجهول (اقعدوا) فعل أمر مبنيّ على حذف النون... والواو فاعل (مع) ظرف منصوب متعلّق ب (اقعدوا)، (القاعدين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ }

-قال السعدي-رحمه الله- في بيانها ما نصه: يقول تعالى مبينا أن المتخلفين من المنافقين قد ظهر منهم من القرائن ما يبين أنهم ما قصدوا الخروج للجهاد بالكلية، وأن أعدارهم التي اعتدروها باطلة، فإن العذر هو المانع الذي يمنع إذا بذل العبد وسعه، وسعى في أسباب الخروج، ثم منعه مانع شرعي، فهذا الذي يعذر. {و} أما هؤلاء المنافقون ف { لَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً } أي: لاستعدوا وعملوا ما يمكنهم من الأسباب، ولكن لما لم يعدوا له عدة، علم أنهم ما أرادوا الخروج.

{وَلَكِنَّ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتَهُمْ} معكم في الخروج للغزو {فَثَبَّطَهُمْ} قدرا وقضاء، وإن كان قد أمرهم وحثهم على الخروج، وجعلهم مقتدرين عليه، ولكن بحكمته ما أراد إيعانتهم، بل خذلهم وثبطهم {وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} من النساء والمعذورين. اهـ (٥٣٠)

(٥٢٧) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٥٩/٤)

(٥٢٨) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٣٥٠/١٠)

(٥٢٩) - في الآية (٤٢) من هذه السورة.

(٥٣٠) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٩/١)

-وزاد ابن القيم-رحمه الله-فائدة جلييلة في بيانه لشرح الآية فقال ما مختصره: والتشيط رد الإنسان عن الشيء الذي يفعله. قال ابن عباس: يريد خزلهم وكسلهم عن الخروج. وقال في رواية أخرى: حبسهم. قال مقاتل: وأوحى إلى قلوبهم اقعدا مع القاعدين.

وقد بين سبحانه حكمته في هذا التشيط والخذلان قبل وبعد، فقال: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاتَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ} فلما تركوا الإيمان به وبلقائه، وارتابوا بما لا ريب فيه، ولم يريدوا الخروج في طاعة الله، ولم يستدعوا له، ولا أخذوا أهبة ذلك كره سبحانه انبعث من هذا شأنه.

فإن من لم يرفع به وبرسوله وكتابه رأساً ولم يقبل هديته التي أهداها إليه على يد أحب خلقه إليه وأكرمهم عليه، ولم يعرف قدر هذه النعمة ولا شكرها، بل بدلها كفراً. فإن طاعة هذا وخروجه مع رسوله يكرهه سبحانه فثبطه لئلا يقع ما يكره من خروجه، وأوحى إلى قلبه قدراً وكوناً أن يقعد مع القاعدين ثم أخبر سبحانه عن الحكمة التي تتعلق بالمؤمنين في تشيط هؤلاء عنهم. اهـ (٥٣١)

{لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا حِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٤٧)}

إعراب مفردات الآية (٥٣٢)

(لو خرجوا) مثل لو أرادوا «(٥٣٣)»، (في) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (خرجوا) على حذف مضاف أي في جيشكم (ما) حرف نفي (زادوا) مثل أرادوا، و (كم) ضمير مفعول به (الآ) أداة حصر (خبالاً) مفعول به ثان منصوب «(٥٣٤)»، (الواو) عاطفة (اللام) رابطة لجواب لو (أوضعوا) مثل أرادوا، (حلال) ظرف مكان مبنيّ متعلّق ب (أوضعوا)، و (كم) مضاف إليه (يبغون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل و (كم) ضمير مفعول به «(٥٣٥)»، (الفتنة) مفعول به منصوب (الواو) حالية (فيكم) مثل

(٥٣١) - تفسير القرآن الكريم. لابن القيم/٣٠٤ - الناشر: دار ومكتبة الهلال-بيروت-الطبعة: الأولى-١٤١٠هـ

(٥٣٢) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) ٣٥١/١٠

(٥٣٣) - في الآية (٤٦) السابقة.

(٥٣٤) - هو على رأي الزمخشريّ مستثنى ب (إلا) متّصل، والمفعول الثاني محذوف أي ما زودكم شيئاً إلا خبالاً.

(٥٣٥) - هذا الضمير مجرور باللام في الأصل أي يبغون لكم، فلمّا حذف اللام اتّصل الضمير بالفعل فكان مفعولاً به على السعة.

الأول متعلق بمحذوف خير مقدّم (سمّاعون) مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة الرفع الواو (لهم) مثل فيكم متعلق ب (سمّاعون)، (الواو) استئنافية (الله عليم بالظالمين) مثل الله عليم بالمتّقين «(٥٣٦)».

روائع البيان والتفسير

{لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعَوُا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ }

-قال البغوي- رحمه الله - في تفسيرها ما مختصره: {لو خرجوا فيكم} وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم بالجهاد لغزوة تبوك، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عسكره على ثنية الوداع، وضرب عبد الله بن أبي على أسفل من ثنية الوداع، ولم يكن بأقل العسكرين، فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبي فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب، فأنزل الله تعالى يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم {لو خرجوا} يعني المنافقين {فيكم} أي معكم، {ما زادوكم إلا خبالاً} أي: فسادا وشرا. ومعنى الفساد: إيقاع الجبن والفشل بين المؤمنين بتهويل الأمر، {ولأضعوا} أسرعوا، {خلالكم} وسطكم بإيقاع العداوة والبغضاء بينكم بالنميمة ونقل الحديث من البعض إلى البعض. وقيل: {ولأضعوا خلالكم} أي: أسرعوا فيما يخل بكم. {يبيغونكم الفتنة} أي: يطلبون لكم ما تفتنون به، يقولون: لقد جمع لكم كذا وكذا، وإنكم مهزومون وسيظهر عليكم عدوكم ونحو ذلك. وقال الكلبي: يبيغونكم الفتنة يعني: العيب والشر. وقال الضحاك: الفتنة الشرك، ويقال: بغيته الشر والخير أبعيه بغاء إذا التمسته له، يعني: بغيته له. اهـ (٥٣٧)

-وأضاف السعدي- رحمه الله- في تفسيره لبقية الآية ما نصه:

{وَفِيكُمْ} أناس ضعفاء العقول {سَمَاعُونَ لَهُمْ} أي: مستجيبون لدعوتهم يفترون بهم، فإذا كانوا هم حريصين على خذلانكم، وإلقاء الشر بينكم، وتثبيطكم عن أعدائكم، وفيكم من يقبل منهم ويستنصحهم. فما ظنك بالشر الحاصل من خروجهم مع المؤمنين، والنقص الكثير منهم، فله أتم الحكمة حيث ثبّطهم ومنعهم من الخروج مع عباده المؤمنين رحمة بهم، ولطفاً من أن يداخلهم ما لا ينفعهم، بل يضرهم.

{وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} فيعلم عباده كيف يحذرونهم، ويبين لهم من المفاسد الناشئة من مخالطتهم. اهـ (٥٣٨)

(٥٣٦) - في الآية (٤٤) من هذه السورة.

(٥٣٧)-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/٥٦)

(٥٣٨)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٩/١)

{لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ (٤٨)}

إعراب مفردات الآية (٥٣٩)

(اللام) واقعة في جواب قسم مقدر (قد) حرف تحقيق (ابتغوا) فعل ماض مبني على الضم... والواو فاعل (الفتنة) مفعول به منصوب (من) حرف جرّ (قبل) اسم مبني على الضم في محلّ جرّ متعلّق ب (ابتغوا)، (الواو) عاطفة (قلّبوا) مثل ابتغوا (اللام) حرف جرّ و(الكاف) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (قلّبوا)، (الأمر) مفعول به منصوب (حتىّ) حرف غاية وجر «(٥٤٠)»، (جاء) فعل ماض (الحقّ) فاعل مرفوع (الواو) عاطفة (ظهر أمر) مثل جاء الحقّ (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) حالية (هم) ضمير منفصل مبتدأ (كارهون) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو.

والمصدر المؤوّل (أن جاء...) في محلّ جرّ ب (حتىّ) متعلّق ب (قلّبوا) «(٥٤١)».

روائع البيان والتفسير

{لَقَدْ ابْتِغَوْا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ }

-قال أبو جعفر الطبري-رحمه الله-في تفسيرها إجمالاً ما نصه: يقول تعالى ذكره: لقد التمس هؤلاء المنافقون الفتنة لأصحابك، يا محمد، التمسوا صدهم عن دينهم وحرصوا على ردّهم إلى الكفر بالتحذيل عنه، كفعل عبد الله بن أبي بك وبأصحابك يوم أحد، حين انصرف عنك بمن تبعه من قومه. وذلك كان ابتغاءهم ما كانوا ابتغوا لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفتنة من قبل. ويعني بقوله: {من قبل}، من قبل هذا {وقلّبوا لك الأمور}، يقول: وأجالوا فيك وفي إبطال الدين الذي بعثك به الله الرأى بالتحذيل عنك، وإنكار ما تأتيهم به، وردّه عليك {حتى جاء الحق}، يقول: حتى جاء نصر الله {وظهر أمر الله}، يقول: وظهر دين الله الذي أمر به وافترضه على خلقه، وهو الإسلام {وهم كارهون}، يقول: والمنافقون بظهور أمر الله ونصره إياك كارهون. وكذلك الآن، يظهر الله ويظهر دينه على الذين كفروا من الروم وغيرهم من أهل الكفر به، وهم كارهون. اهـ(٥٤٢)

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْتِنَّا لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٤٩)}

(٥٣٩)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣٥٣/١٠)

(٥٤٠) - أو حرف ابتداء، والجملة بعده استثنائية لا محلّ لها.

(٥٤١) - أو متعلّق بمحذوف أي: استمرّوا في تقليب الأمور حتىّ جاء.

(٥٤٢) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر : مؤسسة الرسالة

(٢٨٣/١٤ / ١٦٧٨١)

إعراب مفردات الآية (٥٤٣)

(الواو) استثنائية (من) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بنعت لخبير محذوف مقدّم أي بعض منهم.. (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر (يقول) مضارع مرفوع، والفاعل هو وهو العائد (ائذن) فعل أمر دعائيّ والفاعل أنت (اللام) حرف جرّ و(الياء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (ائذن)، (الواو) عاطفة (لا) ناهية جازمة دعائية (تفتن) مضارع مجزوم و(النون) للوقاية و(الياء) ضمير مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت (ألا) حرف تنبيه (في الفتنة) جارّ ومجرور متعلّق ب (سقطوا) وهو فعل ماض مبنيّ على الضمّ.. والواو فاعل (الواو) عاطفة (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - (جهنّم) اسم إنّ منصوب وهو ممنوع من التنوين (اللام) المرحلة للتوكيد (محيطة) خبر مرفوع (بالكافرين) جارّ ومجرور متعلّق ب (محيطة)، وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ }

-قال البغوي- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره:

قال ابن عباس: اعتل جد بن قيس ولم تكن له علة إلا النفاق، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: أذنت لك فأنزل الله عز وجل: {ومِنْهُمْ} يعني من المنافقين {من يقول ائذن لي} في التخلف {ولا تفتني} بينات الأصفر. قال قتادة: ولا تؤمّني: {ألا في الفتنة سقطوا} أي: في الشرك والإثم وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمر الله وأمر رسوله، {وإن جهنم لمحيطة بالكافرين} مطبقة بهم وجامعة لهم فيها. اهـ (٥٤٤)

-وزاد السعدي- رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالى {ألا في الفتنة سقطوا} ما نصه:

فإنه على تقدير صدق هذا القائل في قصده، فإن في التخلف مفسدة كبرى وفتنة عظيمة محققة، وهي معصية الله ومعصية رسوله، والتجرؤ على الإثم الكبير، والوزر العظيم، وأما الخروج فمفسدة قليلة بالنسبة للتخلف، وهي متوهمة، مع أن هذا القائل قصده التخلف لا غير، ولهذا توعدهم الله بقوله: { وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ } ليس لهم عنها مفر ولا مناص، ولا فكاك، ولا خلاص. اهـ (٥٤٥)

{إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسَبِّحْهُنَّ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ فَقُلْ هِيَ مِنْ قِبَلِكُمْ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَسَبِّحُوا } (٥٠)

(٥٤٣)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣٥٥/١٠)

(٥٤٤)-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٥٧/٤)

(٥٤٥)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٩/١)

إعراب مفردات الآية (٥٤٦)

(إن) حرف شرط جازم (تصب) مضارع مجزوم فعل الشرط، (الكاف) ضمير مفعول به (حسنة) فاعل مرفوع (تسؤ) مضارع مجزوم جواب الشرط و(هم) ضمير مفعول به والفاعل ضمير مستتر تقديره هي (الواو) عاطفة (إن تصبك مصيبة) مثل إن تصبك حسنة (يقولوا) مضارع مجزوم جواب الشرط الثاني وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (قد) حرف تحقيق (أخذنا) فعل ماض مبني على السكون.. و(نا) ضمير فاعل (أمرنا) مفعول به منصوب.. و(نا) مضاف إليه (من) حرف جرّ (قبل) اسم مبني في محلّ جرّ متعلّق ب (أخذنا)، (الواو) عاطفة (يتولّوا) مثل يقولوا ومعطوف عليه (الواو) حالّية (هم) ضمير منفصل مبني في محلّ رفع مبتدأ (فرحون) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ إِنَّ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ وَتَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ }

-قال السعدي-رحمه الله- في بياحا ما نصه: يقول تعالى مبينا أن المنافقين هم الأعداء حقا، المبغضون للدين صرفا: { إِنَّ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ } كنصر وإدالة على العدو { تَسُؤُهُمْ } أي: تحزهم وتغمهم. { وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ } كإدالة العدو عليك { يَقُولُوا } متبجحين بسلامتهم من الحضور معك. { قَدْ أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلٍ } أي: قد حذرنا وعملنا بما ينجينا من الوقوع في مثل هذه المصيبة. { وَتَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ } فيفرحون بمصيبتك، وبعدم مشاركتهم إياك فيها. اهـ (٥٤٧)

{ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ } (٥١)

إعراب مفردات الآية (٥٤٨)

(قل) فعل أمر، والفاعل أنت (لن) حرف نفي ونصب (يصيب) مضارع منصوب (ونا) ضمير مفعول به (إلا) أداة حصر (ما) اسم موصول مبني في محلّ رفع فاعل (كتب) فعل ماض (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع والعائد محذوف أي كتبه (اللام) حرف جرّ و(نا) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (كتب)، (هو) ضمير منفصل مبني في محلّ رفع مبتدأ (مولي) خبر مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف و(نا) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (على الله) جارّ ومجرور متعلّق ب (يتوكّل)، (الفاء) رابطة لجواب شرط

(٥٤٦)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق(٣٥٧/١٠)

(٥٤٧)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٣٩/١)

(٥٤٨)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٣٥٩/١٠)

مقدّر «(٥٤٩)»، (اللام) لام الأمر (يتوكل) مضارع مجزوم وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين (المؤمنون) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ }

-فسرها ابن كثير - رحمه الله- فقال ما نصه: {قل} أي: لهم {لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا} أي: نحن تحت مشيئة الله، وقدره، {هو مولانا} أي: سيدنا وملجؤنا {وعلى الله فليتكول المؤمنون} أي: ونحن متوكلون عليه، وهو حسينا ونعم الوكيل. اهـ (٥٥٠)

{قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرْتَضُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرْتَضُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْتَضُونَ (٥٢)}

إعراب مفردات الآية (٥٥١)

{قل} مثل السابق «(٥٥٢)»، (هل) حرف استفهام فيه معنى النفي (ترتضون) مضارع مرفوع محذوف منه إحدى التاءين... والواو فاعل (الباء) حرف جرّ و(نا) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (ترتضون) «(٥٥٣)»، (إلا) أداة حصر (إحدى) مفعول به منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على الألف (الحسينين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء (الواو) عاطفة (نحن) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (نترتض) مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن (بكم) مثل بنا متعلّق ب (نترتض)، (أن) حرف مصدري ونصب (يصيب) مضارع منصوب و(كم) ضمير مفعول به (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (بعذاب) جارّ ومجرور متعلّق ب (يصيب)، (من عند) جارّ ومجرور متعلّق بنعت ل (عذاب) و(الهاء) مضاف إليه (أو) حرف عطف للتخيير (بأيدي) جارّ ومجرور متعلّق بنعت ل (عذاب) معطوف على الجارّ قبله و(نا) ضمير مضاف إليه. والمصدر المؤوّل (أن يصيبكم) في محلّ نصب مفعول به عامله نترتض.

(٥٤٩) - قال الجمل في حاشيته على تفسير الجلالين، «الفاء سببية.. للدلالة على استحبابه تعالى للتوكل كما في قوله «فإياي فارهبون» اهـ.

(٥٥٠) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٦٢/٤)

(٥٥١) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٣٥٩/١٠)

(٥٥٢) - في الآية السابقة (٥١).

(٥٥٣) - أو متعلّق بفعل محذوف، والتقدير هل ترتضون أن يقع بنا إلا إحدى الحسينين.

(الفاء) رابطة لجواب شرط مقدر (ترتبوا) فعل أمر مبني على حذف النون.. والواو فاعل (إن) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - و(نا) ضمير في محلاً نصب اسم ان (مع) ظرف منصوب متعلق ب (مترتبون)، و(كم) ضمير مضاف إليه (مترتبون) خبر إن مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{قُلْ هَلْ تَرْتَبُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرْتَبُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرْتَبُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْتَبُونَ }

- قال القرطبي - رحمه الله - في تفسيره لقوله تعالى { قُلْ هَلْ تَرْتَبُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيْنِ } ما مختصره: والترتب الانتظار. يقال: ترتب بالطعام أي انتظر به إلى حين الغلاء. والحسنى تأنيث الأحسن. وواحد الحسين حسنى، والجمع الحسنى. ولا يجوز أن ينطق به إلا معرفاً. لا يقال: رأيت امرأة حسنى. والمراد بالحسنين الغنيمة والشهادة، عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما. واللفظ استفهام والمعنى توبيخ. اهـ (٥٥٤)

- وأضاف السعدي - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً ما نصه: أي: قل للمنافقين الذين يرتبون بكم الدوائر: أي شيء ترتبون بنا؟ فإنكم لا ترتبون بنا إلا أمراً فيه غاية نفعنا، وهو إحدى الحسينين، إما الظفر بالأعداء والنصر عليهم ونيل الثواب الأخروي والديني. وإما الشهادة التي هي من أعلى درجات الخلق، وأرفع المنازل عند الله.

وأما ترتبنا بكم - يا معشر المنافقين - فنحن نرتب بكم، أن يصيبكم الله بعذاب من عنده، لا سبب لنا فيه، أو بأيدينا، بأن يسلطنا عليكم فنقتلكم. { فَتَرْتَبُوا } بنا الخير { إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرْتَبُونَ } بكم الشر. اهـ (٥٥٥)

{ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ مِنْكُمْ إِنْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ (٥٣) }

إعراب مفردات الآية (٥٥٦)

(قل) مثل السابق «(٥٥٧)»، (أنفقوا) فعل أمر مبني على حذف (النون.. والواو فاعل (طوعاً) مصدر في موضع الحال منصوب (الواو) عاطفة (كرها) معطوفة على (طوعاً) منصوب «(٥٥٨)»، (لن) حرف

(٥٥٤) --الجامع لأحكام القرآن للقرطبي - الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (١٦٠/٨)

(٥٥٥) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - مؤسسة الرسالة (٣٣٩/١)

(٥٥٦) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٣٦١/١٠)

(٥٥٧) - في الآية (٥١) من هذه السورة.

(٥٥٨) - انظر الآية (٨٣) من سورة آل عمران

نفي ونصب (يتقبّل) مضارع مبنيّ للمجهول منصوب، ونائب الفاعل محذوف دلّ عليه قوله (أنفقوا) أي: لن يتقبّل منكم ما أنفقتموه (من) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يتقبّل)، (إنّ) حرف مشبّه بالفعل و (كم) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (كنتم) فعل ماض ناقص - ناسخ - و (تم) ضمير اسم كان (قوما) خبر كان منصوب (فاسقين) نعت ل (قوما) منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ }

-قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في تفسيرها: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: {قل}، يا محمد، لهؤلاء المنافقين: أنفقوا كيف شئتم أموالكم في سفركم هذا وغيره، وعلى أي حال شئتم، من حال الطوع والكراهة، فإنكم إن تنفقوها لن يتقبّل الله منكم نفقاتكم، وأنتم في شك من دينكم، وجهل منكم بنبوة نبيكم، وسوء معرفة منكم بثواب الله وعقابه {إنكم كنتم قوماً فاسقين}، يقول: خارجين عن الإيمان بربكم. اهـ (٥٥٩)

{ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُِونَ (٥٤) }

إعراب مفردات الآية (٥٦٠)

(الواو) عاطفة (ما) نافية (منع) فعل ماضٍ و(هم) ضمير مفعول به (أن) حرف مصدريّ ونصب (تقبل) مضارع منصوب مبنيّ للمجهول (منهم) مثل منكم «(٥٦١)» متعلّق ب (تقبل)، (نفقات) نائب الفاعل مرفوع و(هم) مضاف إليه.

والمصدر المؤوّل (أن تقبل) في محلّ جرّ بحرف جرّ محذوف أي من أن تقبل «(٥٦٢)» متعلّق ب (منع).
(إلا) أداة حصر (أنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم أنّ (كفروا) فعل ماضٍ مبنيّ على الضمّ... والواو فاعل (بالله) جازّ ومجرور متعلّق ب (كفروا)، (الواو) عاطفة (برسول) جازّ ومجرور متعلّق ب (كفروا)، و(الهاء) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (لا) نافية (يأتون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل (الصلاة) مفعول به منصوب (إلا) أداة حصر (الواو) حالية (هم) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (كسالى) خبر مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (لا) ينفقون إلا وهم كارهون) مثل لا يأتون... هم كسالى.

والمصدر المؤوّل (أهم كفروا..) في محلّ رفع فاعل منع «(٥٦٣)».

روائع البيان والتفسير

{ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُِونَ }

- قال السعدي-رحمه الله- في تفسيره للآية: { وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ } والأعمال كلها شرط قبولها الإيمان، فهؤلاء لا إيمان لهم ولا عمل صالح، حتى إن الصلاة التي هي أفضل أعمال البدن، إذا قاموا إليها قاموا كسالى، قال: { وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى } أي: متثاقلون، لا يكادون يفعلونها من ثقلها عليهم.

(٥٦٠)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) ٣٦٢/١٠

(٥٦١) - في الآية السابقة (٥٣).

(٥٦٢) - أو في محلّ نصب مفعول به ثانٍ عامله منع.

(٥٦٣) - يجوز أن يكون الفاعل هو الله، (أهم كفروا) مفعول لأجله أي لأهم كفروا.

{ وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ } من غير انشراح صدر وثبات نفس، ففي هذا غاية الذم لمن فعل مثل فعلهم، وأنه ينبغي للعبد أن لا يأتي الصلاة إلا وهو نشيط البدن والقلب إليها، ولا ينفق إلا وهو منشرح الصدر ثابت القلب، يرجو ذخرها وثوابها من الله وحده، ولا يتشبه بالمنافقين. اهـ (٥٦٤)

{ فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ } (٥٥)

إعراب مفردات الآية (٥٦٥)

(الفاء) استثنائية «(٥٦٦)» (لا) ناهية جازمة (تعجب) مضارع مجزوم و(الكاف) ضمير مفعول به (أموال) فاعل مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (لا) زائدة لتأكيد النفي (أولادهم) معطوفة على أموالهم مرفوع مثله. (إنما) كافة ومكفوفة (يريد) مضارع مرفوع (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (اللام) زائدة «(٥٦٧)» (يعذب) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام و(هم) ضمير مفعول به والفاعل هو (الباء) حرف جرّ و(ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يعذب) أي بسببها (في الحياة) جارّ ومجرور متعلّق ب (يعذب)، (الدنيا) نعت للحياة مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (تزهق) مضارع منصوب معطوف على (يعذب)، (أنفسهم) فاعل مرفوع ومضاف إليه. والمصدر المؤوّل (أن يعذبهم) في محل نصب مفعول به عامله يريد وهو المحلّ البعيد، والجرّ وهو القريب. (الواو) حالّية (هم) منفصل مبتدأ (كافرون) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ فَلَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }

- قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره وبتصرف: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك. فقال بعضهم: معناه: فلا تعجبك، يا محمد، أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم في الحياة الدنيا، إنما يريد الله ليعذبهم بها في الآخرة. وقال: معنى ذلك التقدّم، وهو مؤخر. وذكر- رحمه الله- من قال بذلك: كقتادة- رحمه الله- وابن عباس- رضي الله عنه- وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا، بما ألزمهم فيها من فرائضه.

(٥٦٤)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١/٣٤٠)
(٥٦٥)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) (٣٦٣/١٠)

(٥٦٦) - أو رابطة لجواب شرط مقدّر أي: إن نظرت إليهم فلا تعجبك أموالهم.

(٥٦٧) - جاءت بعد فعل متعدّ أي يريد الله أن يعذبهم بها ...

وذكر ممن قال بذلك: كالحسن وابن زيد-رحمهما الله-

ثم قال-رحمه الله-مرجحاً: وأولى التأويلين بالصواب في ذلك عندنا، التأويل الذي ذكرنا عن الحسن. لأن ذلك هو الظاهر من التنزيل، فصُرِفَ تأويله إلى ما دلَّ عليه ظاهره، أولى من صرفه إلى باطنٍ لا دلالةً على صحته.

وإنما وجَّه من وجَّه ذلك إلى التقديم وهو مؤخر، لأنه لم يعرف لتعذيب الله المنافقين بأموالهم وأولادهم في الحياة الدنيا، وجَّهًا يوجَّهه إليه، وقال: كيف يعذبهم بذلك في الدنيا، وهي لهم فيها سرور؟ وذهب عنه توجيهه إلى أنه من عظيم العذاب عليه إنزائه ما أوجب الله عليه فيها من حقوقه وفرائضه، إذ كان يلزمه ويؤخذ منه وهو غير طيب النفس، ولا راجٍ من الله جزاءً، ولا من الآخذ منه حمداً ولا شكراً، على ضجرٍ منه وكُرهٍ. اهـ (٥٦٨)

-وزاد السعدي في بيانها فقال-رحمه الله- ما مختصره: يقول تعالى: فلا تعجبك أموال هؤلاء المنافقين ولا أولادهم، فإنه لا غبطة فيها، وأول بركاتها عليهم أن قدموها على مرضي رحيم، وعصوا الله لأجلها {إنما يُريدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} والمراد بالعذاب هنا، ما ينالهم من المشقة في تحصيلها، والسعي الشديد في ذلك، وهم القلب فيها، وتعب البدن.

فلو قابلت لذاتهم فيها بمشقاتهم، لم يكن لها نسبة إليها، فهي -لما ألتهم عن الله وذكره- صارت وبالا عليهم حتى في الدنيا.

ومن وبالها العظيم الخطر، أن قلوبهم تتعلق بها، وإرادتهم لا تتعدها، فتكون منتهى مطلوبهم وغاية مرغوبهم ولا يبقى في قلوبهم للآخرة نصيب. اهـ (٥٦٩)

{ وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ }

أي: ويريد أن يميتهم حين يميتهم على الكفر، ليكون ذلك أنكى لهم وأشد لعذابهم، عيادا بالله من ذلك، وهذا يكون من باب الاستدراج لهم فيما هم فيه. قاله ابن كثير - رحمه الله- في تفسيره. اهـ (٥٧٠)

{ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ (٥٦) }

إعراب مفردات الآية (٥٧١)

(٥٦٨)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر-الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٨٠٣) ٢٩٥ / ١٤ /

(٥٦٩)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (١) / ٣٤٠

(٥٧٠)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٦٣/٤)

(الواو) استثنائية (يخلفون) مضارع مرفوع. والواو فاعل (بالله) جارّ ومجرور متعلق ب (يخلفون)، (إنّ) حرف مشبّه بالفعل- ناسخ- و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (اللام) المرحلة وهي مؤكّدة للقسم (من) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلق بمحذوف خبر إنّ (الواو) حالّية (ما) نافية (هم) ضمير منفصل مبتدأ «(٥٧٢)» (منكم) مثل الأول متعلق بمحذوف خبر هم (الواو) عاطفة (لكنّ) حرف مشبّه بالفعل للاستدراك- ناسخ- و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم لكنّ (قوم) خبر لكنّ مرفوع (يفرقون) مثل يخلفون.

روائع البيان والتفسير

{ وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ }

-قال السعدي -رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: { وَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ } قصدهم في حلفهم هذا أنهم { قَوْمٌ يَفْرُقُونَ } أي: يخافون الدوائر، وليس في قلوبهم شجاعة تحملهم على أن يبينوا أحوالهم. فيخافون إن أظهروا حالهم منكم، ويخافون أن تتبرأوا منهم، فيتخطفهم الأعداء من كل جانب.

وأما حال قوي القلب ثابت الجنان، فإنه يحمله ذلك على بيان حاله، حسنة كانت أو سيئة، ولكن المنافقين خلع عليهم خلعة الجبن، وحلوا بحلية الكذب. اهـ (٥٧٣)

{ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مَدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ } (٥٧)

إعراب مفردات الآية (٥٧٤)

(لو) حرف شرط غير جازم (يجدون) مضارع مرفوع.

والواو فاعل (ملجأ) مفعول به منصوب (أو) حرف عطف (مغارات) معطوف على ملجأ منصوب مثله وعلامة النصب الكسرة، ومثله (مدّخلا)، (اللام) واقعة في جواب لو (ولّوا) فعل ماض مبني على الضمّ.. والواو فاعل (إلى) حرف جرّ و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلق ب (ولّوا)، (الواو) حالّية (هم) ضمير مبتدأ (يجمحون) مثلاً يجدون.

(٥٧١)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣٦٤/١٠)

(٥٧٢) - أو في محلّ رفع اسم (ما) العاملة عمل ليس، ومنكم الخبر.

(٥٧٣)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة(١/ ٣٤٠)

(٥٧٤)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٠)

(٣٦٥/)

روائع البيان والتفسير

{لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدْخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ }

-قال البغوي -رحمه الله- في بيانها- ما مختصره وبتصرف يسير: {لو يجدون ملجأ} حرزا وحصنا ومعقلا. وقال عطاء: مهريا. وقيل: قوما يأمنون فيهم. {أو مغارات} غيرانا في الجبال، جمع مغارة وهو الموضع الذي يغور فيه، أي يستتر. وقال عطاء: سراديب. {أو مدخلا} موضع دخول فيه، وأصل: مُدْخَلٌ مُفْتَعَلٌ، من أدخل يدخل. قال مجاهد: محرزا. وقال قتادة: سريا. وقال الكلبي: نفقا في الأرض كنفق اليربوع. وقال الحسن: وجها يدخلونه على خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم أضاف - رحمه الله-: {لولوا إليه} لأدبروا إليه هربا منكم، {وهم يجمحون} يسرعون في إباء ونفور لا يرد وجوههم شيء. ومعنى الآية: أنهم لو يجدون مخلصا منكم ومهريا لفارقوكم. اهـ (٥٧٥)

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ (٥٨)}

إعراب مفردات الآية (٥٧٦)

(ومنهم من يلمز) مثل ومنهم من يقول «(٥٧٧)»، و(الكاف) ضمير مفعول به (في الصدقات) جازر ومجرور متعلق ب (يلمز) على حذف مضاف أي في قسم الصدقات (الفاء) عاطفة (إن) حرف شرط جازم (أعطوا) فعل ماض مبني للمجهول في محل جزم فعل الشرط.. والواو نائب الفاعل (من) حرف جرّ و(ها) ضمير في محل جرّ متعلق ب (أعطوا) والجارّ للتبويض أو للبيان (رضوا) فعل ماض مبني على الضمّ..

والواو فاعل، وهو في محلّ جزم جواب الشرط (الواو) عاطفة (إنّ) مثل الأول (لم) حرف للنفي (يعطوا) مضارع مجزوم فعل الشرط وعلامة الجزم حذف النون... والواو نائب الفاعل (منها) مثل الأول متعلق ب (يعطوا)، (إذا) فجائية (هم يستخطون) مثل هم يجمحون «(٥٧٨)» جملة: «منهم من يلمزك...» لا محلّ لها معطوفة على جملة الاستئناف في الآية السابقة.

روائع البيان والتفسير

(٥٧٥)-انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر : دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ٥٩)

(٥٧٦)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

٣٦٦/١٠

(٥٧٧) - في الآية (٤٩) من هذه السورة.

(٥٧٨) - في الآية السابقة (٥٧).

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

البخاري (ج ١٥ ص ٣٢٠) عن أبي سعيد قال: بينما النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقسم جاء عبد الله بن ذي الخويصرة التميمي فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: "ويلك من يعدل إذا لم أعدل". قال عمر بن الخطاب:

دعني أضرب عنقه، قال: "دعه فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته وصيامه مع صيامه يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه أو قال تدييه مثل ثدي المرأة أو قال مثل البضعة تدردر يخرجون على حين فرقة من الناس". قال أبو سعيد أشهد سمعت من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: فنزلت فيهم {وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ} اهـ (٥٧٩)

{وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخِطُونَ}

-قال ابن كثير -رحمه الله- في بيانها ما مختصره: يقول تعالى: {ومنهم} أي ومن المنافقين {من يلمزك} أي: يعيب عليك {في} قسم {الصدقات} إذا فرقتهما، ويتهمك في ذلك، وهم المتهمون المأبونون، وهم مع هذا لا ينكرون للدين، وإنما ينكرون لحظ أنفسهم؛ ولهذا إن {أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يستخطون} أي: يغضبون لأنفسهم. اهـ (٥٨٠)

(٥٧٩) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص/ ١٠٨) ما نصه: الحديث أخرجه عبد الرزاق في المصنف ج ١٠ ص ١٤٧ وابن جرير ج ١٠ ص ١٥٧ والواحدي في أسباب النزول وابن أبي حاتم ج ٤ ص ٥٧.

(٥٨٠) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير -الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ١٦٤)

{وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} (٥٩)

إعراب مفردات الآية (٥٨١)

(الواو) عاطفة (لو) حرف شرط غير جازم (أنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم أنّ (رضوا) مثل السابق «(٥٨٢)»، (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به (آتى) فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف (هم) ضمير متّصل مفعول به (اللّه) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الواو) عاطفة (رسول) معطوفة على لفظ الجلالة مرفوع و(الهاء) مضاف إليه (الواو) عاطفة (قالوا) فعل ماض وفاعله (حسب) مبتدأ مرفوع و(نا) ضمير مضاف إليه (اللّه) لفظ الجلالة خبر مرفوع. والمصدر المؤوّل (أنهم رضوا) في محلّ رفع فاعل لفعل محذوف تقديره ثبت أي لو ثبت رضاهم... (السين) حرف استقبال (يؤتي) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء و(نا) ضمير مفعول به (اللّه) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (من فضل) جارّ ومجرور متعلّق ب (يؤتي)، و(الهاء) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة الأخير و(الهاء) مثل الأخير (إنّ) حرف مشبّه بالفعل - ناسخ - و(نا) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (إلى الله) جارّ ومجرور متعلّق ب (راغبون) وهو خبر إنّ مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ} {

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها: { وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ } أي: أعطاهم من قليل وكثير. { وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ } أي: كافينا الله، فنرضى بما قسمه لنا، وليؤملوا فضله وإحسانه إليهم بأن يقولوا: { سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ } أي: متضرعون في جلب منافعنا، ودفع مضارنا، لسلموا من النفاق ولهدوا إلى الإيمان والأحوال العالية. اهـ (٥٨٣)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها فائدة عظيمة قال: ثم قال تعالى منبها لهم على ما هو خير من ذلك لهم، فقال: {ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا

(٥٨١)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣٦٨/١٠)

(٥٨٢) - في الآية السابقة (٥٨).

(٥٨٣)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٠/١)

إلى الله راغبون} فتضمنت هذه الآية الكريمة أدبا عظيما وسرا شريفا، حيث جعل الرضا بما آتاه الله ورسوله والتوكل على الله وحده، وهو قوله: {وقالوا حسبنا الله} وكذلك الرغبة إلى الله وحده في التوفيق لطاعة الرسول وامثال أوامره، وترك زواجه، وتصديق أخباره، والاقتفاء بآثاره. اهـ (٥٨٤)

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ سَبِيلَ فَرِيضَةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٦٠)}

إعراب مفردات الآية (٥٨٥)

(إنما) كافة ومكفوفة (الصدقات) مبتدأ مرفوع (للفقراء) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف خبر المبتدأ (الواو) عاطفة في المواضع السبعة الآتية (المساكين، العاملين، المؤلّفة الغارمين، ابن...) ألفاظ مجرور معطوفة على الفقراء، وعلامة الجرّ الياء في الألفاظ، (المساكين، العاملين، الغارمين) (على) حرف جرّ و(ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (العاملين)، (قلوب) نائب فاعل لاسم المفعول المؤلّفة، مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (في الرقاب) جارّ ومجرور متعلّق بالخبر المحذوف ومعطوف على الجارّ الأول (في سبيل) جارّ ومجرور متعلّق بالخبر المحذوف ومعطوف على الجارّ الأول (الله) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور ومثله (السبيل)، (فريضة) مفعول مطلق لفعل محذوف «(٥٨٦)» منصوب (من الله) جارّ ومجرور متعلّق ب (فريضة)، (الواو) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (عليهم) خبر مرفوع (حكيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَإِنَّ سَبِيلَ فَرِيضَةٍ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ }

-قال السعدي- في بيانها إجمالاً ما نصه: يقول تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ} أي: الزكوات الواجبة، بدليل أن الصدقة المستحبة لكل أحد، لا يخص بها أحد دون أحد.

أي: إنما الصدقات لهؤلاء المذكورين دون من عداهم، لأنه حصرها فيهم، وهم ثمانية أصناف. الأول والثاني: الفقراء والمساكين، وهم في هذا الموضع، صنفان متفاوتان، فالفقير أشد حاجة من المسكين، لأن الله بدأ بهم، ولا يبدأ إلا بالأهم فالأهم، ففسر الفقير بأنه الذي لا يجد شيئاً، أو يجد بعض كفايته دون نصفها.

(٥٨٤) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ١٦٤)

(٥٨٥)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

٣٧٠/١٠

(٥٨٦) - أو مصدر في موضع الحال .. وقد يكون (فريضة) بمعنى مفروضة فهو جار مجرى

والمسكين: الذي يجد نصفها فأكثر، ولا يجد تمام كفايته، لأنه لو وجدها لكان غنيا، فيعطون من الزكاة ما يزول به فقرهم ومسكنتهم.

والثالث: العاملون على الزكاة، وهم كل من له عمل وشغل فيها، من حافظ لها، أو جاب لها من أهلها، أو راع، أو حامل لها، أو كاتب، أو نحو ذلك، فيعطون لأجل عمالتهم، وهي أجرة لأعمالهم فيها.

والرابع: المؤلف قلوبهم، المؤلف قلبه: هو السيد المطاع في قومه، ممن يرجى إسلامه، أو يخشى شره أو يرجى بعطيته قوة إيمانه، أو إسلام نظيره، أو جبايتها ممن لا يعطيها، فيعطى ما يحصل به التأليف والمصلحة.

الخامس: الرقاب، وهم المكاتبون الذين قد اشتروا أنفسهم من ساداتهم، فهم يسعون في تحصيل ما يفك رقابهم، فيعانون على ذلك من الزكاة، وفك الرقبة المسلمة التي في حبس الكفار داخل في هذا، بل أولى،

ويدخل في هذا أنه يجوز أن يعتق منها الرقاب استقلالاً لدخوله في قوله: { وفي الرقاب }

السادس: الغارمون، وهم قسمان:

أحدهما: الغارمون لإصلاح ذات البين، وهو أن يكون بين طائفتين من الناس شر وفتنة، فيتوسط الرجل للإصلاح بينهم بما يبذله لأحدهم أو لهم كلهم، فجعل له نصيب من الزكاة، ليكون أنشط له وأقوى

لعزمه، فيعطى ولو كان غنيا.

والثاني: من غرم لنفسه ثم أعسر، فإنه يعطى ما يُؤْتَى به دينه.

والسابع: الغازي في سبيل الله، وهم: الغزاة المتطوعة، الذين لا ديوان لهم، فيعطون من الزكاة ما يعينهم على غزوهم، من ثمن سلاح، أو دابة، أو نفقة له ولعيله، ليتوفر على الجهاد ويطمئن قلبه.

وقال كثير من الفقهاء: إن تفرغ القادر على الكسب لطلب العلم، أعطي من الزكاة، لأن العلم داخل في الجهاد في سبيل الله.

وقالوا أيضا: يجوز أن يعطى منها الفقير لحج فرضه، وفيه نظر.

والثامن: ابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده، فهؤلاء الأصناف الثمانية الذين تدفع إليهم الزكاة وحدهم.

{ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ } فرضها وقدرها، تابعة لعلمه وحكمه { وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ } واعلم أن هذه الأصناف الثمانية، ترجع إلى أمرين:

أحدهما: من يعطى لحاجته ونفعه، كالفقير، والمسكين، ونحوهما.

والثاني: من يعطى للحاجة إليه وانتفاع الإسلام به، فأوجب الله هذه الحصص في أموال الأغنياء، لسد الحاجات الخاصة والعامة للإسلام والمسلمين، فلو أعطى الأغنياء زكاة أموالهم على الوجه الشرعي، لم يبق

فقير من المسلمين، ولحصل من الأموال ما يسد الثغور، ويجاهد به الكفار وتحصل به جميع المصالح الدينية. اهـ (٥٨٧)

{وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنُ قُلْ أَدْنُ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦١)}

إعراب مفردات الآية (٥٨٨)

(الواو) استثنائية (من) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ وهو نعت لخبر مقدّم محذوف أي بعض منهم (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر (يؤذون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل (النيّ) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (يقولون) مثل يؤذون (هو) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (أذن) خبر مرفوع (قل) فعل أمر، والفاعل أنت (أذن) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو (خير) مضاف إليه مجرور (اللام) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف نعت ل (أذن) (يؤمن) مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (بالله) جارّ ومجرور متعلّق ب (يؤمن)، (الواو) عاطفة (يؤمن) مثل الأول (للمؤمنين) جارّ ومجرور متعلّق ب (يؤمن) بتضمينه معنى يصدّق أو يسلم (الواو) عاطفة (رحمة) معطوفة على أذن مرفوع (اللام) حرف جرّ (الذين) موصول في محلّ جرّ متعلّق ب (رحمة) (آمنوا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ

والواو فاعل (منكم) مثل منهم متعلّق بحال من فاعل آمنوا (الواو) عاطفة (الذين) موصول في محلّ رفع مبتدأ (يؤذون رسول الله) مثل يؤذون النبيّ، ولفظ الجلالة مضاف إليه (لهم) مثل لكم متعلّق بمحذوف خبر

مقدّم (عذاب) مبتدأ مؤخّر مرفوع (أليم) نعت لعذاب مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنُ قُلْ أَدْنُ خَيْرٌ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

-قال أبو جعفر الطبري في تفسيرها ما مختصره: يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين جماعة يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيبونه {ويقولون هو أذن}، سامعة، يسمع من كل أحد ما يقول فيقبله ويصدّقه.

(٥٨٧)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤١/١)

(٥٨٨)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

وهو من قولهم: "رجل أذنة"، مثل "فعلة" إذا كان يسرع الاستماع والقبول، كما يقال: "هو يَئِن، وَيَقِن" إذا كان ذا يقين بكل ما حُدِّث. وأصله من "أذن له يأذن"، إذا استمع له. ومنه الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم: "ما أذن الله لشيء كأذنه لنيبي يتغنى بالقرآن" (٥٨٩هـ). (٥٩٠هـ)

-وأضاف السعدي-رحمه الله- في تفسيرها بياناً شافياً فقال ما نصه: أي: ومن هؤلاء المنافقين {الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ} بالأقوال الرديئة، والعيب له ولدينه، {وَيَقُولُونَ هُوَ أَدْنُ} أي: لا يباليون بما يقولون من الأذية للنبي، ويقولون: إذا بلغه عنا بعض ذلك، جئنا نعتذر إليه، فيقبل منا، لأنه أذن، أي: يقبل كل ما يقال له، لا يميز بين صادق وكاذب، وقصدهم -قبحهم الله- فيما بينهم، أنهم غير مكترئين بذلك، ولا مهتمين به، لأنه إذا لم يبلغه فهذا مطلوبهم، وإن بلغه اكتفوا بمجرد الاعتذار الباطل. فأساءوا كل الإساءة من أوجه كثيرة، أعظمها أذية نبيهم الذي جاء لهدايتهم، وإخراجهم من الشقاء والهلاك إلى الهدى والسعادة.

ومنها: عدم اهتمامهم أيضاً بذلك، وهو قدر زائد على مجرد الأذية.

ومنها: قدحهم في عقل النبي صلى الله عليه وسلم، وعدم إدراكه وتفريقه بين الصادق والكاذب، وهو أكمل الخلق عقلاً وأتمهم إدراكاً، وأثقبهم رأياً وبصيرة، ولهذا قال تعالى: {قُلْ أَدْنُ خَيْرٌ لَكُمْ} أي: يقبل من قال له خيراً وصدقاً.

وأما إعراضه وعدم تعنيفه لكثير من المنافقين المعتذرين بالأعدار الكذب، فلسعة خلقه، وعدم اهتمامه بشأنهم، وامتناله لأمر الله في قوله: {سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ}.

وأما حقيقة ما في قلبه ورأيه، فقال عنه: {يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ} الصادقين المصدقين، ويعلم الصادق من الكاذب، وإن كان كثيراً ما يعرض عن الذين يعرف كذبهم وعدم صدقهم، {وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ} فإنهم به يهتدون، وبأخلاقه يقتدون.

وأما غير المؤمنين فإنهم لم يقبلوا هذه الرحمة بل ردوها، فحسروا دنياهم وآخرتهم، {وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ} بالقول أو الفعل {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} في الدنيا والآخرة، ومن العذاب الأليم أنه يتحتم قتل مؤذيه وشاتمته. (٥٩١هـ)

(٥٨٩هـ) -أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة- رضي الله عنه- (برقم/ ٧٩٣) - باب استحباب تحسين الصوت

بالقرآن وتمام متنه "«ما أذن الله لشيء كأذنه لنيبي يتغنى بالقرآن، يجهر به».

(٥٩٠هـ) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة

(٣٢٤/١٤ / ١٦٨٩٨)

{يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} (٦٢)
إعراب مفردات الآية (٥٩٢)

(يخلفون بالله) مرّ إعرابها «(٥٩٣)»، (اللام) حرف جرّ و (كم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يخلفون)، (اللام) للتعليل (يرضوا) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام... والواو فاعل و (كم) ضمير مفعول به. والمصدر المؤوّل (أن يرضوكم) في محلّ جرّ متعلّق ب (يخلفون). (الواو) حالّية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة مرفوع (الهاء) مضاف إليه (أحقّ) خبر المبتدأ مرفوع (أن) حرف مصدريّ ونصب (يرضوا) مثل الأول و (الهاء) مفعول به.

والمصدر المؤوّل (أن يرضوه) في محلّ رفع بدل من اسم الجلالة أو من رسول «(٥٩٤)». (إن) حرف شرط جازم (كانوا) فعل ماض ناقص - ناسخ - مبنيّ على الضمّ... والواو ضمير اسم كان، والفعل في محلّ جزم فعل الشرط (مؤمنين) خبر منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ}

- قال السعدي - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً ما نصه {يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيَرْضَوْكُمْ} فيتبرأوا مما صدر منهم من الأذية وغيرها، فغايتهم أن ترضوا عليهم. {وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ} لأن

(٥٩١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤١/١)
(٥٩٢) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٣٧٥/١٠)

(٥٩٣) - في الآية (٥٦) من هذه السورة.

(٥٩٤) - وإذا كان بدلا من أحدهما فثمة وجه ليكون بدل الآخر... والمعنى: إرضاء الله وإرضاء رسوله أحقّ من إرضاء غيره... وفي الآية توجيهات أخرى في الإعراب منها: (أحقّ) خبر مقدّم والمصدر المؤوّل مبتدأ مؤخر، والجملة خبر ل (الله ورسوله) أي: الله ورسوله إرضاءهما أحقّ.. وقيل: (أحقّ) خبر الرسول لأنه الأقرب، وخبر لفظ الجلالة محذوف دل عليه المذكور.. وقيل: المصدر المؤوّل في محلّ جرّ بياء محذوفة متعلّق ب (أحقّ)، أي أحقّ بالإرضاء - وقد رفض ابن هشام هذا التخرّيج الأخير - هذا وقد جاء لفظ (أحقّ) خبرا عن الاسمين (الله، رسوله) لأن أمر الرسول تابع لأمر الله، وقد أفرّد وهو في موضع التثنية، أو لأنّ (أحقّ) وهو اسم تفضيل جاء مجرّدا من (ال) والإضافة ومن التفضيلية مقدّرة.

المؤمن لا يقدم شيئاً على رضا ربه ورضا رسوله، فدل هذا على انتفاء إيمانهم حيث قدموا رضا غير الله ورسوله. اهـ (٥٩٥)

{ أَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُجَادِدُ اللَّهُ وِرْسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ (٦٣) }

إعراب مفردات الآية (٥٩٦)

(الهمزة) للاستفهام التوبيخي الإنكاري (لم) حرف نفي وحزم (يعلموا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (أنّ) حرف مشبّه بالفعل و(الهاء) ضمير في محلّ نصب اسم أنّ- وهو ضمير الشأن- (من) اسم شرط جازم مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (يجادد) مضارع مجزوم فعل الشرط، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (اللّه) لفظ الجلالة مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة منصوب و(الهاء) ضمير مضاف إليه (الفاء) رابطة لجواب الشرط (أنّ) مثل الأول (اللام) حرف جرّ و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر أنّ (نار) اسم أنّ مؤخّر منصوب (جهنّم) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (خالدا) حال منصوبة من الضمير في (له)، (فيها) مثل له متعلّق ب (خالدا).

والمصدر المؤوّل (أنّه من...) في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي يعلموا.. أو مفعوله بمعنى يعرفوا.

والمصدر المؤوّل (أنّ له نار...) في محلّ رفع خبر لمبتدأ محذوف- أو مبتدأ والخبر محذوف- والتقدير: فأمره كون نار جهنّم له... أو فكون نار جهنّم له أمر حقّ.

(ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، والاشارة إلى العذاب، و(اللام) للبعد و(الكاف) للخطاب (الخي) خبر مرفوع (العظيم) نعت للخبر مرفوع.

(٥٩٥)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي-الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٢/١)

(٥٩٦)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(١٠)

روائع البيان والتفسير

{ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ }

- قال ابن كثير - رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: أي: ألم يتحققوا ويعلموا أنه من حاد الله، أي: شاقه وحرابه وخالفه، وكان في حد والله ورسوله في حد {فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا} أي: مهانا معذبا، {ذلك الخزي العظيم} أي: وهذا هو الذل العظيم، والشقاء الكبير. اهـ (٥٩٧)

- وزاد السعدي- رحمه الله- في بيان قوله تعالي {فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ} فقال: الذي لا خزي أشنع ولا أفظع منه، حيث فاتهم النعيم المقيم، وحصلوا على عذاب الجحيم عيادا بالله من أحوالهم. اهـ (٥٩٨)

{يَخْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنزَلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَخْتَرُونَ (٦٤)}

إعراب مفردات الآية (٥٩٩)

(يخذر) مضارع مرفوع (المنافقون) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الواو (أن) حرف مصدري ونصب (تنزل) مضارع مبني للمجهول منصوب (على) جازر و(هم) ضمير في محل جر متعلق ب (تنزل) «(٦٠٠)»، (سورة) نائب الفاعل مرفوع (تنبيء) مثل يخذر و(هم) ضمير مفعول به والفاعل هي (الباء) حرف جر (ما) اسم موصول مبني في محل جر متعلق ب (تنبيئهم)، (في قلوب) جازر ومجرور متعلق بمحذوف صلة ما، و(هم) ضمير مضاف إليه.

والمصدر المؤول (أن تنزل) في محل نصب مفعول به «(٦٠١)».

(قل) فعل أمر، والفاعل أنت (استهزءوا) فعل أمر مبني على حذف النون.. والواو فاعل (إن) حرف مشبه بالفعل (الله) لفظ الجلالة اسم إن منصوب (مخرج) خبر إن مرفوع (ما) اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به لاسم الفاعل مخرج، والعائد محذوف (تخذرون) مضارع مرفوع... والواو فاعل.

(٥٩٧) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٧٠/٤)

(٥٩٨) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٢/١)

(٥٩٩) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٣٧٨/١٠)

(٦٠٠) - قال الزمخشري: الضمير في (عليهم) يعود إلى المؤمنين، والضمير في (تنبيئهم) يعود إلى المنافقين... وقال غيره: الضمير فيهما يعود إلى المنافقين لأنّ السورة إذا نزلت في حقهم فهي نازلة عليهم تنبيئهم.

(٦٠١) - الفعل يخذر عند المبرد لازم، والمصدر المؤول مجرور بحرف جر محذوف تقديره (من) أي يخذر المنافقون من أن تنزل... ولكن أبا حيان ردّ رأي المبرد.

روائع البيان والتفسير

{يَخْذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ }
 -قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها: كانت هذه السورة الكريمة تسمى "الفاضحة" لأنها بينت أسرار المنافقين، وهتكت أستارهم، فما زال الله يقول: ومنهم ومنهم، ويذكر أوصافهم، إلا أنه لم يعين أشخاصهم لفائدتين: إحداهما: أن الله سَتِيْرٌ يجب الستر على عباده.
 والثانية: أن الذم على من اتصف بذلك الوصف من المنافقين، الذين توجه إليهم الخطاب وغيرهم إلى يوم القيامة، فكان ذكر الوصف أعم وأنسب، حتى خافوا غاية الخوف.
 قال الله تعالى: { لَيْسَ لَمْ يَنْتَه الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا * مُلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا أَحِدُوا وَقُتِلُوا نَفْتِيلًا }
 وقال هنا { يَخْذِرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ } أي تخبرهم وتفضحهم وتبين أسرارهم حتى تكون علانية لعباده ويكونوا عبرة للمعتبرين
 { قُلِ اسْتَهْزِئُوا } أي استمروا على ما أنتم عليه من الاستهزاء والسخرية { إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ }
 وقد وثق تعالى بوعده فأنزل هذه السورة التي بينتهم وفضحتهم وهتكت أستارهم. اهـ (٦٠٢)

-وزاد ابن كثير - رحمه الله- فقال: قال مجاهد: يقولون القول بينهم، ثم يقولون: عسى الله ألا يفشي علينا سرنا هذا.

وهذه الآية شبيهة بقوله تعالى: { وَإِذَا جَاءوك حيوك بما لم يحيك به الله ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير } [المجادلة: ٨] وقال في هذه الآية: { قل استهزءوا إن الله مخرج ما تحذرون } أي: إن الله سينزل على رسوله ما يفضحكم به، ويبين له أمركم كما قال: { أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم } إلى قوله: { ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم } [محمد: ٢٩، ٣٠]؛ ولهذا قال قتادة: كانت تسمى هذه السورة "الفاضحة"، فاضحة المنافقين. اهـ (٦٠٣)

{ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ } (٦٥)

إعراب مفردات الآية (٦٠٤)

(٦٠٢)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٢/١)

(٦٠٣)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ١٧٠)

(٦٠٤)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(الواو) استثنائية (اللام) موطة للقسم (إن) حرف شرط جازم (سألت) فعل ماض مبني على السكون في محل جزم فعل الشرط... و(التاء) فاعل و(هم) ضمير مفعول به والمفعول الثاني محذوف أي: عن استهزائهم بك (اللام) لام القسم (يقولن) مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون وقد حذفت لتوالي الأمثال... والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل.. و(النون) نون التوكيد (إنما) كافة ومكفوفة (كنّا) فعل ماض ناقص - ناسخ - و(نا) ضمير في محل رفع اسم كان (نحوض) مضارع مرفوع، والفاعل نحن (الواو) عاطفة (نلعب) مثل نحوض (قل) فعل أمر، والفاعل أنت (الهمزة) للاستفهام التقريبي الإنكاري (بالله) جارّ ومجرور متعلق ب (تستهزئون)، (الواو) عاطفة في الموضعين (آيات، (رسول) معطوفان بالعاطفين على لفظ الجلالة مجروران مثله، و(الهاء) فيهما مضاف إليه (كنتم) مثل كنّا (تستهزئون) مضارع مرفوع... والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

ابن أبي حاتم (ج ٤ ص ٦٣) عن عبد الله بن عمر قال: قال رجل في غزوة تبوك في مجلس يوماً: ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء لا أرغب بطوننا ولا أكذب ألسنة ولا أجبين عند اللقاء، فقال رجل في المجلس: كذبت ولكنك منافق لأخبرن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ونزل القرآن قال عبد الله: فأنا رأيت متعلقاً بحقب ناقة رسول الله تنكبه الحجارة وهو يقول يا رسول الله إنما كنا نحوض ونلعب، ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: {أَبِاللَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} . اهـ (٦٠٥)

{وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ }

- قال السعدي - رحمه الله - في بيانها إجمالاً بتصرف يسير: {وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ} عما قالوه من الطعن في المسلمين وفي دينهم يقول طائفة منهم في غزوة تبوك "ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء - يعنون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه - أرغب بطوننا وأكذب ألسنا وأجبين عند اللقاء" ونحو ذلك

(٦٠٥) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله - في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص / ١٠٩) ما نصه: الحديث رجاله رجال الصحيح إلا هشام بن سعد فلم يخرج له مسلم إلا في الشواهد كما في الميزان وأخرجه الطبري من طريقه ج ١٠ ص ١٧٢ وله شاهد بسند حسن عند ابن أبي حاتم ج ٤ ص ٦٤ من حديث كعب بن مالك.

ولما بلغهم أن النبي صلى الله عليه وسلم قد علم بكلامهم جاءوا يعتذرون إليه ويقولون {إِنَّمَا كُنَّا نَحُوضُ وَنَلْعَبُ} أي نتكلم بكلام لا قصد لنا به ولا قصدنا الطعن والعيب.

قال الله تعالى -مبيناً عدم عذرهم وكذبهم في ذلك- {قُلْ} لهم {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة. اهـ (٦٠٦)

{لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ يُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ (٦٦)}

إعراب مفردات الآية (٦٠٧)

(لا) ناهية جازمة (تعتذروا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون.. والواو فاعل (قد) حرف تحقيق (كفرتم) فعل ماض مبني على السكون وفاعله (بعد) ظرف زمان منصوب متعلق ب (كفرتم)، (إيمان) مضاف إليه مجرور و(كم) ضمير مضاف إليه (إن) حرف شرط جازم (نعف) مضارع مجزوم فعل الشرط وعلامة الجزم حذف حرف العلة، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن (عن طائفة) جارّ ومجرور متعلق ب (نعف)، (من) حرف جرّ و(كم) ضمير في محلّ جرّ متعلق بنعت ل (الطائفة) (نعذب) مضارع مجزوم جواب الشرط والفاعل نحن (طائفة) مفعول به منصوب (الباء) حرف جرّ (أنّ) حرف مشبّه بالفعل و(هم) ضمير اسم أنّ (كانوا) ماض ناقص... والواو اسم كان (مجرمين) خبر كان منصوب وعلامة النصب الياء.

والمصدر المؤول (أنهم كانوا...) في محلّ جرّ بالباء متعلق ب (نعذب).

(٦٠٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٢/١)

(٦٠٧) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

روائع البيان والتفسير

{ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ }

-أضاق السعدي- رحمه الله- في تفسيرها مع ما سبق أنفاً في الآية السابقة لارتباطهما الوثيق فقال: فإن الاستهزاء بالله وآياته ورسوله كفر مخرج عن الدين لأن أصل الدين مبني على تعظيم الله وتعظيم دينه ورسوله والاستهزاء بشيء من ذلك مناف لهذا الأصل ومناقض له أشد المناقضة

ولهذا لما جاءوا إلى الرسول يعتذرون بهذه المقالة والرسول لا يزيدهم على قوله {أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ

وقوله {إِنَّ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ} لتوبتهم واستغفارهم وندمهم {نُعَذِّبُ طَائِفَةً} منكم {بِأَنَّهُمْ} بسبب أنهم {كَانُوا مُجْرِمِينَ} مقيمين على كفرهم ونفاقهم وفي هذه الآيات دليل على أن من أسر سريرة خصوصاً السريرة التي يكر فيها بدينه ويستهزئ به وبآياته ورسوله فإن الله تعالى يظهرها ويفضح صاحبها ويعاقبه أشد العقوبة وأن من استهزأ بشيء من كتاب الله أو سنة رسوله الثابتة عنه أو سخر بذلك أو تنقصه أو استهزأ بالرسول أو تنقصه فإنه كافر بالله العظيم وأن التوبة مقبولة من كل ذنب وإن كان عظيماً. اهـ (٦٠٨)

{الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا

اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٦٧)}

إعراب مفردات الآية (٦٠٩)

(المنافقون) مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الواو (الواو) عاطفة (المنافقات) معطوف على المبتدأ مرفوع (بعض) مبتدأ مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (من بعض) جارّ ومجرور خبر بعضهم على حذف مضاف أي من جنس بعض (يأمرون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل (بالمنكر) جارّ ومجرور متعلّق ب (يأمرون)، (الواو) عاطفة (ينهون عن المعروف) مثل يأمرون بالمنكر، والجارّ متعلّق ب (ينهون)، (الواو) عاطفة (يقبضون) مثل يأمرون (أيديهم) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (نسوا) فعل ماض مبني على الضمّ... والواو فاعل (اللّه) لفظ الجلالة مفعول به منصوب (الفاء) عاطفة لربط المسبّب بالسبب (نسي) فعل

(٦٠٨)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٣/١)

(٦٠٩)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

ماض و(هم) ضمير مفعول به والفاعل هو (إنّ) حرف مشبّه بالفعل (المنافقين) اسم إنّ منصوب وعلامة النصب الياء (هم) ضمير فصل «(٦١٠)»، (الفاستقون) خبر إنّ مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ }

-قال ابن كثير-رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: يقول تعالى منكرًا على المنافقين الذين هم على خلاف صفات المؤمنين، ولما كان المؤمنون (٨) يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، كان هؤلاء {يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم} أي: عن الإنفاق في سبيل الله، {نسوا الله} أي: نسوا ذكر الله، {فَنَسِيَهُمْ} أي: عاملهم معاملة من نسيهم، كقوله تعالى: {وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا} [الجاثية: ٣٤] {إن المنافقين هم الفاسقون} أي: الخارجون عن طريق الحق، الداخلون في طريق الضلالة. اهـ (٦١١)

-وزاد أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في بيان قوله تعالى: {نسوا الله فنسيهم} فقال ما مختصره: فإن معناه: تركوا الله أن يطيعوه ويتبعوا أمره، فتركهم الله من توفيقه وهدايته ورحمته. ثم قال: وقد دللنا فيما مضى على أن معنى "النسيان"، الترك. اهـ (٦١٢)

{ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ (٦٨) }

إعراب مفردات الآية (٦١٣)

(وعد) فعل ماض (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (المنافقين) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (المنافقات) معطوف على المنافقين منصوب وعلامة النصب الكسرة (الواو) عاطفة (الكفار) معطوف على المنافقين منصوب (نار) مفعول به ثان منصوب (جهنم) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (خالدين) حال منصوبة من المنافقين- وهي حال مقدّرة- وعلامة النصب الياء (في) حرف جرّ و(ها) ضمير في محلّ جرّ

(٦١٠) - أو ضمير منفصل مبتدأ خبره (الفاستقون)، والجملة الاسميّة خبر إن.

(٦١١) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٧٢/٤)

(٦١٢) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (١٦٩٢٨) / (٣٣٩/١٤)

(٦١٣) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) (٣٨٤/١٠)

متعلق ب (خالدين) (هي) ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ (حسب) خبر مرفوع (وهم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (لعن) فعل ماض و(هم) ضمير مفعول به (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الواو) عاطفة (اللام) حرف جرّ و(هم) ضمير في محل جرّ متعلق بمحذوف خبر مقدم (عذاب) مبتدأ مؤخر مرفوع (مقيم) نعت لعذاب مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ }

-قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: وقوله: {وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم} أي: على هذا الصنيع الذي ذكر عنهم، {خالدين فيها} أي: ماكتن فيها مخلدين، هم والكفار، {هي حسبهم} أي: كفايتهم في العذاب، {ولعنهم الله} أي: طردهم وأبعدهم، {ولهم عذاب مقيم}. اهـ (٦١٤)

{ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَكَثُرَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ } (٦٩)

إعراب مفردات الآية (٦١٥)

(الكاف) حرف جرّ (الذين) اسم موصول مبني في محل جرّ متعلق بخبر لمبتدأ محذوف تقديره أنتم «(٦١٦)» (من) حرف جر (قبل) اسم مجرور بحرف الجرّ متعلق بمحذوف صلة أي مضوا من قبلكم و(كم) ضمير مضاف إليه (كانوا) فعل ماض ناقص - ناسخ - مبني على الضمّ..

والواو ضمير في محل رفع اسم كان (أشدّ) خبر كانوا منصوب (من) حرف جرّ و(كم) ضمير في محل جرّ متعلق ب (أشدّ)، (قوة) تمييز منصوب (الواو) عاطفة (أكثر أموالا) مثل أشدّ قوّة فهو معطوف عليه (الواو) عاطفة (أولادا) معطوف على (أموالا) منصوب (الفاء) عاطفة (استمعوا) فعل ماض مبني على الضمّ... والواو فاعل (بخلاق) جازّ ومجرور متعلق ب (استمعوا)، و(هم) ضمير متصل مضاف إليه (الفاء) عاطفة (استمتعتم) فعل ماض وفاعله (بخلاقكم) مثل بخلافهم متعلق ب (استمتعتم)، (الكاف)

(٦١٤) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٧٣/٤)

(٦١٥) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣٨٥/١٠)

(٦١٦) - جعل العكبريّ الجازّ والمجرور نعتا لمصدر محذوف بحذف مضاف أي وعدا كوعد الذين من قبلكم.

مثل الأول (ما) حرف مصدريّ (استمتع) مثل الأول (الذين) موصول فاعل في محلّ رفع (من قبلكم) مثل الأول متعلّق ب (استمتع) (بخلافهم) مثل الأول متعلّق ب (استمتع).
والمصدر المؤوّل (ما استمتع) في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف مفعول مطلق أي استمتعتم استمتاعا كاستمتاع الذين من قبلكم.

(الواو) عاطفة (خضتم) مثل استمتعتم (كالذي) مثل كالذين متعلّق بمحذوف مفعول مطلق أي خوضا كالذي خاضوه (خاضوا) مثل استمتعوا، والعائد محذوف أي خاضوه (أولئك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ... و(الكاف) حرف خطاب (حبطت) فعل ماض... و(التاء) للتأنيث (أعمال) فاعل مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (في الدنيا) جارّ ومجرور متعلّق ب (حبطت)، وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (الآخرة) معطوف على الدنيا مجرور (الواو) عاطفة (أولئك) مثل الأول (هم) ضمير فصل «(٦١٧)»، (الخاسرون) خبر المبتدأ مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ }

-قال أبو جعفر الطبري- في تفسيرها: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: قل، يا محمد، لهؤلاء المنافقين الذين قالوا: إنما كنا نخوض ونلعب بأبائه وآيات كتابه ورسوله كنتم تستهزئون؟ {كالذين من قبلكم} من الأمم الذين فعلوا فعلكم، فأهلكهم الله، وعجل لهم في الدنيا الخزي، مع ما أعدّ لهم من العقوبة والنكال في الآخرة. يقول لهم جل ثناؤه: واحذروا أن يحل بكم من عقوبة الله مثل الذي حلّ بهم، فإنهم كانوا أشد منكم قوةً وبطشاً، وأكثر منكم أموالاً وأولاداً {فاستمتعوا بخلاقهم}، يقول: فتمتعوا بنصيبيهم وحظهم من دنياهم ودينهم، ورضوا بذلك من نصيبهم في الدنيا عوضاً من نصيبهم في الآخرة، وقد سلكتهم، أيها المنافقون، سبيلهم في الاستمتاع بخلاقكم. اهـ (٦١٨)

-وأضاف ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره وبتصرف فقال: {فاستمتعوا بخلاقهم} قال الحسن البصري: بدنيهم، {كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا} أي: في الكذب

(٦١٧) - أو ضمير منفصل مبتدأ خبره (الخاسرون)، والجملة الاسميّة خبر المبتدأ (أولئك).

(٦١٨) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٠/١٤ / ١٦٩٢٩)

والباطل، {أولئك حبطت أعمالهم} أي: بطلت مساعيهم، فلا ثواب لهم عليها لأنها فاسدة {في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون}؛ لأنهم لم يحصل لهم عليها ثواب.

ثم قال - رحمه الله - عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده، لتتبعن سنن الذين من قبلكم، شبرا بشبر، وذراعا بذراع، وباعا بباع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه". قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ أهل الكتاب؟ قال: "فمن" (٦١٩)

و عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، فذكره وزاد: قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم القرآن. {كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوة وأكثر أموالا وأولادا فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم} قال أبو هريرة: الخلاق: الدين. {وخضتم كالذي خاضوا} قالوا: يا رسول الله، كما صنعت فارس والروم؟ قال: "فهل الناس إلا هم" وهذا الحديث له شاهد في الصحيح (٦٢٠). اهـ (٦٢١)

{أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٧٠)}

إعراب مفردات الآية (٦٢٢)

(الهمزة) للاستفهام التقريري (لم) حرف نفي وجزم (يأت) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلة و(هم) ضمير مفعول به (نبأ) فاعل مرفوع (الذين) موصول مبني في محل جر مضاف إليه (من قبل) جار مجرور متعلق بمحذوف صلة و(هم) ضمير مضاف إليه (قوم) بدل من الموصول مجرور (نوح) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة في المواضع الخمسة (عاد، ثمود) معطوفان على نوح مجروران (قوم) معطوف على قوم الأول مجرور (إبراهيم) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (أصحاب) معطوف على قوم مجرور (مدين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة ممتنع من التنوين (المؤتفكات) معطوف على قوم مجرور وهو على

(٦١٩) - أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - (برقم/٢٦٦٩) - باب اتباع سنن اليهود والنصارى

(٦٢٠) - في صحيح البخاري برقم (٧٣١٩) من طريق محمد بن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٦٢١) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٧٤/٤)

(٦٢٢) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٣٩٠/١٠)

حذف مضاف أي أهل المؤتفكات «(٦٢٣)»، (أتت) فعل ماض مبني على الفتح المقدر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين.. و(التاء) للتأنيث (رسل) فاعل مرفوع، و(هم) ضمير مضاف إليه (بالبينات) جازّ ومجرور متعلق ب (أتتهم)، (الفاء) عاطفة (ما) نافية (كان) فعل ماض ناقص - ناسخ - (الله) لفظ الجلالة اسم كان مرفوع (اللام) لام الجحود (يظلم) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام الجحود و(هم) ضمير مفعول به، والفاعل هو (الواو) عاطفة (لكن) حرف استدراك (كانوا) مرّ إعرابه «(٦٢٤)».. (أنفس) مفعول به مقدّم منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (يظلمون) مضارع مرفوع... والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ }

- قال البغوي - رحمه الله - في بيانها إجمالاً ما نصه: قوله تعالى: { أَلَمْ يَأْتِهِمْ } يعني المنافقين، { نَبَأُ } خبر، { الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ } حين عصوا رسلنا، وخالفوا أمرنا كيف عذبناهم وأهلكناهم. ثم ذكرهم، فقال: { قَوْمِ نُوحٍ } أهلكوا بالطوفان، { وَعَادٍ } أهلكوا بالريح { وَثَمُودَ } بالرجفة، { وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ } بسلب النعمة وهلاك نمرود، { وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ } يعني قوم شعيب أهلكوا بعذاب يوم الظلة، { وَالْمُؤْتَفِكَاتِ } المنقلبات التي جعلنا عاليها سافلها وهم قوم لوط. اهـ (٦٢٥)

{ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ }

- قال السعدي - رحمه الله - في بيانها ما نصه: فكلهم { أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ } أي: بالحق الواضح الجلي، المبين لحقائق الأشياء، فكذبوا بها، فجرى عليهم ما قص الله علينا، فأنتم أعمالكم شبيهة بأعمالهم، استمتعتم بخلاقكم، أي: بنصيبيكم من الدنيا فتنناولتموه على وجه اللذة والشهوة معرضين عن المراد منه، واستعنتم به على معاصي الله، ولم تتعد همتكم وإرادتكم ما حولتم من النعم كما فعل الذين من قبلكم وخضتم كالذي خاضوا، أي: وخضتم بالباطل والنزور وجادلتهم بالباطل لتدحضوا به الحق، فهذه أعمالهم وعلومهم، استمتع بالخلاق وخوض بالباطل، فاستحقوا من العقوبة والإهلاك ما استحق من قبلهم ممن فعلوا كفعالهم، وأما المؤمنون فهم وإن استمتعوا بنصيبيهم وما حولوا من الدنيا، فإنه على وجه الاستعانة به على طاعة الله، وأما علومهم فهي علوم الرسل، وهي الوصول إلى اليقين في جميع المطالب العالية، والمجادلة بالحق لإدحاض الباطل. قوله { فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ } إذ أوقع بهم من عقوبته ما أوقع.

(٦٢٣) - المؤتفكات: قرى قوم لوط.

(٦٢٤) - في الآية السابقة (٦٩).

(٦٢٥) - انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٧٢/٤)

{وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} حيث تجرأوا على معاصيه، وعصوا رسلهم، واتبعوا أمر كل جبار عنيد. اهـ (٦٢٦)

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} (٧١)
إعراب مفردات الآية (٦٢٧)

(الواو) استئنافية (المؤمنون والمؤمنات... ويطيعون الله) مرّ إعراب نظيرها «(٦٢٨)»، (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة و(الهاء) مضاف إليه (أولئك سيرحمهم الله) مثل أولئك حبطت أعمالهم «(٦٢٩)»، و(السين) حرف استقبال، و(هم) ضمير مفعول به (إنّ) حرف مشبّه بالفعل- ناسخ- (الله) لفظ الجلالة اسم إنّ منصوب (عزيز) خبر إنّ مرفوع (حكيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

{وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ}

-قال ابن كثير-رحمه الله- في بيانها: لما ذكر الله تعالى صفات المنافقين الذميمة، عطف بذكر صفات المؤمنين الحمودة، فقال: {بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} أي: يتناصرون ويتعاضدون، كما جاء في الصحيح: "المؤمن للمؤمن كالبنان يشد بعضه بعضاً" وشبك بين أصابعه (٦٣٠).

وفي الصحيح أيضاً: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر" (٦٣١)

وقوله: {يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ} كما قال تعالى: {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [آل عمران: ١٠٤]

(٦٢٦)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٣/١)

(٦٢٧)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق(٣٩١/١٠)

(٦٢٨) - في الآية (٦٧) من هذه السورة.

(٦٢٩) - في الآية (٦٩) من هذه السورة.

(٦٣٠) - أخرجه البخاري من حديث أبي موسى رضي الله عنه (برقم/ ٢٤٤٦) - باب نصر المظلوم

(٦٣١) - أخرجه مسلم من حديث النعمان بن بشير- رضي الله عنه-(برقم/ ٢٥٨٦) - باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم

وقوله تعالى: { وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ } أي: يطيعون الله ويحسنون إلى خلقه، { وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ } أي: فيما أمر، وترك ما عنه زجر، { أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ } أي: سيرحم الله من اتصف بهذه الصفات، { إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } أي: عزيز، من أطاعه أعزه، فإن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، { حَكِيمٌ } في قسمته هذه الصفات لهؤلاء، وتخصيصه المنافقين بصفاتهم المتقدمة، فإن له الحكمة في جميع ما يفعله، تبارك وتعالى. اهـ (٦٣٢)

{ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانًا مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٧٢) }

إعراب مفردات الآية (٦٣٣)

«وعد الله... جنات» مرّ إعراب نظيرها «(٦٣٤)»، وعلامة نصب جنّات الكسرة (تجري) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الياء (من تحت) جازّ ومجرور متعلّق ب (تجري) «(٦٣٥)»، و(ها) ضمير مضاف إليه على حذف مضاف أي من تحت أشجارها (الأثمار) فاعل مرفوع (خالدين) حال من المؤمنين منصوبة- وهي حال مقدّرة- وعلامة النصب الياء (في) حرف جرّ و(ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (خالدين)، (الواو) عاطفة (مساكن) معطوف على جنّات منصوب مثله ومنع من التنوين لكونه على صيغة منتهى الجمع (طبيّة) نعت لمساكن منصوب (في جنّات) جازّ ومجرور نعت ثان لمساكن (عدن) مضاف إليه مجرور (الواو) استئنافية (رضوان) مبتدأ مرفوع (من الله) جازّ ومجرور نعت لرضوان (أكبر) خبر مرفوع (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ... و(اللام) للبعد و(الكاف) للن خطاب (الفوز) خبر المبتدأ ذلك (العظيم) نعت للفوز مرفوع مثله.

(٦٣٢) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٧٤/٤)

(٦٣٣) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٣٩٢/١٠)

(٦٣٤) - في الآية (٦٨) من هذه السورة.

(٦٣٥) - أو متعلّق بمحذوف حال من الأثمار- نعت تقدّم على المنعوت

روائع البيان والتفسير

{ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }

- قال السعدي - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً ما نصه: ثم ذكر ما أعد الله لهم من الثواب فقال: { وَعَدَّ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ } جامعة لكل نعيم وفرح، خالية من كل أذى وترح، تجري من تحت قصورها ودورها وأشجارها الأنهار الغزيرة، المروية للبهائم الأنيقة، التي لا يعلم ما فيها من الخيرات والبركات إلا الله تعالى.

{ خَالِدِينَ فِيهَا } لا يبعثون عنها حولا { وَمَسَاكِينَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ } قد زخرت وحسنت وأعدت لعباد الله المتقين، قد طاب مرآها، وطاب منزلها ومقيلها، وجمعت من آلات المساكن العالية ما لا يتمنى فوّه المتمدنون، حتى إن الله تعالى قد أعد لهم غرفا في غاية الصفاء والحسن، يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها.

فهذه المساكن الأنيقة، التي حقيق بأن تسكن إليها النفوس، وتنزع إليها القلوب، وتشتاق لها الأرواح، لأنها في جنات عدن، أي: إقامة لا يظعنون عنها، ولا يتحولون منها.

{ وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ } يحله على أهل الجنة { أَكْبَرُ } مما هم فيه من النعيم، فإن نعيمهم لم يطب إلا برؤية ربه ورضوانه عليهم، ولأنه الغاية التي أمها العابدون، والنهاية التي سعى نحوها المحبون، فرضا رب الأرض والسموات، أكبر من نعيم الجنات.

{ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ } حيث حصلوا على كل مطلوب، وانتفى عنهم كل محذور، وحسنت وطابت منهم جميع الأمور، فنسأل الله أن يجعلنا معهم بجوده. اهـ (٦٣٦)

-وزاد ابن كثير- رحمه الله- في بيان قوله تعالى: { وَرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ } فقال: أي رضا الله عنهم أكبر وأجل وأعظم مما هم فيه من النعيم، كما قال الإمام مالك، رحمه الله، عن أبي سعيد الخدري، رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله، عز وجل، يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك يا ربنا وسعديك، والخير في يدك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب،

(٦٣٦) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١/٣٤٣)

وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدا من خلقك. فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب، وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا" (٦٣٧). اهـ (٦٣٨)

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٧٣) }

إعراب مفردات الآية (٦٣٩)

«يا» أداة نداء (أيّ) منادى نكرة مقصودة مبني على الضمّ في محلّ نصب و(ها) حرف تنبيه (النبيّ) بدل من أيّ أو عطف بيان تبعه في الرفع لفظا (جاهد) فعل أمر، والفاعل أنت، وحرك بالكسر لالتقاء الساكنين (الكفّار) مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (المنافقين) معطوف على الكفّار منصوب وعلامة النصب الياء (الواو) عاطفة (اغلظ) مثل جاهد (على) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (اغلظ)، (الواو) استثنائية «(٦٤٠)»، (مأوى) مبتدأ مرفوع وعلامة الرفع الضمّة المقدّرة على الألف و(هم) ضمير مضاف إليه (جهنّم) خبر مرفوع (الواو) عاطفة (بئس) فعل ماض جامد لإنشاء الذمّ (المصير) فاعل مرفوع، والمخصوص بالذمّ محذوف تقديره هي أي جهنّم.

روائع البيان والتفسير

{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ }

-قال القرطبي- رحمه الله- في تفسيرها بتصرف يسير: قوله تعالى: { يا أيها النبي جاهد الكفار } الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وتدخل فيه أمته من بعده. قيل: المراد جاهد بالمؤمنين الكفار. وقال ابن عباس: أمر بالجهاد مع الكفار بالسيف، ومع المنافقين باللسان وشدة الزجر والتغليظ. وروي عن ابن مسعود أنه قال: جاهد المنافقين بيدك، فإن لم تستطع فبلسانك، فإن لم تستطع فأكفهم «(٦٤١)» في وجوههم. وقال الحسن: جاهد المنافقين بإقامة الحدود عليهم وباللسان-واختاره قتادة- وكانوا أكثر من يصيب

(٦٣٧) - أخرجه في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- البخاري (برقم/ ٦٥٤٩)-باب صفة

الجنة والنار، ومسلم (برقم/ ٢٨٢٩)- باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدا

(٦٣٨) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ١٧٧)

(٦٣٩)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

٣٩٣/١٠

(٦٤٠) - قال العكبري: إن قيل كيف حسنت الواو هنا والفاء أشبه بهذا الموضع ففيه ثلاثة أجوبة: أحدها أنّها واو الحال والتقدير أفعّل ذلك في حال استحقاقهم جهنّم وهي حال كفرهم، والثاني أنّ الواو جيء بها تنبيها على إرادة فعل محذوف أي واعلم أنّ مأواهم، والثالث أنّ الكلام محمول على المعنى وهو أنّه قد اجتمع لهم عذاب الدنيا بالجهاد وعذاب الآخرة بجهنّم) اهـ.

(٦٤١) - أكفهم الرجل: إذا عيس

الحدود. ابن العربي: أما إقامة الحجة باللسان فكانت دائمة وأما بالحدود لأن أكثر إصابة الحدود كانت عندهم فدعوى لا برهان عليها وليس العاصي بمنافق إنما المنافق بما يكون في قلبه من النفاق كما لا بما تتلبس به الجوارح ظاهراً وأخبار المحدودين يشهد سياقها أنهم لم يكونوا منافقين الثانية ثم أضاف - رحمه الله -:

قوله تعالى: {وأغلظ عليهم} الغلظ: نقيض الرأفة، وهي شدة القلب على إحلال الأمر بصاحبه. وليس ذلك في اللسان، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها الحد ولا يثرب عليها" (٦٤٢)

ومنه قوله تعالى: {ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك} [آل عمران: ١٥٩]. ومنه قول النسوة لعمر: "أنت أفظ وأغلظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم" (٦٤٣) ومعنى الغلظ خشونة الجانب. فهي ضد قوله تعالى: {واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين} [الشعراء: ٢١٥]. {واخفض لهما جناح الذل من الرحمة} [الاسراء: ٢٤]. وهذه الآية نسخت كل شيء من العفو والصلح والصفح. اهـ (٦٤٤)

(٦٤٢) - أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (برقم/ ١٧٠٣) - باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى وتما منته «إذا زنت أمة أحدكم، فتبين زناها، فليجلدها الحد، ولا يثرب عليها، ثم إن زنت، فليجلدها الحد، ولا يثرب عليها، ثم إن زنت الثالثة، فتبين زناها، فليبعها، ولو بجبل من شعر»

(٦٤٣) - جزء من حديث أخرجه البخاري من حديث سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - (برقم/ ٦٠٣٦) وتما منته " استأذن عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن فلما استأذن عمر فممن فبادرن الحجاب فدخل عمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال: أضحك الله سنك يا رسول الله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب» قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتخبني ولا تخبن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قلن: نعم أنت أفظ وأغلظ. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إيه يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فحك» . "

(٦٤٤) --الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٠٤/٨)

{يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٧٤)}

إعراب مفردات الآية (٦٤٥)

«يخلفون» مضارع مرفوع... والواو فاعل (باللَّهِ) جازّ ومجرور متعلّق ب (يخلفون)، (ما) نافية (قالوا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ... والواو فاعل، ومفعول قالوا محذوف أي ما بلغك عنهم من السبّ (الواو) استئنافية (اللام) لام القسم لقسم مقدّر (قد) حرف تحقيق (قالوا) مثل الأول (كلمة) مفعول به منصوب (الكفر) مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (كفروا) مثل قالوا (بعد) ظرف منصوب متعلّق ب (كفروا)، (إسلام) مضاف إليه مجرور و(هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (هموا) مثل قالوا (الباء) حرف جرّ (ما) اسم موصول «(٦٤٦)» مبنيّ في محلّ جرّ متعلّق ب (هموا)، (لم) حرف نفي وجزم (ينالوا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون.. والواو فاعل. (الواو) استئنافية (ما نَقَمُوا) مثل ما قالوا (إلا) أداة حصر (أن) حرف مصدرّيّ (أغنى) فعل ماض مبنيّ على الفتح المقدّر و(هم) ضمير مفعول به (اللَّهِ) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة مرفوع و(الهاء) مضاف إليه. (الفاء) استئنافية (إن) حرف شرط جازم (يتوبوا) مضارع مجزوم فعل الشرط وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (يك) مضارع مجزوم ناقص جواب الشرط وعلامة الجزم السكون على النون المحذوفة للتخفيف، واسمه ضمير مستتر تقديره هو أي طلب التوبة (خيرا) خبر يكن منصوب (اللام) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (خيرا)، (الواو) عاطفة (إن يتولّوا) مثل إن يتوبوا (يعذب) مضارع مجزوم جواب الشرط الثاني و(هم) ضمير مفعول به (اللَّهِ) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (عذابا) مفعول مطلق نائب عن المصدر لأنه ملاقيه في الاشتقاق منصوب (أليما) نعت منصوب (في الدنيا) جازّ ومجرور متعلّق ب (يعذب)، وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (الآخرة) معطوف على النداي مجرور (الواو) عاطفة (ما) نافية (لهم) مثل الأول متعلّق بخبر مقدّم (في الأرض) جازّ ومجرور حال من (وليّ)- نعت تقدّم على المنعوت- (من) حرف جرّ زائد (وليّ) مجرور لفظا مرفوع محلا مبتدأ مؤخّر (الواو) عاطفة (لا) زائدة لتأكيد النفي (نصير) معطوف على وليّ

روائع البيان والتفسير

(٦٤٥)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٣٩٦/١٠

(٦٤٦) - أو نكرة موصوفة والعائد محذوف

{يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَعَّمُوا إِلَّا أَنْ
أَعْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ }

-قال ابن كثير - رحمه الله- ما مختصره: وقوله: {يخلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد
إسلامهم} قال قتادة: نزلت في عبد الله بن أبي، وذلك أنه اقتتل رجلان: جهني وأنصاري، فعلا الجهني
على الأنصاري، فقال عبد الله للأنصار: ألا تنصروا أحاكم؟ والله ما مثلنا ومثل محمد إلا كما قال القائل:
"سمن كلبك يأكلك"، وقال: {لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل} [المنافقون: ٨] فسعى بها
رجل من المسلمين إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأرسل إليه فسأله، فجعل يخلف بالله ما قاله، فأرسل الله
فيه هذه الآية. اهـ (٦٤٧)

-وأضاف السعدي- رحمه الله - في بيانها ما نصه: إسلامهم السابق - وإن كان ظاهره أنه أخرجهم من
دائرة الكفر - فكلامهم الأخير ينقض إسلامهم، ويدخلهم بالكفر.

{وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا} وذلك حين هموا بالفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فقص الله
عليه نبأهم، فأمر من يصددهم عن قصدهم.

{وَالْحَالِ أَنَّهُمْ} {مَا نَعَّمُوا} وعابوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم {إِلَّا أَنْ أَعْنَاهُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
فَضْلِهِ} بعد أن كانوا فقراء معوزين، وهذا من أعجب الأشياء، أن يستهينوا بمن كان سببا لإخراجهم من
الظلمات إلى النور، ومغنيا لهم بعد الفقر، وهل حقه عليهم إلا أن يعظموه، ويؤمنوا به ويجلوه؟ " فاجتمع
الداعي الديني وداعي المروءة الإنسانية. اهـ (٦٤٨)

-وزاد الشنقيطي - رحمه الله- ما مختصره:

صرح في هذه الآية الكريمة: أن المنافقين ما وجدوا شيئا ينقمونه، أي: يعيبونه وينتقدونه، إلا أن الله تفضل
عليهم فأعناهم بما فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم من الخير والبركة.

والمعنى أنه لا يوجد شيء يحتمل أن يعاب أو ينقم بوجه من الوجوه، والآية كقوله: {وما نغموا منهم إلا
أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد} [٨٥ \ ٨]، وقوله: {وما تنقم منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا} [٧
\ ١٢٦]، وقوله: {الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله} [٢٢ \ ٤٠]. اهـ (٦٤٩)

(٦٤٧) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤ / ١٧٨)

(٦٤٨) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١ / ٣٤٤)

(٦٤٩) - انظر أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان (٢ / ١٤٦)

{ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ }

- قال أبو جعفر الطبري في تفسيرها ما نصه: يقول تعالى ذكره: فإن يتب هؤلاء القائلون كلمة الكفر من قيلهم الذي قالوه فرجعوا عنه، يك رجوعهم وتوبتهم من ذلك، خيرًا لهم من النفاق { وإن يتولوا }، يقول: وإن يدبروا عن التوبة، فيأتوها ويصروا على كفرهم، { يعذبهم الله عذابًا أليمًا }، يقول: يعذبهم عذابًا موجعًا في الدنيا، إما بالقتل، وإما بعاجل خزي لهم فيها، ويعذبهم في الآخرة بالنار وقوله: { وما لهم في الأرض من ولي ولا نصير }، يقول: وما لهؤلاء المنافقين إن عذبهم الله عاجل الدنيا { من ولي }، يواليه على منعه من عقاب الله { ولا نصير } ينصره من الله فينقذه من عقابه. وقد كانوا أهل عز ومنعة بعشائهم وقومهم، يمتنعون بهم من أرادهم بسوء، فأخبر جل ثناؤه أن الذين كانوا يمنعونهم ممن أرادهم بسوء من عشائهم وحلفائهم، لا يمنعونهم من الله ولا ينصرونهم منه، إن احتاجوا إلى نصرهم. اهـ (٦٥٠)

{ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٧٥) }

إعراب مفردات الآية (٦٥١)

«الواو» استثنائية (من) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بخبر مقدّم «(٦٥٢)»، (من) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ مؤخّر (عاهد) فعل ماضٍ، والفاعل هو وهو العائد (الله) لفظ الجلالة مفعول به منصوب (اللام) موطئة للقسم (إن) حرف شرط جازم (آتى) فعل ماضٍ مبنيّ على الفتح المقدّر على الألف في محلّ جزم فعل الشرط و(نا) ضمير متصل في محلّ نصب مفعول به والفاعل هو (من فضل) جارّ ومجرور متعلّق ب (آتى)، و(الماء) ضمير مضاف إليه (اللام) لام القسم (نصدّقن) مضارع مبنيّ على الفتح في محلّ رفع... و(النون) نون التوكيد، والفاعل ضمير مستتر تقديره نحن (الواو) عاطفة (لنكونن) مثل لنصدّقن وهو ناقص، واسمه ضمير مستتر تقديره نحن (من الصالحين) جارّ ومجرور متعلّق بخبر نكونن، وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

(٦٥٠) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٦٧/١٤/١٦٩٨٣)

(٦٥١) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٣٩٧/١٠)

(٦٥٢) - أو هي استئناف بياني لا محلّ لها.

{ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ }

- قال أبو جعفر الطبري- في تفسيرها ما نصه: يقول تعالى ذكره: ومن هؤلاء المنافقين الذين وصفت لك، يا محمد، صفتهم {من عاهد الله}، يقول: أعطى الله عهداً {لئن آتانا من فضله}، يقول: لئن أعطانا الله من فضله، ورزقنا مالا ووسّع علينا من عنده {لنصدقن}، يقول: لنخرجن الصدقة من ذلك المال الذي رزقنا ربنا {ولنكونن من الصالحين}، يقول: ولنعملنّ فيها بعمَل أهل الصلاح بأموالهم، من صلة الرحم به، وإنفاقه في سبيل الله. اهـ (٦٥٣)

{ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ (٧٦) }

إعراب مفردات الآية (٦٥٤)

«الفاء» عاطفة (لما) ظرف بمعنى حين متضمّن معنى الشرط (آتاهم من فضله) مثل آتانا من فضله «(٦٥٥)»، {بخلوا} فعل ماض مبنيّ على الضمّ... والواو فاعل (الباء) حرف جرّ و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (بخلوا)، (الواو) عاطفة (تولّوا) ماض مبنيّ على الضمّ المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين... والواو فاعل (الواو) حالّية (هم) ضمير منفصل مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ (معرضون) خبر مرفوع وعلامة الرفع الواو.

روائع البيان والتفسير

{ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ }

{ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ } (٦٥٦) لم يفوا بما قالوا، بل {بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا} عن الطاعة والانقياد.

(٦٥٣) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر : مؤسسة الرسالة

(١٦٦٨٥ / ١٤ / ٣٦٩)

(٦٥٤) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٠)

٣٩٩/

(٦٥٥) - في الآية السابقة (٧٥)، والفعل لا محلّ له.

(٦٥٦) - قلت: وللأسف ذكر كثيراً من المفسرين، أن سبب نزول هذه الآية الكريمة "ثعلبة بن حاطب الأنصاري"

وذكروا الحديث وفيه " أن ثعلبة بن حاطب الأنصاري أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! ادع الله أن يرزقني مالا... الحديث" وهذا الحديث أخرجه الواحدي في " أسباب النزول " (ص ١٩١ - ١٩٢) وغيره من طريق معان بن رفاعة السلمي عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة الباهلي، والحديث فيه علل تقدح بصحته وقد أنكر كثيراً من أهل العلم المحققين هذه القصة وقالوا ببطلانها وعللوا الحديث، ومن قال بذلك الإمام ابن حزم، قال في المحلى (٢٠٧/١١، ٢٠٨) .:

{ وَهُمْ مُعْرَضُونَ } أي: غير ملتفتين إلى الخير قاله السعدي - رحمه الله - في تفسيره. اهـ (٦٥٧)
 { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } (٧٧)
 إعراب مفردات الآية (٦٥٨)

«الفاء» عاطفة (أعقب) فعل ماضٍ و(هم) ضمير مفعول به، والفاعل هو أي الله «(٦٥٩)»، «نفاقًا» مفعول به ثانٍ منصوب (في قلوب) جارٌّ ومجرور نعت ل (نفاقًا)، و(هم) مضاف إليه (إلى يوم) جارٌّ ومجرور متعلق بنعت ثانٍ ل (نفاقًا) أي متصل، (يلقون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل و(الهاء) ضمير

"على أنه قد روينا أثرًا لا يصح وأنها نزلت في ثعلبة بن حاطب، وهذا باطل؛ لأن ثعلبة بدري معروف، ثم ساق الحديث بإسناده من طريق معان بن رفاعه عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة وقال: "وهذا باطل لا شك؛ لأن الله أمر بقبض زكوات أموال المسلمين، وأمر عليه السلام عند موته ألا يبقى في جزيرة العرب دينان فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلمًا ففرض علي أبي بكر وعمر قبض زكاته ولا بد ولا فسحة في ذلك، وإن كان كافرًا ففرض ألا يبقى في جزيرة العرب فسقط هذا الأثر بلا شك، وفي رواه معان بن رفاعه، والقاسم بن عبد الرحمن وعلي بن يزيد - هو ابن عبد الملك - وكلهم ضعفاء". اهـ

-قلت: وفي السلسلة الضعيفة حقق الالباني - رحمه الله - الحديث وقال بعد ذكر الحديث وأسانيده: وهذا حديث منكر على شهرته، وآفته علي بن يزيد هذا، وهو الألهاني متروك، ومعان لين الحديث، ومن هذا الوجه أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في "الدلائل" و"الشعب"، وابن مردويه كما في "تفسير ابن كثير" وغيره، وقال العراقي في "تخريج الإحياء" (٣ / ١٣٥): "سنده ضعيف". وقال الحافظ في "تخريج الكشاف" (٤ / ٧٧ / ١٣٣): "إسناده ضعيف جدا". اهـ - وانظر السلسلة الضعيفة حديث رقم / ١٦٠٧

وهناك الكثير من أهل العلم أبطلوها ولا مجال لطرح كل الأقوال هنا والحاصل أن الحديث والقصة برمتها باطلة وقدح في صحابي جليل وينبغي التنبيه علي هذه العلل التي بينها المحققين من أهل العلم في هذا الحديث عند تفسير هذه الآية ممن يتصدون لتفسير كلام رب العالمين ولا ينسبونها للصحابي الجليل "ثعلبة بن حاطب الأنصاري" ولا يكون الواحد منهم كحاطب الليل ممن لا يتحرى الغث من السمين وينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع".

وما يصح ذكره وما لا يصح دون تمحيص وبحماس شديد ولا يدري هؤلاء المساكين المجاهرين بهذه القصة المنكرة أنهم يقدحون في صحابي جليل من أهل بدر شهد له الرسول بالإيمان عندما نهي عمر عن قتل بدري نافق وقال له -صلي الله عليه وسلم- " وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُكُونَ قَدْ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرِ فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ " - جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (٣٠٠٧) - "بَابُ الْجَاسُوسِ، ولذا وجب التنبيه هنا والله المستعان وعليه التكلان

(٦٥٧) - تيسير الكرمي الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١ / ٣٤٥)

(٦٥٨) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

(٤٠٠ / ١٠)

(٦٥٩) - يجوز أن يكون الضمير عائدا على البخل أي أورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم متصلا إلى يوم يلقونه.

مفعول به (الباء) حرف جرّ (ما) حرف مصدرِيّ (أخلفوا) فعل ماض وفاعله (الله) لفظ الجلالة مفعول به منصوب (ما) اسم موصول مبنيّ في محلّ نصب مفعول به ثانٍ (وعدوا) مثل أخلفوا و(الهاء) ضمير مفعول به.

والمصدر المؤوّل (ما أخلفوا) في محلّ جرّ بالباء- وهي للسببيّة- متعلّق ب (أعقبهم).
(الواو) عاطفة (بما كانوا) مثل بما أخلفوا.. والواو اسم الفعل الناقص (يكذبون) مثل يلقون.
والمصدر المؤوّل (ما كانوا...) في محلّ جرّ بالباء متعلّق بما تعلّق به المصدر الأول فهو معطوف عليه.

روائع البيان والتفسير

{ فَأَعَقَّبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ }

-قال السعدي -رحمه الله- في بيانه ما نصه: فلما لم يفوا بما عاهدوا الله عليه، عاقبهم { فَأَعَقَّبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ } مستمرا { إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ } فليحذر المؤمن من هذا الوصف الشنيع، أن يعاهد ربه، إن حصل مقصوده الفلاني ليفعلن كذا وكذا، ثم لا يفني بذلك، فإنه ربما عاقبه الله بالنفاق كما عاقب هؤلاء.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الثابت في الصحيحين: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف" (٦٦٠)
فهذا المنافق الذي وعد الله وعاهدته، لئن أعطاه الله من فضله، ليصدقن وليكونن من الصالحين، حدث فكذب، وعاهد فغدر، ووعد فأخلف. اهـ (٦٦١)

(٦٦٠) - أخرج البخاري وغيره من حديث عمرو- رضي الله عنه (برقم/ ٢٤٥٩)- باب: إذا خاصم فجر وتمازى لفظه "أربع من كن فيه كان منافقا - أو كانت فيه خصلة من أربعة كانت فيه خصلة من النفاق - حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر"، وأخرج مسلم نحوه (برقم/ ٥٨)- باب بيان خصال المنافق.

(٦٦١)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٥/١)

{أَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (٧٨)}

إعراب مفردات الآية (٦٦٢)

«الهمزة» للاستفهام التوبيخيّ التقريريّ (لم) حرف نفي وجزم (يعلموا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (أَنَّ) حرف مشبّه بالفعل. ناسخ- (اللّه) لفظ الجلالة اسم أنّ منصوب (يعلم) مضارع مرفوع والفاعل هو (سِرّ) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (الواو) عاطفة (نَجْوَاهُمْ) معطوفة على سِرَّهُمْ منصوب وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (أَنَّ اللَّهَ) مثل الأول (عَلَّام) خبر أنّ مرفوع (الغيوب) مضاف إليه مجرور. والمصدر المؤوّل (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَم) في محلّ نصب سدّ مسدّ مفعولي يعلموا. والمصدر المؤوّل (أَنَّ اللَّهَ عَلَّام..) في محلّ نصب معطوف على المصدر المؤوّل الأول عطف تعليل أي ولأنّ الله...

روائع البيان والتفسير

{أَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ }

-قال ابن كثير-رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: يخبرهم تعالى أنه يعلم السر وأخفى، وأنه أعلم بضمائرهم وإن أظهروا أنه إن حصل لهم أموال تصدقوا منها وشكروا عليها، فإنه أعلم بهم من أنفسهم؛ لأنه تعالى علام الغيوب، أي: يعلم كل غيب وشهادة، وكل سر ونجوى، ويعلم ما ظهر وما بطن. اهـ (٦٦٣)

{الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ

اللَّهُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَدَابٌ أَلِيمٌ (٧٩)}

إعراب مفردات الآية (٦٦٤)

«الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ «(٦٦٥)»، (يلمزون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل (المطوّعين) مفعول به منصوب وعلامة النصب الياء (من المؤمنين) جازّ ومجرور حال من المطوّعين (في

(٦٦٢)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -

دمشق(٤٠١/١٠)

(٦٦٣)- تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع(١٨٤/٤)

(٦٦٤)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٤٠٢/١٠)

(٦٦٥) - يجوز أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هم.

الصدقات) جازّ ومجرور متعلّق ب (يلمزون) على حذف مضاف أي في دفع الصدقات (الواو) عاطفة (الذين) معطوف على المطوّعين في محلّ نصب (لا) نافية (يجدون) مثل يلمزون (إلا) أداة حصر (جهد) مفعول به منصوب و(هم) ضمير مضاف إليه (الفاء) عاطفة (يسخرون) مثل يلمزون (من) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يسخرون)، (سخر) فعل ماضٍ (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (منهم) مثل الأول متعلّق ب (سخر) و(الواو) عاطفة (لهم) مثل منهم متعلّق بمحذوف خبر مقدّم (عذاب) مبتدأ مؤخّر مرفوع (أليم) نعت لعذاب مرفوع.

روائع البيان والتفسير

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - قال ما مختصره:

البخاري (ج ٤ ص ٢٥) عن أبي مسعود -رضي الله عنه- قال لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير فقالوا: مرأئي، وجاء رجل فتصدق بصاع، فقالوا: إن الله لغني عن صاع هذا، فنزلت: **{ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ } الآية. اهـ (٦٦٦)**
{ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: وهذا أيضا من مخازي المنافقين، فكانوا -قبحهم الله- لا يدعون شيئا من أمور الإسلام والمسلمين يرون لهم مقالا إلا قالوا وطعنوا بغيا وعدوانا، فلما حثّ الله ورسوله على الصدقة، بادر المسلمون إلى ذلك، وبذلوا من أموالهم كل على حسب حاله، منهم الكثير، ومنهم القليل، فيلمزون الكثير منهم، بأن قصده بنفقته الرياء والسمعة، وقالوا للمقل الفقير: إن الله غني عن صدقة هذا، فأنزل الله تعالى: **{ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ }** أي: يعيبون ويطعنون **{ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ }** فيقولون: مرءون، قصدهم الفخر والرياء.

{ و } يلمزون { الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ } فيخرجون ما استطاعوا ويقولون: الله غني عن صدقاتهم { فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ } .

(٦٦٦) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في الصحيح المسند من أسباب النزول (ص / ١١٠) ما نصه: الحديث أعاده في كتاب التفسير ج ٩ ص ٤٠٠، وأخرجه مسلم في كتاب الزكاة ج ٧ ص ١٠٥، وابن أبي حاتم ج ٤ ص ٧٣، وابن جرير ج ١٠ ص ١٩٦، والطيلالسي ج ٢ ص ١٩، وابن حبان كما في الموارد ص ٤٣١، والواحدي في أسباب النزول.

فقابلهم الله على صنيعهم بأن {سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} فإختم جمعوا في كلامهم هذا بين عدة محاذير.

منها: تتبعهم لأحوال المؤمنين، وحرصهم على أن يجدوا مقالا يقولونه فيهم، والله يقول: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

ومنها: طعنهم بالمؤمنين لأجل إيمانهم، كفر بالله تعالى وبغض للدين.

ومنها: أن اللمز محرم، بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا، وأما اللمز في أمر الطاعة، فأقبح وأقبح.

ومنها: أن من أطاع الله وتطوع بخصلة من خصال الخير، فإن الذي ينبغي هو إعانتة، وتنشيطه على عمله، وهؤلاء قصدوا تشييطهم بما قالوا فيهم، وعابوهم عليه.

ومنها: أن حكمهم على من أنفق مالا كثيرا بأنه مراء، غلط فاحش، وحكم على الغيب، ورجم بالظن، وأي شر أكبر من هذا؟!!!

ومنها: أن قولهم لصاحب الصدقة القليلة: "الله غني عن صدقة هذا" كلام مقصوده باطل، فإن الله غني عن صدقة المتصدق بالقليل والكثير، بل وغني عن أهل السماوات والأرض، ولكنه تعالى أمر العباد بما هم مفتقرون إليه، فالله - وإن كان غنيا عنهم - فهم فقراء إليه {فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره} وفي هذا القول من التشييط عن الخير ما هو ظاهر بين، ولهذا كان جزاؤهم أن سخر الله منهم، ولهم عذاب أليم. اهـ (٦٦٧)

{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٨٠)}

إعراب مفردات الآية (٦٦٨)

«استغفر» فعل أمر، والفاعل أنت (اللام) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (استغفر)، (أو) حرف للتخيير (لا) ناهية جازمة (تستغفر) مضارع مجزوم والفاعل أنت (لهم) مثل الأول متعلّق ب (تستغفر)، (إن) حرف شرط جازم (تستغفر لهم) مثل الأول وهو فعل الشرط (سبعين) مفعول مطلق نائب عن المصدر منصوب وعلامة النصب الياء فهو ملحق بجمع المذكّر (مرّة) تمييز منصوب (الفاء) رابطة لجواب الشرط (لن) حرف نفي ونصب (يغفر) مضارع منصوب (اللّه) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (لهم) مثل الأول متعلّق ب (يغفر)، (ذلك) اسم إشارة مبنيّ في محلّ رفع مبتدأ، والإشارة إلى امتناع المغفرة لهم...

(٦٦٧) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٥/١)

(

(٦٦٨) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق)

(٤٠٤/١٠)

و(اللام) للبعد و(الكاف) للخطاب (الباء) حرف جرّ (أنّ) حرف مشبّه بالفعل و(هم) ضمير في محلّ نصب اسم أنّ (كفروا) فعل ماض مبنيّ على الضمّ... والواو فاعل (بالله) جارّ ومجرور متعلّق ب (كفروا)، (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة مجرور و(الماء) مضاف إليه (الواو) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (لا) نافية (يهدي) مضارع مرفوع وعلامة الرفع الضمة المقدّرة على الياء، والفاعل ضمير مستتر تقديره هو (القوم) مفعول به منصوب (الفاستقين) نعت للقوم منصوب وعلامة النصب الياء.

روائع البيان والتفسير

{اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ }

-قال أبو جعفر الطبري- رحمه الله- في بيانها ما مختصره: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ادع الله لهؤلاء المنافقين، الذين وصفت صفاتهم في هذه الآيات بالمغفرة، أو لا تدع لهم بها. وهذا كلام خرج مخرج الأمر، وتأويله الخبر، ومعناه: إن استغفرت لهم، يا محمد، أو لم تستغفر لهم، فلن يغفر الله لهم.

وقوله: {إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم}، يقول: إن تسأل لهم أن تُستّر عليهم ذنوبهم بالعتق منه لهم عنها، وترك فضيحتهم بها، فلن يستر الله عليهم، ولن يعفو لهم عنها، ولكنه يفضحهم بها على رؤوس الأشهاد يوم القيامة {ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله}، يقول جل ثناؤه: هذا الفعل من الله بهم، وهو ترك عفوهم عن ذنوبهم، من أحلّ أنهم جحدوا توحيد الله ورسالة رسوله {والله لا يهدي القوم الفاسقين}، يقول: والله لا يوفق للإيمان به ورسوله، من آثر الكفر به والخروج عن طاعته، على الإيمان به ورسوله. اهـ (٦٦٩)

(٦٦٩)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر- الناشر: مؤسسة الرسالة

(٣٩٤/١٤/١٧٠٢٢)

{ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ (٨١) }

إعراب مفردات الآية (٦٧٠)

«فرح» فعل ماضٍ (المخلفون) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الواو (بمقعد) جازٍ ومجرور متعلق ب (فرح)، و(هم) ضمير مضاف إليه (خلاف) ظرف زمان أو مكان منصوب متعلق بالمصدر الميمي مقعد» ، (رسول) مضاف إليه مجرور (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (كرهوا) فعل ماضٍ مبنيّ على الضمّ والواو فاعل (أن) حرف مصدريّ (يجاهدوا) مضارع منصوب وعلامة النصب حذف النون.. والواو فاعل (بأموال) جازٍ ومجرور ب (يجاهدوا)، و(هم) مثل الأخير (الواو) عاطفة (أنفسهم) معطوف على أموال مجرور ومضاف إليه (في سبيل) جازٍ ومجرور متعلق ب (يجاهدوا)، (اللّه) لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور (الواو) عاطفة (قالوا) مثل كرهوا (لا) ناهية جازمة (تنفروا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون... والواو فاعل (في الحرّ) جازٍ ومجرور متعلق ب (تنفروا) «(٦٧١)». (قل) فعل أمر، والفاعل أنت (نار) مبتدأ مرفوع (جهنّم) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الفتحة (أشدّ) خبر مرفوع (حرّاً) تمييز منصوب (لو) حرف شرط غير جازم (كانوا) ماضٍ ناقص.. والواو اسم كان (يفقهون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ }

-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: { فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ } وهذا قدر زائد على مجرد التخلف، فإن هذا تخلف محرم، وزيادة رضا بفعل المعصية، وتبجح به.

{ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ } وهذا بخلاف المؤمنين الذين إذا تخلفوا -ولو لعذر- حزنوا على تخلفهم وتأسفوا غاية الأسف، ويجبون أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، لما في قلوبهم من الإيمان، ولما يرجون من فضل الله وإحسانه وبره وامتنانه.

{ وَقَالُوا } أي: المنافقون { لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ } أي: قالوا إن النفير مشقة علينا بسبب الحر، فقدموا راحة قصيرة منقضية على الراحة الأبدية التامة.

(٦٧٠)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٤٠٨/١٠)

(٦٧١) - أو بمحذوف حال من فاعل تنفروا أي كائنين في الحرّ.

وحذروا من الحر الذي يقي منه الظلال، ويذهبه البكر والآصال، على الحر الشديد الذي لا يقادر قدره، وهو النار الحامية.

ولهذا قال: { قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ } لما آثروا ما يفنى على ما يبقى، ولما فروا من المشقة الخفيفة المنقضية، إلى المشقة الشديدة الدائمة. اهـ (٦٧٢)

-وزاد ابن كثير - رحمه الله- في تفسيره لقوله تعالي { قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ } فقال ما مختصره وبتصرف: {قل} لهم: {نار جهنم} التي تصيرون إليها بسبب مخالفتكم {أشد حرا} مما فررتم منه من الحر، بل أشد حرا من النار، كما قال الإمام مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "نار بني آدم التي يوقدون بها جزء من سبعين جزءا من نار جهنم" فقالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية. قال إنها فضلت عليها بتسعة وستين جزءا" (٦٧٣).

وقال أيضاً: قال مسلم عن أبي سعيد الخدري، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار، يغلي دماغه من حرارة نعليه" (٦٧٤). اهـ (٦٧٥)

{ فَلْيُضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٢) }

إعراب مفردات الآية (٦٧٦)

(الفاء) رابطة لجواب شرط مقدر «(٦٧٧)»، (اللام) لام الأمر (يضحكوا) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف النون.. والواو فاعل (قليلا) مفعول مطلق نائب عن المصدر «(٦٧٨)»، (الواو) عاطفة (ليبكوا

(٦٧٢) - تيسير الكرمي الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (١/٣٤٦)

(٦٧٣) - أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-(برقم/ ٢٨٤٣)- باب في شدة حر نار جهنم وبعد قعرها وما تأخذ من المعذبين

(٦٧٤) - أخرجه مسلم من حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه- (برقم/ ٢١١)- باب أهون أهل النار عذابا

(٦٧٥) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير-الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٤/ ١٨٩)

(٦٧٦)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) (٤٠٩/١٠)

(٦٧٧) - أو عاطفة لربط المسبب بالسبب.

(٦٧٨) - أو ظرف زمان نائب عن لفظ الظرف الأصلي أي زمنا قليلا

كثيراً) مثل ليضحكوا قليلاً (جزاء) مفعول لأجله منصوب عامله الضحك والبكاء «(٦٧٩)»، (الباء) حرف جرّ للسببية (ما) حرف مصدريّ (كانوا يكسبون) مثل كانوا يفقهون «(٦٨٠)». والمصدر المؤول (ما كانوا...) في محلّ جرّ بالباء متعلّق ب (جزاء).

روائع البيان والتفسير

{ فَلْيُضْحِكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ }

- قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في بيانها: يقول تعالى ذكره: فرح هؤلاء المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله، فليضحكوا فرحين قليلاً في هذه الدنيا الفانية بمقعدهم خلاف رسول الله ولهوهم عن طاعة ربه، فإنهم سيكون طويلاً في جهنم مكان ضحكهم القليل في الدنيا {جزاء}، يقول: ثواباً منا لهم على معصيتهم، بتركهم النفس إذ استنفروا إلى عدوّهم، وقعودهم في منازلهم خلاف رسول الله {بما كانوا يكسبون} يقول: بما كانوا يجترحون من الذنوب. اهـ (٦٨١)

{ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تُخْرَجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ } (٨٣)

إعراب مفردات الآية (٦٨٢)

(الفاء) استثنائية (إن) حرف شرط جازم (رجع) فعل ماضٍ في محلّ جزم فعل الشرط و(الكاف) ضمير مفعول به (اللّه) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (إلى طائفة) جارّ ومجرور متعلّق ب (رجع)، (من) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بنعت لطائفة (الفاء) عاطفة (استأذنوا) فعل ماضٍ مبنيّ على الضمّ في محلّ جزم معطوف على رجع.. والواو فاعل و(الكاف) مثل الأول (للخروج) جارّ ومجرور متعلّق ب (استأذنوا)، (الفاء) رابطة لجواب الشرط (قل) فعل أمر، والفاعل أنت (لن) حرف نفي ونصب (تخرجوا) مضارع منصوب وعلامة النصب حذف النون.. والواو فاعل (مع) ظرف منصوب متعلّق ب (لن تخرجوا)، وعلامة النصب الفتحة المقدّرة على ما قبل الياء، و(الياء) ضمير مضاف إليه (أبداً) ظرف زمان منصوب متعلّق ب (تخرجوا)، (الواو) عاطفة (لن تقاتلوا معي) مثل لن تخرجوا معي (عدواً) مفعول به منصوب (إنّ)

(٦٧٩) - أو مفعول مطلق لفعل محذوف أي يجزون جزاء.

(٦٨٠) - في الآية السابقة (٨١).

(٦٨١) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر: مؤسسة الرسالة (٤٠١/١٤ / ١٧٠٣٦)

(٦٨٢) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٤٠٩/١٠)

حرف مشبّه بالفعل و(كم) ضمير في محلّ نصب اسم إنّ (رضيتم) فعل ماضٍ مبنيّ على السكون و(تم) - النون... والواو فاعل (مع) مثل الأول متعلّق ب (اقعدوا) «(٦٨٣)»، (الخالفين) مضاف إليه مجرور وعلامة الجرّ الياء.

روائع البيان والتفسير

{ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ } {

-قال السعدي-رحمه الله- في تفسيرها إجمالاً ما نصه: { فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ } وهم الذين تخلفوا من غير عذر، ولم يحزنوا على تخلفهم { فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ } لغير هذه الغزوة، إذا رأوا السهولة. { فَقُلْ } لهم عقوبة { لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا } فسيغني الله عنكم. { إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ } وهذا كما قال تعالى { ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } فإن المتناقل المتخلف عن المأمور به عند انتهاز الفرصة، لا يوفق له بعد ذلك، ويحال بينه وبينه.

وفيه أيضاً تعزير لهم، فإنه إذا تقرر عند المسلمين أن هؤلاء من الممنوعين من الخروج إلى الجهاد لمعصيتهم، كان ذلك توبيخاً لهم، وعاراً عليهم ونكالا أن يفعل أحد كفعالهم. اهـ (٦٨٤)

-وزاد الشنقيطي- رحمه الله- ما مختصره: عاقب الله في هذه الآية الكريمة المتخلفين عن غزوة تبوك بأنهم لا يؤذن لهم في الخروج مع نبيه، ولا القتال معه صلى الله عليه وسلم؛ لأن شؤم المخالفة يؤدي إلى فوات الخير الكثير.

وقد جاء مثل هذا في آيات أخر كقوله: { سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا تتبعكم } [٤٨ \ ١٥] إلى قوله: { كذلك قال الله من قبل، وقوله: ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة } الآية [٦ \ ١١٠]، إلى غير ذلك من الآيات، والخالف هو الذي يتخلف عن الرجال في الغزو فيبقى مع النساء والصبيان. اهـ (٦٨٥)

(٦٨٣) - أو متعلّق بمحذوف حال من فاعل اقعدوا.

(٦٨٤) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٦/١)

(٦٨٥) - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت-لبنان (١٤٧/٢)

{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} (٨٤)

إعراب مفردات الآية (٦٨٦)

(الواو) استئنافية- أو عاطفة- (لا) ناهية جازمة (تصلّ) مضارع مجزوم وعلامة الجزم حذف حرف العلة، والفاعل أنت (على أحد) جازّ ومجرور متعلّق ب (لا تصلّ)، (من) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف نعت ل (أحد) «(٦٨٧)»، (مات) فعل ماضٍ، والفاعل هو (أبدا) ظرف زمان منصوب متعلّق ب (لا تصلّ)، (الواو) عاطفة (لا تقم على قبره) مثل لا تصل على أحد، و(الهاء) مضاف إليه (إنّهم كفروا بالله ورسوله) مرّ إعراب نظيرها «(٦٨٨)» (الواو) عاطفة (ماتوا) مثل كفروا (الواو) حالّية (هم فاسقون) مثل هم معرضون «(٦٨٩)».

روائع البيان والتفسير

جاء في سبب نزول هذه الآية ما ذكره المحدث العلامة أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي-رحمه الله- في كتابه منقولاً من لباب النقول في أسباب النزول - ما مختصره:

البخاري (ج ٣ ص ٣٨١) عن ابن عمر -رضي الله عنه- أن عبد الله بن أبي لما توفي جاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا رسول الله أعطني قميصك أكفنه فيه، وصل عليه، واستغفر له. فأعطاه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قميصه، فقال: "أذني أصلي عليه" فأذنه، فلما أراد أن يصلي عليه جذبه عمر -رضي الله عنه- فقال: أليس الله قد نهاك (٦٩٠) أن تصلي على المنافقين، فقال: أنا بين

(٦٨٦)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق) (٤٠٩/١٠)

(٦٨٧) - أو بمحذوف حال من فاعل مات أي مات حال كونه منهم أي منافقا.

(٦٨٨) - في الآية (٨٠) من هذه السورة.

(٦٨٩) - في الآية (٧٦) من هذه السورة.

(٦٩٠) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي-رحمه الله-في صحيح المسند: محصل الجواب أن عمر فهم من قوله {فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ} منع الصلاة عليهم فأخبره صلى الله عليه وعلى آله وسلم ألا منع وأن الرجاء لن يقطع ا. ه فتح أي محصل جواب الإشكال حيث قال: أليس الله قد نهاك.

خيرتين، قال الله تعالى { اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ } .
فصلى عليه فنزلت { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا } . اهـ (٦٩١)

{ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ }
-قال السعدي- رحمه الله- في بيانها ما نصه: يقول تعالى: { وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا } من
المنافقين { وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ } بعد الدفن لتدعو له، فإن صلاته ووقوفه على قبورهم شفاعاة منه لهم،
وهم لا تنفع فيهم الشفاعاة.

{ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ } ومن كان كافرا ومات على ذلك، فما تنفعه شفاعاة
الشافعين، وفي ذلك عبرة لغيرهم، وزجر ونكال لهم، وهكذا كل من علم منه الكفر والنفاق، فإنه لا يصلى
عليه.

وفي هذه الآية دليل على مشروعية الصلاة على المؤمنين، والوقوف عند قبورهم للدعاء لهم، كما كان النبي
صلى الله عليه وسلم، يفعل ذلك في المؤمنين، فإن تقييد النهي بالمنافقين يدل على أنه قد كان متقرا في
المؤمنين. اهـ (٦٩٢)

-وزاد القرطبي فقال ما مختصره وبتصرف: قال ابن عمر: لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول جاء ابنه عبد
الله (٦٩٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ثم سأله أن
يصلي عليه، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه، فقام عمر وأخذ بثوب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نحاك الله أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم: "إنما خيريني الله تعالى فقال: { استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة } [التوبة:

(٦٩١) - قال المحدث العلامة أبي عبد الرحمن مقبل بن هادي الوادعي- رحمه الله- في الصحيح المسند من أسباب
النزول (ص/ ١١٠) ما نصه: الحديث ذكره البخاري في مواضع من صحيحه منها ٤٠٣ من الجزء التاسع وص ٤٠٩
وج ١٢ ص ٣٨٠، ومسلم ج ١٥ ص ١٦٧ وج ١٧ ص ١٢١ والترمذي ج ٤ ص ١١٩ وقال هذا حديث حسن صحيح،
والنسائي ج ٤ ص ١٣ وابن ماجه رقم ١٥٢٣ والإمام أحمد ج ٢ ص ١٨، وابن جرير ج ١٠ ص ٢٠٥، وابن أبي حاتم ج ٤
ص ٧٦.

وأخرجه البخاري ج ٣ ص ٤٧١ وج ٩ ص ٤٠٧، والترمذي ج ٤ ص ١١٨، والإمام أحمد ج ١ ص ١٦، وابن جرير ج ١٠
ص ٢٠٥، وابن أبي حاتم ج ٤ ص ٧٧ وابن إسحاق كما في سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٥٥٢ من حديث عمر نحوه.

(٦٩٢) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٧/١)

(٦٩٣) - عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك الذي يقال له بن أبي بن سلول وسلول أم أبي كان اسمه الحباب
فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله وقال الحباب شيطان كان ممن شهد بدرا وحسن إسلامه وكان يناسب أباه
ويظهر له العداوة في الله استشهد يوم اليمامة- مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار لابن حبان(١٠٣)

٨٠] وسأزيد على سبعين" (٦٩٤) قال: إنه منافق. فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل { ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره } فترك الصلاة عليهم. وقال بعض العلماء: إنما صلى النبي صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن أبي بن سنان على الظاهر من لفظ إسلامه. ثم لم يكن يفعل ذلك لما نهي عنه. الثانية.

ثم أضاف - رحمه الله -:

إن قال قائل فكيف قال عمر: أتصلي عليه وقد نهاك الله أن تصلي عليه، ولم يكن تقدم نهي عن الصلاة عليهم. قيل له: يحتمل أن يكون ذلك وقع له في خاطره، ويكون من قبيل الإلهام والتحدث الذي شهد له به النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان القرآن ينزل على مراده، كما قال: وافقت ربي في ثلاث. وجاء: في أربع. وقد تقدم في البقرة فيكون هذا من ذلك. ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله تعالى: " {استغفر لهم أو لا تستغفر لهم} [التوبة: ٨٠] الآية. لا أنه كان تقدم نهي على ما دل عليه حديث البخاري ومسلم. والله أعلم. قلت: ويحتمل أن يكون فهمه من قوله تعالى: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين} [التوبة: ١١٣] لأنها نزلت بمكة.

ثم رفع - رحمه الله - في تفسيره الإشكال بين هذه الآية التي خير الله تعالى فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- بالاستغفار للمشركين من عدمه وبين قوله تعالى: {ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين} الآية. فقال:

وهذه الآية نزلت بمكة عند موت أبي طالب وهذا يفهم منه النهي عن الاستغفار لمن مات كافرا. وهو متقدم على هذه الآية التي فهم منها التخيير بقوله: {إنما خيرني الله} وهذا مشكل فقيل:-

إن استغفاره لعمه إنما كان مقصوده استغفارا مرجو الإجابة حتى تحصل له المغفرة. وفي هذا الاستغفار استأذن عليه السلام ربه في أن يأذن له فيه لأنه لم يأذن له فيه. وأما الاستغفار للمنافقين الذي خير فيه فهو استغفار لساني لا ينفع وغايته تطيب قلوب بعض الأحياء من قرابات المستغفر له. والله أعلم.

اهـ (٦٩٥)

(٦٩٤) - سبق تخريجه

(٦٩٥) --الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢١٩/٨)

{ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ (٨٥) }

إعراب مفردات الآية (٦٩٦)

(الواو) عاطفة (لا تعجب) مثل لا تصلّ وعلامة الجزم السكون و(الكاف) ضمير مفعول به (أموالهم) فاعل مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (أولادهم) معطوف على أموالهم بالواو مرفوع (إنّما) كافة ومكفوفة (يريد) مضارع مرفوع (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (أن) حرف مصدريّ ونصب (يعذب) مضارع منصوب و(هم) ضمير مفعول به، والفاعل هو (الباء) حرف جرّ و(ها) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (يعذب) والباء للسببية (في الدنيا) جارّ ومجرور متعلّق ب (يعذبهم) وعلامة الجزم الكسرة المقدّرة على الألف.

والمصدر المؤوّل (أن يعذبهم) في محلّ نصب مفعول به عامله يريد.

(الواو) عاطفة (تزهق) مثل يعذبّ ومعطوف عليه (أنفس) فاعل مرفوع و(هم) مضاف إليه (وهم كافرون) مثل وهم فاسقون.

روائع البيان والتفسير

{ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ }

- قال أبو جعفر الطبري - رحمه الله - في تفسيرها: يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم: ولا تعجبك، يا محمد، أموال هؤلاء المنافقين وأولادهم، فتصلي على أحدهم إذا مات وتقوم على قبره، من أجل كثرة ماله وولده، فإني إنما أعطيته ما أعطيته من ذلك لأعذبه بها في الدنيا بالغموم والهموم، بما ألزمه فيها من المؤن والنفقات والزكوات، وبما ينوبه فيها من الرزايا والمصيبات، {وتزهق أنفسهم}، يقول: وليموت فتخرج نفسه من جسده، فيفارق ما أعطيته من المال والولد، فيكون ذلك حسرة عليه عند موته، ووبالا عليه حينئذٍ، ووبالا عليه في الآخرة، بموته جاحداً توحيداً لله، ونبوةً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم. اهـ (٦٩٧)

(٦٩٦) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٠)

(٤١٠/

(٦٩٧) - جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر - الناشر: مؤسسة الرسالة (١٧٠٥٩)

(٤١٠/١٤ /

{وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} (٨٦)

إعراب مفردات الآية (٦٩٨)

(الواو) استئنافية (إذا) ظرف المستقبل متضمن معنى الشرط متعلق ب (استأذنتك)، (أنزلت) فعل ماض مبني للمجهول.. و(التاء) للتأنيث (سورة) نائب الفاعل مرفوع (أن) حرف تفسير «(٦٩٩)»، (آمنوا) فعل أمر مبني على حذف النون... والواو فاعل (بالله) جارّ ومجرور متعلق ب (آمنوا)، (الواو) عاطفة (جاهدوا) مثل آمنوا (مع) ظرف منصوب متعلق ب (جاهدوا)، و(رسول) مضاف إليه مجرور و(الهاء) مضاف إليه (استأذن) فعل ماض و(الكاف) ضمير مفعول به (أولو) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الواو فهو ملحق بجمع المذكّر (الطول) مضاف إليه مجرور (منهم) مثل السابق «(٧٠٠)» متعلق بحال من (أولو الطول)، (الواو) عاطفة (قالوا) فعل ماض وفاعله (ذر) فعل أمر و(نا) ضمير مفعول به والفاعل أنت (نكن) مضارع ناقص مجزوم جواب الطلب (مع القاعدین) مثل مع الخالفين «(٧٠١)».

روائع البيان والتفسير

{وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ}

-قال السعدي-رحمه الله- في بيانها إجمالاً ما نصه: يقول تعالى في بيان استمرار المنافقين على التثاقل عن الطاعات، وأنها لا تؤثر فيهم السور والآيات: {وَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةً} يؤمرون فيها بالإيمان بالله والجهاد في سبيل الله.

(٦٩٨)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٤١٢/١٠)

(٦٩٩) - لأنّ فعل (أنزلت) فيه معنى القول دون حروفه ... ويجوز أن يكون حرفاً مصدرياً، والمصدر المؤول مجرور بباء

محدوفة، والجار والمجرور متعلق ب (أنزلت).

(٧٠٠) - في الآية (٨٤) من هذه السورة.

(٧٠١) - في الآية (٨٣) من هذه السورة.

{اسْتَأْذَنَكَ أَوْلُوا الطَّوْلَ مِنْهُمْ} يعني: أولي الغنى والأموال، الذين لا عذر لهم، وقد أمدهم الله بأموال وبنين، أفلا يشكرون الله ويحمدونه، ويقومون بما أوجبه عليهم، وسهل عليهم أمره، ولكن أبوا إلا التكاثر والاستئذان في القعود {وَقَالُوا دَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} اهـ (٧٠٢)

-وأضاف الشنقيطي- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره:

ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة: أنه إذا أنزل سورة فيها الأمر بالإيمان، والجهاد مع نبيه صلى الله عليه وسلم استأذن الأغنياء من المنافقين في التخلف عن الجهاد مع القدرة عليه، وطلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم أن يتركهم مع القاعد المتخلفين عن الغزو.

وبين في موضع آخر أن هذا ليس من صفات المؤمنين، وأنه من صفات الشاكرين. الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر، وذلك في قوله: {لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليهم بالمتقين إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون} [٩ \ ٤٤، ٤٥]، وبين أن السبيل عليهم بذلك، وأنهم مطبوع على قلوبهم، بقوله: {إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم} الآية [٩ \ ٩٣]، وبين في مواضع آخر شدة جزعهم من الخروج إلى الجهاد، كقوله: {فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت} الآية [٤٧ \ ٢٠]، وقوله: {فإذا جاء خوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد} [٣٣ \ ١٩] إلى غير ذلك من الآيات اهـ (٧٠٣)

{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ} (٨٧)

إعراب مفردات الآية (٧٠٤)

(رضوا) فعل ماض مبني على الضم... والواو فاعل (الباء) حرف جرّ (أن) حرف مصدريّ ونصب (يكونوا) مضارع ناقص منصوب وعلامة النصب حذف النون.. والواو اسم يكون (مع الخوالف) مثل مع الخالفين» (٧٠٥). (الواو) عاطفة (طبع) فعل ماض مبني للمجهول (على قلوب) جازّ ومجرور في محلّ

(٧٠٢)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٧/١)

(٧٠٣) - أضواء البيان للشنقيطي الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان (١٤٧/٢)

(٧٠٤)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق)

(٤١٤/١٠)

(٧٠٥) - في الآية (٨٣) من هذه السورة.

رفع نائب الفاعل و(هم) ضمير مضاف إليه (الفاء) عاطفة لربط المسبب بالمسبب (هم) ضمير منفصل مبتدأ (لا) نافية (يفقهون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل.

روائع البيان والتفسير

{رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ }

-قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيرها ما مختصره: يقول تعالى منكرا وداما للمتخلفين عن الجهاد، الناكِلين عنه مع القدرة عليه، ووجود السعة والطول، واستأذنا الرسول في القعود، وقالوا: {ذرنا نكن مع القاعدين} ورضوا لأنفسهم بالعار والقعود في البلد مع النساء، وهن الخوالف، بعد خروج الجيش، فإذا وقع الحرب كانوا أجبن الناس، وإذا كان أمن كانوا أكثر الناس كلاما، كما قال الله تعالى، عنهم في الآية الأخرى: {فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد} [الأحزاب: ١٩] أي: علت ألسنتهم بالكلام الحاد القوي في الأمن، وفي الحرب أجبن شيء. اهـ (٧٠٦)

{لَكِنَّ الرِّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (٨٨)

إعراب مفردات الآية (٧٠٧)

(لكن) حرف استدراك وحرك آخره بالكسرة لالتقاء الساكنين (الرسول) مبتدأ مرفوع (الواو) عاطفة (الذين) اسم موصول مبني في محل رفع معطوف على الرسول (آمنوا) مثل رضوا «(٧٠٨)» (مع) ظرف منصوب متعلق ب (آمنوا) و(الهاء) ضمير مضاف إليه (جاهدوا) مثل رضوا «(٧٠٩)»، (بأموال) جارّ ومجرور متعلق ب (جاهدوا)، و(هم) مضاف إليه (الواو) عاطفة (أنفسهم) معطوف على أموالهم مجرور، ومضاف إليه (الواو) استئنافية (أولئك) اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ...

(٧٠٦) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير- الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٩٦/٤)

(٧٠٧) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (١٠/٤١٥)

(٧٠٨) - في الآية السابقة (٨٧).

(٧٠٩) - في الآية السابقة (٨٧).

و(الكاف) حرف خطاب (اللام) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ متعلّق بمحذوف خبر مقدّم
(الخيرات) مبتدأ مؤخر مرفوع (الواو) عاطفة (أولئك) مثل الأول (هم) ضمير فصل «(٧١٠)»،
(المفلحون) خبر المبتدأ أولئك.

(٧١٠) - أو ضمير منفصل مبتدأ خبره (المفلحون) ، والجملة الاسميّة خبر المبتدأ أولئك

روائع البيان والتفسير

{لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأَوْلِيكَ هُمْ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} - قال السعدي- رحمه الله- في تفسيره للآية ما نصه: يقول تعالى: إذا تخلف هؤلاء المنافقون عن الجهاد، فالله سيغني عنهم، ولله عباد وخواص من خلقه اختصهم بفضله يقومون بهذا الأمر، وهم {الرُّسُولُ} محمد صلى الله عليه وسلم، {وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ} غير متشاكلين ولا كسولين، بل هم فرحون مستبشرون، {وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ} الكثيرة في الدنيا والآخرة، {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} الذين ظفروا بأعلى المطالب وأكمل الرغائب. اهـ (٧١١)

- وزاد البغوي - رحمه الله- في بيان قوله تعالى {وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَيْرَاتُ} فقال ما نصه: يعني لحسنات، وقيل: الجواري الحسان في الجنة. قال الله تعالى: {فيهن خيرات حسان}، جمع خيرة وحكي عن ابن عباس: أن الخير لا يعلم معناه إلا الله كما قال جل ذكره: {فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين} (السجدة-١٧). اهـ (٧١٢)

{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٨٩)}

إعراب مفردات الآية (٧١٣)

(أعدّ) فعل ماضٍ (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (لهم) مثل المتقدّم «(٧١٤)» متعلّق ب (أعدّ)، (جَنّاتٍ) مفعول به منصوب وعلامة النصب الكسرة (تجري... العظيم) مرّ إعرابها «(٧١٥)».

روائع البيان والتفسير

{أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}

- قال ابن كثير- رحمه الله- ما نصه: لما ذكر تعالى ذم المنافقين، بين ثناء المؤمنين، وما لهم في آخرتهم، فقال: {لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا} إلى آخر الآيتين من بيان حالهم ومآلهم. اهـ (٧١٦)

(٧١١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي - الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٧/١)

(٧١٢) - انظر معالم التنزيل للبغوي - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (٨٣/٤)

(٧١٣) - انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي - نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان - دمشق (٤١٥/١٠)

(٧١٤) - في الآية السابقة (٨٨).

(٧١٥) - في الآية (٧٢) من هذه السورة.

(٧١٦) - تفسير القرآن العظيم لابن كثير - الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع (١٩٧/٤)

-وزاد في بيانها أبو جعفر الطبري فقال-رحمه الله-: يقول تعالى ذكره: أعد الله لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم وللذين آمنوا معه {جنات}، وهي البساتين، تجري من تحت أشجارها الأنهار {خالدين فيها}، يقول: لا يثبن فيها، لا يموتون فيها، ولا يظعنون عنها {ذلك الفوز العظيم}، يقول: ذلك النجاء العظيم، والحظّ الجزيل. اهـ (٧١٧)

{وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٩٠)}

إعراب مفردات الآية (٧١٨)

(الواو) استثنائية (جاء) فعل ماض (المعذرون) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الواو (من الإعراب) جارّ ومجرور متعلّق بمحذوف

حال من (المعذرون)، (اللام) لام التعليل (يؤذن) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل، وهو مبني للمجهول (اللام) حرف جرّ و(هم) ضمير في محلّ جرّ وهو نائب فاعل في محل رفع. والمصدر المؤوّل (أن يؤذن..) في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (جاء).

(الواو) عاطفة (قعد) مثل جاء (الذين) اسم موصول مبنيّ في محلّ رفع فاعل (كذبوا) مثل رضوا «(٧١٩)»، (الله) لفظ الجلالة مفعول به منصوب (الواو) عاطفة (رسول) معطوفة على لفظ الجلالة منصوب و(الهاء) مضاف إليه «(٧٢٠)»، (السين) حرف استقبال (يصيب) مضارع مرفوع (الذين) موصول مفعول به (كفروا) مثل رضوا «(٧٢١)» (منهم) مثل لهم متعلّق بمحذوف حال من فاعل كفروا (عذاب) فاعل مرفوع (أليم) نعت لعذاب مرفوع.

(٧١٧)- جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر-الناشر: مؤسسة الرسالة (٤١٥/١٤/١٧٠٧٢)

(٧١٨)-انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق(٥/١١)

(٧١٩) - في الآية (٨٧) من هذه السورة.

(٧٢٠) - أي قعدوا عن الجيء فلم يعتذروا.

(٧٢١) - في الآية (٨٧) من هذه السورة.

روائع البيان والتفسير

{ وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ }

-قال السعدي- رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: يقول تعالى: { وَجَاءَ الْمُعَذَّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ } أي: جاء الذين تهاونوا، وقصروا منهم في الخروج لأجل أن يؤذن لهم في ترك الجهاد، غير مباليين في الاعتذار لجفائهم وعدم حياتهم، وإتيانهم بسبب ما معهم من الإيمان الضعيف. وأما الذين كذبوا الله ورسوله منهم، ففعلوا وتركوا الاعتذار بالكلية، ويحتمل أن معنى قوله: { الْمُعَذَّرُونَ } أي: الذين لهم عذر، أتوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليعذرهم، ومن عادته أن يعذر من له عذر. { وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ } في دعواهم الإيمان، المقنضي للخروج، وعدم عملهم بذلك، ثم توعدهم بقوله: { سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } في الدنيا والآخرة. اهـ (٧٢٢)

{ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٩١) }

إعراب مفردات الآية (٧٢٣)

(ليس) فعل ماض ناقص جامد- ناسخ- (على الضعفاء) جارّ ومجرور خبر ليس مقدّم (الواو) عاطفة (لا) زائدة لتأكيد النفي (على المرضى) جارّ ومجرور متعلّق بما تعلّق به الجار الأول فهو معطوف عليه، وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة على الألف (الواو) عاطفة (لا) مثل الأولى (على) حرف جرّ (الذين) موصول في محلّ جرّ متعلّق بما تعلّق به الجارّ الأول فهو معطوف عليه (لا) نافية (يجدون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل (ما) نكرة موصوفة «(٧٢٤)» في محلّ نصب مفعول به (ينفقون) مثل يجدون (حرج) اسم ليس مؤخّر مرفوع (إذا) ظرف للمستقبل متضمّن معنى الشرط مبنيّ في محلّ نصب متعلّق بمضمون الجواب المقدّر (نصحوا) فعل ماض وفاعله (لله) جارّ ومجرور متعلّق ب (نصحوا) (الواو) عاطفة (رسول) معطوف على لفظ الجلالة مجرور و(هاء) ضمير مضاف إليه (ما) نافية (على المحسنين) جارّ ومجرور خبر مقدّم وعلامة الجرّ الياء (من سبيل) جارّ زائد ومجرور لفظاً مرفوع محلاً مبتدأ (الواو) استئنافية (الله) لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع (غفور) خبر مرفوع (رحيم) خبر ثان مرفوع.

روائع البيان والتفسير

(٧٢٢)- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٧/١)

(٧٢٣)- انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي- نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٧/١١)

(٧٢٤) - أو اسم موصول في محلّ نصب، والجملة بعده صلة، والعاث محذوف.

{ لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمُرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }

-قال القرطبي -رحمه الله- في تفسيرها ما نصه: قوله تعالى: { ليس على الضعفاء } الآية. أصل في سقوط التكليف عن العاجز، فكل من عجز عن شي سقط عنه، فتارة إلى بدل هو فعل، وتارة إلى بدل هو غرم، ولا فرق بين العجز من جهة القوة أو العجز من جهة المال، ونظير هذه الآية قوله تعالى: { لا يكلف الله نفسا إلا وسعها } [البقرة: ٢٨٦] وقوله: { ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج } [النور: ٦١]. وروى أبو داود عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لقد تركتم بالمدينة أقواما ما سرتهم مسيرا ولا أنفقتهم من نفقة ولا قطعتم من واد إلا وهم معكم فيه". قالوا: يا رسول الله، وكيف يكونون معنا وهم بالمدينة؟ قال: "حبسهم العذر" (٧٢٥).

فبينت هذه الآية مع ما ذكرنا من نظائرها أنه لا حرج على المعذورين، وهم قوم عرف عذرهم كأرباب الزمانة والمهرم والعمى والعرج، وأقوام لم يجدوا ما ينفقون، فقال: ليس على هؤلاء حرج. { إذا نصحو الله ورسوله } إذا عرفوا الحق وأحبوا أوليائه وأبغضوا أعداءه قال العلماء: فعذر الحق سبحانه أصحاب الأعدار، وما صبرت القلوب، فخرج ابن أم مكتوم إلى أحد وطلب أن يعطى اللواء فأخذه مصعب بن عمير (٧٢٦)، فجاء رجل من الكفار فضرب يده التي فيها اللواء فقطعها، فأمسكه باليد الأخرى فضرب اليد الأخرى فأمسكه بصدرة وقرأ { وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل } [آل عمران: ١٤٤]. هذه عزائم القوم. والحق يقول: { ليس على الأعمى حرج } [النور: ٦١] وهو في الأول. { ولا على الأعرج

(٧٢٥) - أخرجه البخاري (برقم / ٢٨٣٩) - باب من حبسه العذر عن الغزو

(٧٢٦) - مصعب بن عمير: بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي بن كلاب العبدي. أحد السابقين إلى الإسلام، يكنى أبا عبد الله. قال أبو عمر: أسلم قديما والنيبي صلى الله عليه وسلم في دار الأرقم، وكنم إسلامه خوفا من أمه وقومه، فعلمه عثمان بن طلحة، فأعلم أهله فأوثقوه، فلم يزل محبوسا إلى أن هرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة فهاجر إلى المدينة وشهد بدرا، ثم شهد أحدا ومعه اللواء فاستشهد. وذكر محمد بن إسحاق، عن صالح بن كيسان، عن بعض آل سعد، عن ابن أبي وقاص، قال: كان مصعب بن عمير أنعم غلام بمكة وأجوده خلة مع أبيه. وقال ابن إسحاق في المغازي، عن يزيد بن أبي حبيب: لما انصرف الناس عن العقبة بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم معهم مصعب بن عمير يفقههم، وكان مصعب هاجر إلى الحبشة الهجرة الأولى، ثم رجع إلى مكة، ثم هاجر إلى المدينة. وفي صحيح البخاري، عن البراء: أول من قدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ... الحديث، وزاد أبو داود من هذا الوجه في الهجرة الأولى. -انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني مختصراً (٨٠٢٠)

حرج} [النور: ٦١] وعمرو بن الجموح (٧٢٧) من نقباء الأنصار أخرج وهو في أول الجيش. قال له الرسول عليه السلام: "إن الله قد عذرك" فقال: والله لأحفرن بعرجتي هذه في الجنة" (٧٢٨)، إلى أمثالهم رضي الله عنهم. وقال عبد الله بن مسعود: "ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف" (٧٢٩). اهـ. (٧٣٠)

-وأضاف السعدي-رحمه الله- في بيانها ما نصه: { وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ } فقال: أي: لا يجدون زادا، ولا راحلة يتبلغون بها في سفرهم، فهؤلاء ليس عليهم حرج، بشرط أن ينصحوا لله ورسوله، بأن يكونوا صادقي الإيمان، وأن يكون من نيتهم وعزمهم أنهم لو قدروا لجاهدوا، وأن يفعلوا ما يقدرون عليه من الحث والترغيب والتشجيع على الجهاد.

{ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ } أي: من سبيل يكون عليهم فيه تبعة، فإنهم - بإحسانهم فيما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد- أسقطوا توجه اللوم عليهم، وإذا أحسن العبد فيما يقدر عليه، سقط عنه ما لا يقدر عليه.

ويستدل بهذه الآية على قاعدة وهي: أن من أحسن على غيره، في نفسه أو في ماله، ونحو ذلك، ثم ترتب على إحسانه نقص أو تلف، أنه غير ضامن لأنه محسن، ولا سبيل على المحسنين، كما أنه يدل على أن غير المحسن -وهو المسيء- كالمفرط، أن عليه الضمان.

{ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ومن مغفرته ورحمته، عفا عن العاجزين، وأثابهم بنيتهم الجازمة ثواب القادرين الفاعلين. اهـ. (٧٣١)

{ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ } (٩٢)
إعراب مفردات الآية (٧٣٢)

(٧٢٧) - عمرو بن الجموح بن زيد بن حرام الأنصاري السلمي: صحابي. كان في الجاهلية من سادات بني سلمة وأشرفهم، وكان له صنم في داره من خشب يعظمه. وهو آخر الأنصار إسلاما. وفي الحديث لبني سلمة: "سيدكم الأبيض الجعد عمرو بن الجموح". استشهد بأحد. -انظر الاعلام للزركلي (٧٥/٥)

(٧٢٨) - صحح الألباني إسناده في فقه السيرة (ص ٢٦٠)

(٧٢٩) - أخرجه مسلم (برقم/ ٦٥٤) - باب صلاة الجماعة من سنن الهد

(٧٣٠) --الجامع لأحكام القرآن للقرطبي- الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة (٢٢٦/٨)

(٧٣١) - تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبد الرحمن بن ناصر السعدي- الناشر: مؤسسة الرسالة (٣٤٧/١)

(٧٣٢) -انظر الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي-نشر: دار الرشيد مؤسسة الإيمان -دمشق (٩/١١)

(الواو) عاطفة (على الذين) مثل السابق «(٧٣٣)»، (إذا) مرّ اعرابه «(٧٣٤)» متعلّق بالجواب قلت (ما) زائدة (أتوا) فعل ماضٍ مبنيّ على الضمّ المقدّر على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين.. والواو فاعل و(الكاف) ضمير مفعول به (اللام) لام التعليل (تحمل) مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام و(هم) ضمير مفعول به، والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت (قلت) فعل ماضٍ وفاعله (لا) نافية (أجد) مضارع مرفوع..

والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا (ما) نكرة موصوفة «(٧٣٥)» في محلّ نصب مفعول به (أحمل) مثل أجد و(كم) ضمير مفعول به (على) حرف جرّ و(الهاء) ضمير في محلّ جرّ متعلّق ب (أحملكم). والمصدر المؤوّل (أن تحملهم...) في محلّ جرّ باللام متعلّق ب (أتوك).

(تولّوا) مثل أتوا (الواو) حالّية (أعين) مبتدأ مرفوع و(هم) ضمير مضاف إليه (تفيض) مضارع مرفوع، والفاعل هي (من الدمع) جارّ ومجرور تمييز «(٧٣٦)»، (حزنا) مفعول لأجله منصوب «(٧٣٧)»، (أن) حرف مصدرّيّ ونصب (لا) نافية (يجدوا) مضارع منصوب وعلامة النصب حذف النون.. والواو فاعل (ما) نكرة موصوفة «(٧٣٨)» في محلّ نصب مفعول به (ينفقون) مضارع مرفوع.. والواو فاعل. والمصدر المؤوّل (ألا يجدوا...) في محلّ نصب مفعول لأجله عامله حزنا.. أو عامله تفيض «(٧٣٩)».

(٧٣٣) - في الآية السابقة (٩١).

(٧٣٤) - في الآية السابقة (٩١).

(٧٣٥) - أو اسم موصول في محلّ نصب، والجملة بعده صلة، والعائد محذوف.

(٧٣٦) - وهو محوّل من الفاعل أي يفيض دمعها، وقد يكون (من) لابتداء الغاية فيتعلّق المجرور به ب (تفيض).

(٧٣٧) - أو مصدر في موضع الحال.. أو مفعول مطلق لفعل محذوف.

(٧٣٨) - أو اسم موصول في محلّ نصب... والجملة صلة، والعائد محذوف أي ما ينفقونه.

(٧٣٩) - يجوز أن يكون المصدر المؤوّل في محلّ جرّ بلام محذوفة أو من.. متعلّق ب (تفيض).

روائع البيان والتفسير

{وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ }

- قال السعدي - رحمه الله - في تفسيرها إجمالاً ما نصه: {وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ} فلم يصادفوا عندك شيئاً {قُلْتَ} لهم معذراً: {لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ} فإنهم عاجزون باذلون لأنفسهم، وقد صدر منهم من الحزن والمشقة ما ذكره الله عنهم.

فهؤلاء لا حرج عليهم، وإذا سقط الحرج عنهم، عاد الأمر إلى أصله، وهو أن من نوى الخير، واقترب بنيتة الجازمة سَعِيَّ فيما يقدر عليه، ثم لم يقدر، فإنه ينزل منزلة الفاعل التام.

{إِنَّمَا السَّبِيلُ} يتوجه واللوم يتناول الذين يستأذنونك وهم أغنياء قادرين على الخروج لا عذر لهم، فهؤلاء {رَضُوا} لأنفسهم ومن دينهم {بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} كالنساء والأطفال ونحوهم.

{و} إنما رضوا بهذه الحال لأن الله طبع على قلوبهم أي: ختم عليها، فلا يدخلها خير، ولا يحسون بمصالحهم الدينية والدينية، {فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} عقوبة لهم، على ما اقتصروا. اهـ (٧٤٠)

تم بحمد الله الجزء العاشر